١) منتقيات



الشيخ علي حسن فلوم

الشيخ علي حسن غلوم



مقالات مختارة من صفحة منتقى الجمان
المنشورة على صفحات جريدة الوطن الكويتية
من
١ محرم ١٤٢٨ هـ / ٢٠ يناير ٢٠٠٧ م
إلى
٣ محرم ١٤٢٩ هـ / ١٢ يناير ٢٠٠٨ م

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م

من مطبوعات

مسجد سيد هاشم بهبهاني

تلفون: ٢٥٤٢٧٩٩٧ ـ ٢٥٤٢٧٦٦٧

فاكس: ٢٥٤٢٨٥٥٨

Email: alwalaa@alwalaa.com

محتويات الكتاب

١ـ لماذا منتقى الجمان؟ ٩
٢ـ عاشوراء الوحدة ١٢
٣ـ حبٌّ تربّع على عرش القلوب ١٥
٤ـ إشكالية التعارض بين الدين والعلم ١٨
٥ـ العمل التطوعي ٢٢
٦ـ تأملات في الشخصية الإسلامية ـ ١ الروح الباكية ٢٥
٧ـ تأملات في الشخصية الإسلامية ـ ٢ الروح الانفعالية ٢٨
٨ـ تأملات في الشخصية الإسلامية ـ ٣ الاتجاه الإقصائي ٣١
٩ـ حرب باردة بين السنة والشيعة ٣٤
١٠ـ الانقلاب المفاجئ ٣٧
١١ـ الصلاة على النبي وآله ٤٠
١٢ـ الإمام الصادق... بحر العلوم ٤٣
١٣ـ مشاريع الوحدة الإسلامية ... لماذا فشلت ؟ ٤٥
١٤ـ عزُّ السماح لا ذلّ الانتقام ٤٨
١٥ـ مرحبا لندن ٥٠
١٦ـ أرقام مذهلة ٥٣
١٧ـ بين الضعف الإنساني والضعف الأنثوي ٥٦
١٨ـ هل الدين أساس الحروب بين الناس؟ ٥٨
١٩ـ إنتاج الحقد ٦٠
٢٠ـ الفقه البيئي ٦٣
٢١ـ معايير تقييم خير أمة ٦٦
٢٢ـ الأمانة... قراءة متجددة ـ ١ ..... ٦٨
٢٣ـ الأمانة... قراءة متجددة ـ ٢ ..... ٧١
٢٤ـ مارون ... أبو محمد ٧٤
٢٥ـ التفسيق بعد التكفير ٧٧
٢٦ـ الإمام محمد بن علي باقر العلم ٨٠
٢٧ـ هل يتحول الناس إلى Zombies ٨٣
٢٨ـ هكذا كان علي ٨٦

محتويات الكتاب

٢٩ـ الإمام موسى بن جعفر ٩٠
٣٠ـ علاقة الأخلاق بالفقه الإسلامي ٩٤
٣١ـ حديث الثقلين ٩٨
٣٢ـ لماذا غيّب الله المسيح ؟! ١٠١
٣٣ـ جمال الشباب ١٠٥
٣٤ـ اليوم الدولي لمحو الأميَّـة ١٠٧
٣٥ـ إشكالية تحديد بدايات الأشهر القمرية ١١٠
٣٦ـ أعظم الناس حسرة ١١٣
٣٧ـ فزتُ وربّ الكعبة ١١٦
٣٨ـ لمن القدس اليوم ؟ ١١٩
٣٩ـ أعيادنا منطلَـقات للمسئولية ١٢٢
٤٠ـ البُـهَرَة ١٢٥
٤١ـ قفوهم.. إنهم متطرفون ١٢٨
٤٢ـ الإمام الذي دانَ له العالَم ١٣١
٤٣ـ عندما غرقت التايتنك ١٣٦
٤٤ـ علم الأئمة ١٣٩
٤٥ـ في مسجد الشجرة ١٤٤
٤٦ـ معرض الكتاب بين حرية الرأي وكتب الضلال ١٤٦
٤٧ـ أبعاد الحج ـ ١ ..... ١٥٣
٤٨ـ أبعاد الحج ـ ٢ ..... ١٥٧
٤٩ـ لغزٌ حيّر الألباب ١٦١
٥٠ـ ماذا جرى عند الغدير ؟ ١٦٥
٥١ـ الخطاب المفقود في الحج ١٦٨
٥٢ـ في ذكرى عاشوراء الحسين: رسالة إلى إخواننا من أهل السنَّة ١٧٢

المقـــــدمة

الحمد لله فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة ديّان الدين رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين المبعوثِ رحمةً للعالمين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

تمثل الصحافة في عالم اليوم نافذة مهمة للوصول إلى عقول الناس وقلوبهم، ورسم معالم الثقافة في المجتمع، وتكوين الرأي العام، ومن هنا كان للإعلام الدعَوي نصيب في الصحافة المحلية، وشغلت القضايا الدينية حصة وافرة من مساحات صفحات الرأي، كما خُصصت لها صفحات ثابتة تعكس من خلالها رؤيتها.

إلا أن ثقافة و رؤى مدرسة أهل البيت عليهم السلام لم تنعكس في الصحافة المحلية بالصورة التي تتوافق مع طموحات المواطنين والمقيمين منذ بدء انطلاقة العمل الصحافي في الكويت، فكانت محدودة ومقيَّدة وبحاجة إلى تفعيل وتطوير خطابي يتناسب مع القراء على تنوّع ثقافاتهم وانتملءاتهم الدينية والمذهبية.

وقد شعر بعض الإخوة الأعزاء بضرورة خوض هذه التجربة وتحمل المسئولية على الرغم من بعض العقبات التي قد تواجههم على أكثر من صعيد... ومن هنا انطلقتُ مع تجربتي الصحافية.

وفي الواقع، يعود مشواري مع الكتابة الصحفية إلى ما قبل ٢٨ سنة تقريباً، بصورة مقالات أو ردود متفرقة توقفت مع سفري إلى خارج البلاد بغرض الدراسة في الحوزة العلمية بمدينة قم. إلا أنه بعد عودتي إلى الكويت عرض عليّ الأخ العزيز وزير الدولة الأسبق الحاج عبدالهادي الصالح أن أكتب زاوية أسبوعية خلال شهر رمضان في صحيفة الطليعة وذلك تحت عنوان (على مائدة أهل البيت) تحتوي على مقالة رئيسية وبعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالشهر الفضيل، وهو ما استمر لبضع سنين، وللقائمين على الصحيفة الشكر والتقدير.

وبعد فترة عَرض عليّ الكتابة في صحيفة القبس على أن تكون يومية خلال شهر رمضان، وتحمل ذات الاسم، وبحمدالله ومنِّه وافق المسؤولون على الصحيفة ـ مشكورين ـ على هذا المقترح، فأصبح المحتوى أكثر تنوعاً، لاسيما وأن المساحة المتاحة لي في الصفحة أضحت أرحب مما كانت عليه في الطليعة التي لا يفوتني أن أشكرها أيضاً على ذلك الانفتاح.

وقبل ما يقارب السنتين سعى أخي الكريم وصديقي العزيز السيد جابر بهبهاني عند القائمين على صحيفة الوطن الكويتية لإفساح المجال لتخصيص صفحة أسبوعية طوال العام،

على أن تكون لي مطلق الحرية فيما أكتب وأنشر، وأن ينبع ذلك من الإحساس بمسئولية الكلمة التي يجب أن توحِّد لا أن تفرِّق، وأن تسعى لتقريب وجهات النظر ما أمكن، وتزيل الشبهات عما خفيت ملامحه أو تشوهت صورته من مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وأن تعمل على نشر الوعي والثقافة الدينية بعيداً عن المزايدات والمهاترات والانفعالات غير المنضبطة، وأن تعكس الصورة الحضارية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام بطريقة ننفتح من خلالها على كل القراء بمختلف المشارب والتوجهات، انطلاقاً من قول الله تعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل: من الآية١٢٥) وكلمة ثامن أئمة أهل البيت الإمام علي الرضا عليه السلام حيث قال لعبدالسلام بن صالح الهروي: (رحم الله عبداً أحيا أمرنا. فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا).

ووقع الاختيار على (منتقى الجمان) عنواناً للصفحة التي تشتمل على ما معدله سبعة أبواب، والرئيسية منها: كلمة العدد، من روائع نهج البلاغة، ابتهال، والمسائل الشرعية. أما بقية الأبواب فشارك فيها أحياناً بعض الكتاب من العلماء والأخوة والأخوات والشباب الذين أكنّ لهم كل الشكر والتقدير على تفاعلهم الإيجابي.

ويمثِّل هذا الكتاب ٥٢ مقالة (كلمة رئيسية) نُشرت على مدار السنة الأولى، ابتداءً من الأول من محرم من عام ١٤٢٨ هـ الموافق ٢٠ يناير ٢٠٠٧، على أن يُستتبع بكتاب آخر مخصص لكل الكلمات الرئيسية المنشورة في العام الثاني بإذن الله تعالى.

وأنتهز هذه الفرصة لأتقدم بجزيل الامتنان للقائمين على صحيفة الوطن على ترحيبهم بالصفحة، ولما قدّموه من تسهيلات وتجاوبهم مع بعض الاقتراحات التي كنت أقدِّمها لهم من حين لآخر فيما يتعلق بذات الصفحة، وأسأل الله تعالى أن يكتب لي الاستمرار في هذا العطاء الذي أشعر أنه مسئولية كبيرة تتطلَّب المزيد من الاهتمام والمزيد من العمل، كما أتمنى أن تحذو سائر صحفنا المحلية حذو هذه الخطوة المتميزة ـ ولعلها غير المسبوقة في الكويت ـ وتفسح المجال أمام المهتمين بالكتابة في هذا الإطار وضمن مساحات كافية وصفحات ثابتة، فتحقق من خلال ذلك المصداقية الحقيقية لحرية القلم والصحافة وتكافؤ الفرص في ديرتنا العزيزة.

علي حسن غلوم علي ـ الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

لماذا منتقى الجمان ؟

١ محرم ١٤٢٨ هـ / ٢٠ يناير ٢٠٠٧

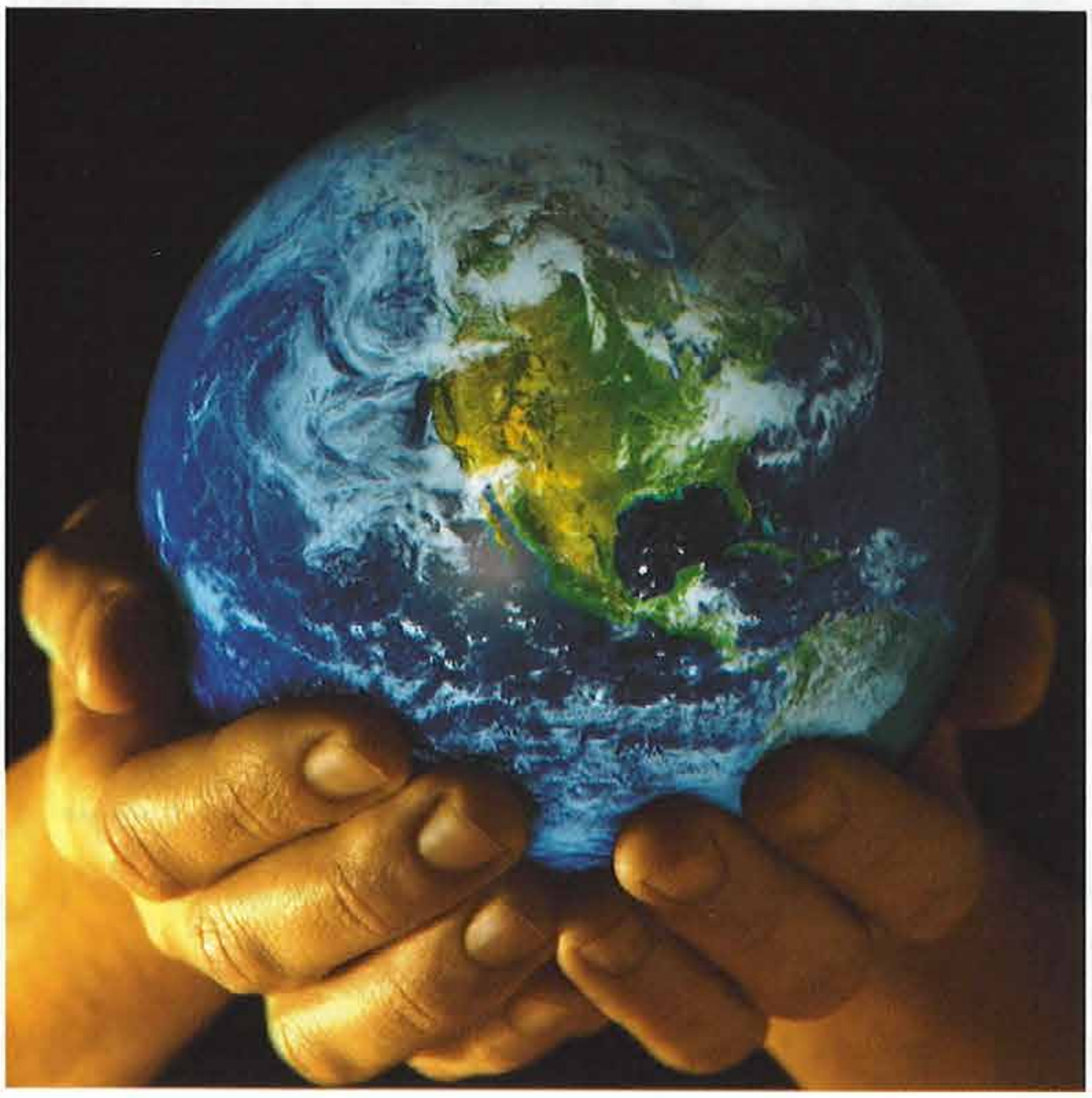

الأرقام المتعلقة بالإنفاق على الإعلام والدعاية والإعلان مذهلـــة، ولعل الأمثلة التالية تؤكد ذلك: في عام ٢٠٠٠ أنفقـــت الولايات المتحدة الأمريكية وحدها ما يقارب ٢٩١ مليار دولار في المجال الإعلاني، كما أنفقت ٥٦٦ مليار دولار في مجال صناعة المعلومـــات وذلك في عام ١٩٩٤، بينما كان إنفاق أوروبا في ذات المجال وفي نفس العام ما يعادل ٥٤٤ مليار دولار. وفي عام ١٩٩٨ بلغت قيمة الإنتاج الثقافي والفني الأمريكي المصدَّر إلى الخارج حوالي ٦٠ مليار دولار!

ولو تنقلنا من موقع إلى آخر على خريطة العالم، فإن الأرقام ستتأرجح في عملية تناسبية لها معطيات مختلفة تكشف عن مدى: القوة الاقتصادية، والوضع السياسي، انفتاح المجتمع، طبيعة الدين والثقافة فيه، المستوى العلمي والتعليمي في البلد.. إلخ.

وبمقدار ما كان الإنفاق على الإعلام ـ مع مراعـــاة عدد السكان ـ أكبر، بمقدار ما كشف ذلك عن حيوية المجتمع وفاعليته وتفاعله مع الأحداث الداخلية والمتغيرات الخارجية، ومدى نجاح الماكنة الإعلامية في توجيه الرأي العام إيجاباً أو سلباً.

• بمقدار ما كان الإنفاق على الإعلام أكبر، بمقدار ما كشف ذلك عن حيوية المجتمع وفاعليته

• إن العولمة الثقافية ليست سوى نقلة نوعية في تاريخ الإعلام تعزز سيطرة المركز الأمريكي على الأطراف ثم على العالم

• الغياب الإعلامي أو ضعف الأداء في عالمنا اليوم يعني ـ وبكل بساطة ـ إلغاء الجهة المعنية أو تهميشها

وإذا كان بعض المختصين قد اعتبروا أن الإعلام ـ اليوم ـ يرقى ليحتل دور الشريك في التطوير التنموي وتحريك الفعاليات المختلفة الحكومية والشعبية، فإن العولمة التي ولج فيها العالم خلال العقد الأخير أعطت مدى أرحب و «أخطر» للإعلام. وهذا ما أكّده المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي حين قال: (إن العولمة الثقافية ليست سوى نقلة نوعية في تاريخ الإعلام تعزز سيطرة المركز الأمريكي على الأطراف ثم على العالم). كما أخذ آخرون يحذرون من التدفق «الإغراقي» للإعلام والذي يتم من سيل المنتج الإعلامي الغربي المتدفق على العالم الثالث الذي ما زال «نامياً»، والله وحده يعلم إلى متى ستبقى هذه الدول نامية.

وعلى كل، فإن الغياب الإعلامي أو ضعف الأداء في عالمنا اليوم يعني ـ وبكل بساطة ـ إلغاء الجهة المعنية، سياسية كانت أو دينية أو اجتماعية.. إلخ، أو تهميشها، علاوة على زيادة علامات الاستفهام والشكوك حولها. بل وقد تحاك من حولها الأساطير والخرافات كنتيجة حتمية للجهل بالواقع، ولأسلوب عامة الناس في التعامل مع الجديد والغريب والآخر المختلف معهم، حيث يسلّمون عقولهم لمن يكوّن لهم قناعاتهم في هذا الإطار دون أن يبذلوا جهداً ذاتياً للوصول إلى المعلومة الصحيحة من مصادرها الطبيعية. كما قد تتدخل رغبة الآخرين في إلغاء تلك الجهة أو السعي لتهميشها في المجتمع في تكوين الصورة السلبية لها من خلال الإساعة والتضليل الإعلامي، لاسيما إذا كان الإعلام المقابل مدروساً ومخططاً له بدقة ويُنفق عليه بسخاء.

وقد يسعى الآخرون لإبراز نقاط الضعف أو موارد الخلل في تلك الجهة فيصوَّر الأمر وكأنه الصورة المكتملة والواقع كله، ليقطع طريق الحوار والتفاهم والتعاطي الثقافي بأسلوب حضاري هادئ، ويفرض القطيعة

• صفحة «منتقى الجمان» تهدف لتقديم الفكر الإسلامي الحضاري المستوحى من كتاب اللّه ومدرسة النبي محمد وأهل بيته

المنطلقة من الانكماش النفسي الحاصل بسبب الصورة المشوهة التي قُدمت على أنها الواقع بعينه.

ومن هنا جاءت فكرة هذه الصفحة الأسبوعية «منتقى الجمان» والتي تهدف لتقديم الفكر الإسلامي الحضاري المستوحى من كتاب الله العزيز والمدرسة الإيمانية والروحية والأخلاقية والعملية التي طرحها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من آل البيت عليهم السلام، استجابة لدعوته حيث قال: (وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به). فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: (وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي). صحيح مسلم باب من فضائل علي رضي الله عنه.

ومن خلال «منتقى الجمان» سنسعى بإذنه تعالى لتقديم الطرح الهادئ والمتزن لفكر مدرسة أهل البيت عليهم السلام بعيداً عنٍ الإثارة والهمز واللمز، إيماناً بضرورة تفعيل الخطاب الإلهي (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) (النحل:١٢٥)، وسعياً لتقريب وجهات النظر مع الآخرين، ومن خلال عرض مادة ثقافية سلسة متنوعة تخاطب الأذواق المختلفة، ومكوّنات المجتمع الواحد.

أتوجه أخيراً إلى القائمين على صحيفة الوطن بالشكر والتقدير على منحهم هذه الفرصة، ونسأل الله التوفيق.



عاشوراء الوحدة

٨ محرم ١٤٢٨ هـ / ٢٧ يناير ٢٠٠٧

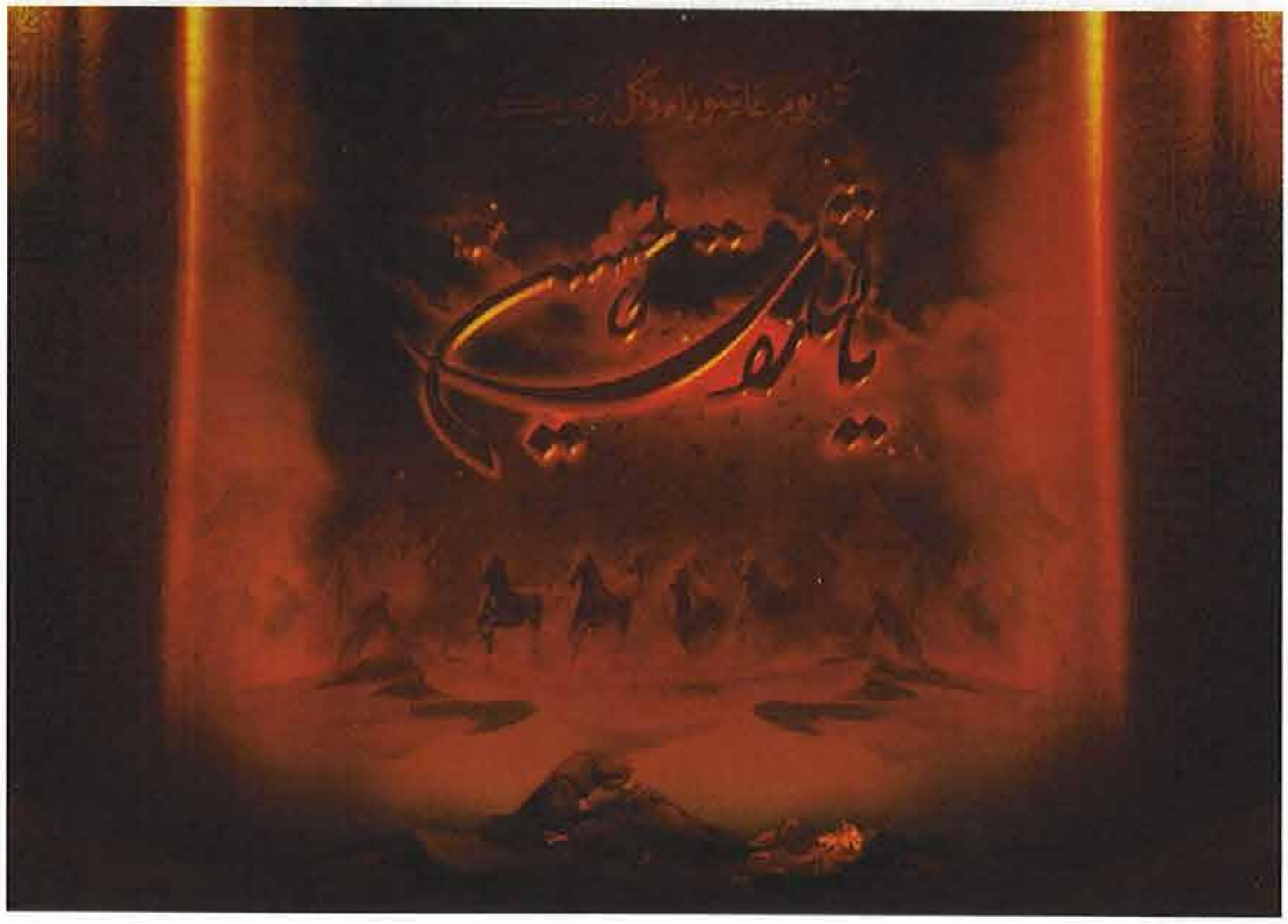

• لا نحمّل السنة المعاصرين مسئولية ما جرى على الشيعة سلبياً من قبل الذين التزموا المذهب السني في التاريخ

الحاضر ـ في كل مواقعه ـ لا يعيش انفصالاً عن التاريخ، وهو نتاج الماضي، ومن يرد أن يتحرك على أرض الواقع يحتاج إلى النقاط المضيئة في حركة التاريخ، ليستلهم دروس الحياة ويتخذ المواقف المناسبة، فضلاً عن أن مسألة استعادة التاريخ عن طريق إحياء ذكراه هو أمر إنساني حضاري تحافظ عليه الشعوب والمجتمعات.

ولكن هل يعني ذلك أن يعيش الإنسان التاريخ كعقدة لايستطيع أن ينفك عنها، فتتحول كل ذكرى إلى أزمة جديدة في واقع الأمة، تنطلق من خلال توزيع التهم، وتحريك نقاط الاختلاف، والتفنن في ممارسة السب واللعن على أساس تفجير الغيظ وتنفيس الأحقاد؟

بل هل نتحمل نحن مسئولية الماضي سلباً أو إيجاباً؟ ذلك الماضي الذي صنعه رجالاته ضمن ظروف محددة؟ وهل نحمّل الآخرين ـ وفق انتمائهم ـ سلبيات التاريخ وما جناه أسلافهم؟

القرآن الكريم صريح في هذا الإطار إذ يقول الله عزوجل (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (البقرة:١٤١).

وعلى هذا لا يتحمل الشيعة ـ في الحاضر ـ مسئولية السلبيات التي عاشت في دائرة الخلاف السني الشيعي

في الماضي، ولا نحمّل السنة المعاصرين مسئوليةً ما جرى على الشيعة سلبياً من قبل الذين التزموا المذهب السني في التاريخ.

• الحسين لم يخرج لفئة على حساب فئة، ولم يخرج ليجيِّر لفئة ضد فئة

إذا تعامل المسلمون مع قضية عاشوراء على أنها مناسبة موجهة ضد السنة من قبل الشيعة، فذلك يعد خطأً في فهم حركة التاريخ، وإدراك حقيقة المسئولية التي يتحملها الفرد تجاه الماضي والحاضر، فضلاً عن سوء فهم لقيم وأهداف الثورة الحسينية، فالحسين لم يخرج لفئة على حساب فئة، ولم يخرج ليُجيِّر لفئة ضد فئة، ولم تكن حركته حركة شيعية ضد أهل السنة، ولم يكن يزيد وابن زياد يمثلان أهل السنة في جريمتهما التاريخية ، ليتراشق الفريقان اليوم بالتهم والكلمات العنيفة، وليبحث كل منهما عمن يتحمل مسئولية الجريمة، الشيعة أم السنة.. ومن الضحية ومن الجلاد.. التشيع أم التسنن.. بل كانت حركة ذات أهداف واضحة أعلنها الإمام الحسين عليه السلام بكل صراحة وفي أكثر من موقف ، ولم يؤطرها بأي إطار فئوي أو مذهبي ، بل قال (وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله وسلم، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين).

• من الخطأ أن يتعامل المسلمون مع قضية عاشوراء على أنها موجهة ضد السُنة

• كانت ثورة الحسين ثورة الحق على الباطل، وثورة العدل على الظلم

كانت ثورة الحسين عليه السلام ثورة الحق على الباطل، وثورة العدل على الظلم، وثورة الحرية على الاستعباد، وكانت حركته منطلقة من واقع أمة جده صلى الله عليه وآله وسلم بكل تنوعاتها، وكانت أهدافها تصب في مصلحة كل من ينتمي إليها، ولذا كان التفاعل الإيجابي مع حركة الإمام الحسين عليه السلام والذي جرى على أرض كربلاء، خير شاهد على شمولية هذه الحركة، فلقد

• التفاعل الإيجابي الذي جرى على أرض كربلاء خير شاهد على شمولية حركة الإمام الحسين

انضم لأنصار الحسين من والعباسيين وغيرهم.
كان عثماني الهوى كزهير إذا أدركنا ذلك فلن تتحول
ابن القين، كما قاتل تحت مناسبة إحياء ذكرى عاشوراء
لوائه من كان علوي الهوى أمراً مذهبياً يثير البعض على
كحبيب بن مظاهر، لأنهما البعض الآخر، بل ستضحى
فهما حقيقة الثورة الحسينية حركةً تجمع الذين اختلفوا في
ومنطلقاتها السامية. وهكذا التفاصيل، ليأتلفوا على أرض
تشهد على هذه الحقيقة سائر واحدة وكلمة سواء تنبع من
الثورات التي لحقت الثورة ضمير الإنسان، وتتوافق مع
الحسينية، والتي انطلقت القيم الإنسانية الراسخة في
من داخل البيت الأموي وجدان كل أمة تجد للحياة
ومن الخوارج والعلويين قيمة تستحق التضحيات.

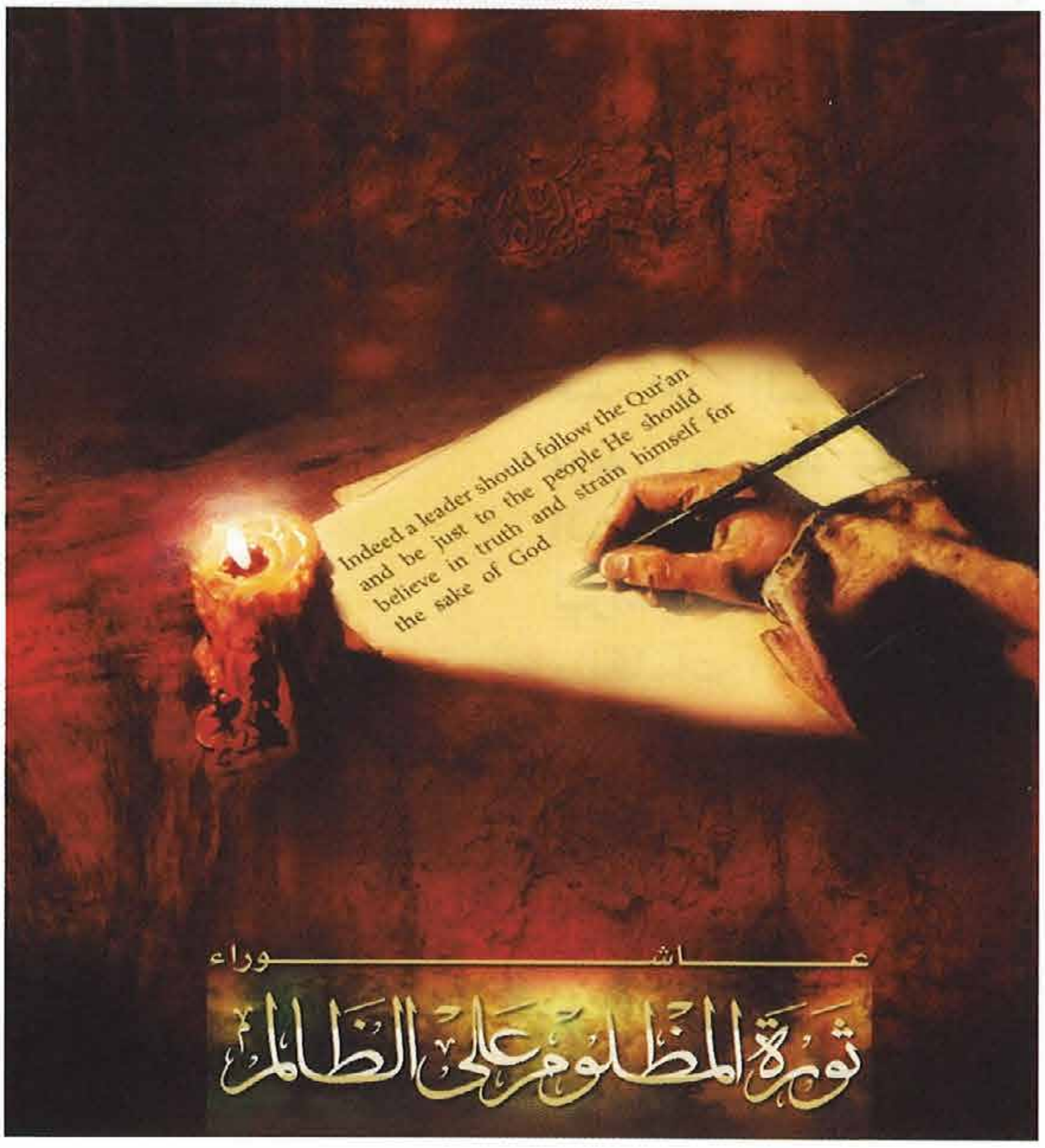

• ذكرى عاشوراء ينبغي أن تكون حركة تجمع الذين اختلفوا في التفاصيل ليأتلفوا على أرض واحدة

حبٌّ تربَّع على عرش القلوب

١٥ محرم ١٤٢٨ هـ / ٣ فبراير ٢٠٠٧

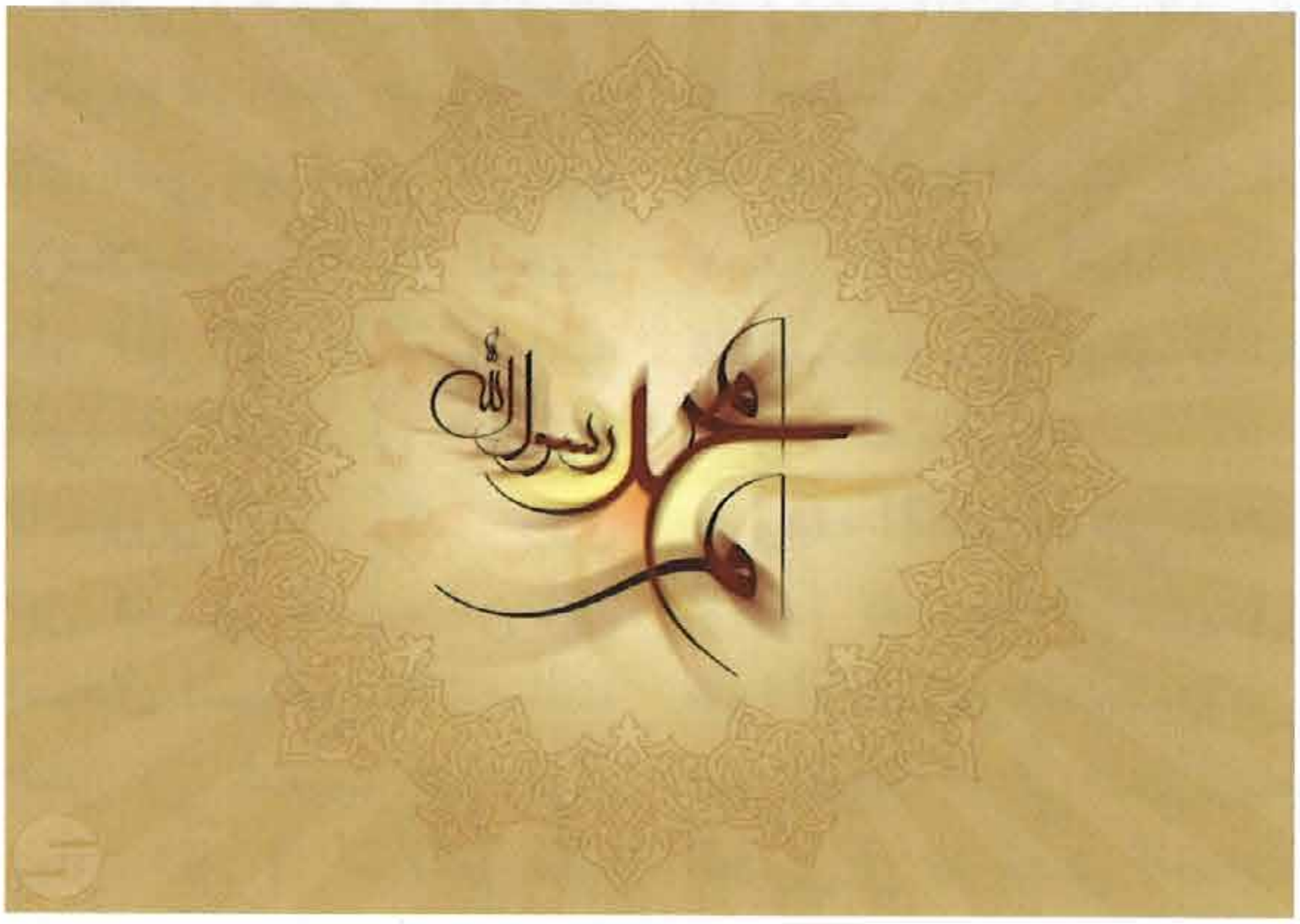

ليس من السهل أن تغزو قلوبِ الآخرين، فتجد لنفسك موقعاً تستقر فيه فتستمكن دون أن تتلاشى تلك المكانة بمرور الأيام، فتتضاءل حرارة تلك المشاعـــر، وتختفـــي صورتك في دهاليز الزمان، وتضيع في زحمة العلاقات، فضلاً عن أن تبقى تلك المشاعر حية تتناقلها الأجيال وكأنها تتوارث كنزاً ثميناً أو إرثاً مقدساً.

قد يخلّدك التاريخ كمخترع، أو مؤلف، أو فاتح، أو غير ذلك من العناوين.. ولكن أن تخلُد تلقائياً في القلوب فتتربع على عروشها، فذلك شئ آخر.

ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا أن يطهر قلبك وتصفو مشاعرك تجاه الناس - في زمانك - وتتخطاه إلى كل الأجيال اللاحقة التي لو عشت معها لوجدت قلبك لا يحمل نحوها إلا كل الحب والرحمة ودفأ المشاعر.

هكذا كان قلب رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم كبيراً اتسع لكل الناس، حتى للذين آذوه، دون تصنّع وافتعال - وإلا لكشف الزمان ذلك - فكانت مشاعره نابعة من قلب ملائكي لم يعرف الحقد، ولم يعهد الخيانة، ولم تكن فيه فسحة لغل أو حسد أو نفاق أو مصلحية، فترجم القرآن طهارة قلبه في قوله عز اسمه (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ

• اتسع قلبه النبي لكل الناس، وكانت مشاعره نابعة من قلب ملائكي لم يعرف الحقد

• اعتبر القرآن أن حب الناس لأهل البيت جزء من هويتهم الإسلامية

• حب الناس للنبي وآله لم يكن حباً مصطنعاً أو فريضة يشعرون بثقلها

• استطاع أهل البيت أن يؤصّلوا ما جاء به النبي في حياتهم

حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (التوبة:١٢٨).

حب آل البيت :

وعلى الرغم من أن القرآن الكريم قد اعتبر حب الناس لآل النبي جزءً من هويتهم الإسلامية، وامتناناً لرسول الله (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (الشورى:٢٣)، وقد روى ابن كثير في تفسيره عن أبي إسحاق السبيعي قال: سألت عمر بن شعيب عن قوله تعالى: (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) فقال: قربى النبي... إلا أن هذا الحب الذي تربع في القلوب فاستمكنٍ فيها عبرِ القرون لم يكن حباً مصطنعاً، أو فريضة يشعر معها الإنسان بثقل المسئولية فيتكلّف في أدائها، بل لأنهم - عليهم السلام - وسعوا الناس بقلوبهم، فاتسعت لهم قلوب الناس.

روى سفيان بن عيينة أنه سأل المحدث المعروف الزهري إن كان قد لقي الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام فقال: (نعم لقيته، وما لقيت أحداً أفضل منه، والله ما علمت له صديقاً في السر، ولا عدواً في العلانية! فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: لأني لم أر أحداً - وإن كان يحبه - إلا وهو لشدة معرفته بفضله يحسده، ولا رأيت أحداً - وإن كان يبغضه - إلا وهو لشدة مداراته له يداريه).

وهذه الكلمات هي ترجمة لمواقف تلمسها الزهري في سيرة الإمام زين العابدين، من قبيل الموقف التالي الذي رواه الطبري في تاريخه في أحداث سنة ٨٧ هـ عن عبدالله ابن محمد قال: (كان هشام بن إسماعيل يسئ جوارنا ويؤذينا، ولقي منه علي بن الحسين أذى شديداً، فلما عُزل أمر به الوليد أن يوقَف للناس. فقال: ما أخاف إلا من علي ابن الحسين. فمرّ به علي وقد وقف عند دار مروان، وكان علي قد تقدم إلى خاصته أن لا يعرض له أحد منهم بكلمة، فلما مرّ ناداه هشام ابن إسماعيل: الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقد زاد ابن فياض في كتابه بياناً حيث قال (إن

• مسئوليتنا أن نعيش الصفاء في الروح، والصدق في الأحاسيس، والسمو في العلاقات تطبيقاً لمفهوم المشايعة والمتابعة

• من دعاء الإمام زين العابدين: اللهم وسددني لأن أعارض من غشني بالنصح، وأجزي من هجرني بالبر، وأثيب من حرمني بالبذل

زين العابدين أنفذ إليه وقال: انظر إلى ما أعجزك من مال تؤخذ به، فعندنا ما يسعك، فطب نفساً منا ومن كل من يطيعنا).

هذه المواقف انعكست في كلماته ودعائه أيضاً إذ كان يقول: (اللهم وسددني لأن أعارض من غشني بالنصح، وأجــزي من هجرني بالبر، وأثيب من حرمني بالبذل، وأكافي من قطعني بالصلة، وأخــالف من اغتــابني إلى حسن الذكر، وأن أشكر الحسنة، وأغضي عن السيئة).

أيُّ سموٍّ هذا الذي يرتفع به الإنسان عن كل التعقيدات الموجودة في نفسه أمام الذين يطلقون العقدة في حياته؟! ولكن أهل البيت عليهم السلام هم كرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أخلاقهم، كما هم كذلك في سلوكهم واستقامتهم، فلقد عاشوا رسول الله نسبا وفكرا وروحاً ومنهجاً، واستطاعوا أن يؤصّـلوا ما جاء به النبي في حياتهم وحياة الآخرين، فتربع حبهم على عرش قلوب الناس عبر الزمان.

ومسئوليتنا ـ نحن ـ أن نعيش هذا الصفاء في الروح والصــدق في الأحاســيسِ والسمو في العلاقات، تطبيقا لمفهــومِ المشايعــة والمتــابعة، وتحقيقا للآية الشريفة (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (آل عمران:٣١).



إشكالية التعارض بين الدين والعلم

٢٢ محرم ١٤٢٨ هـ / ١٠ فبراير ٢٠٠٧

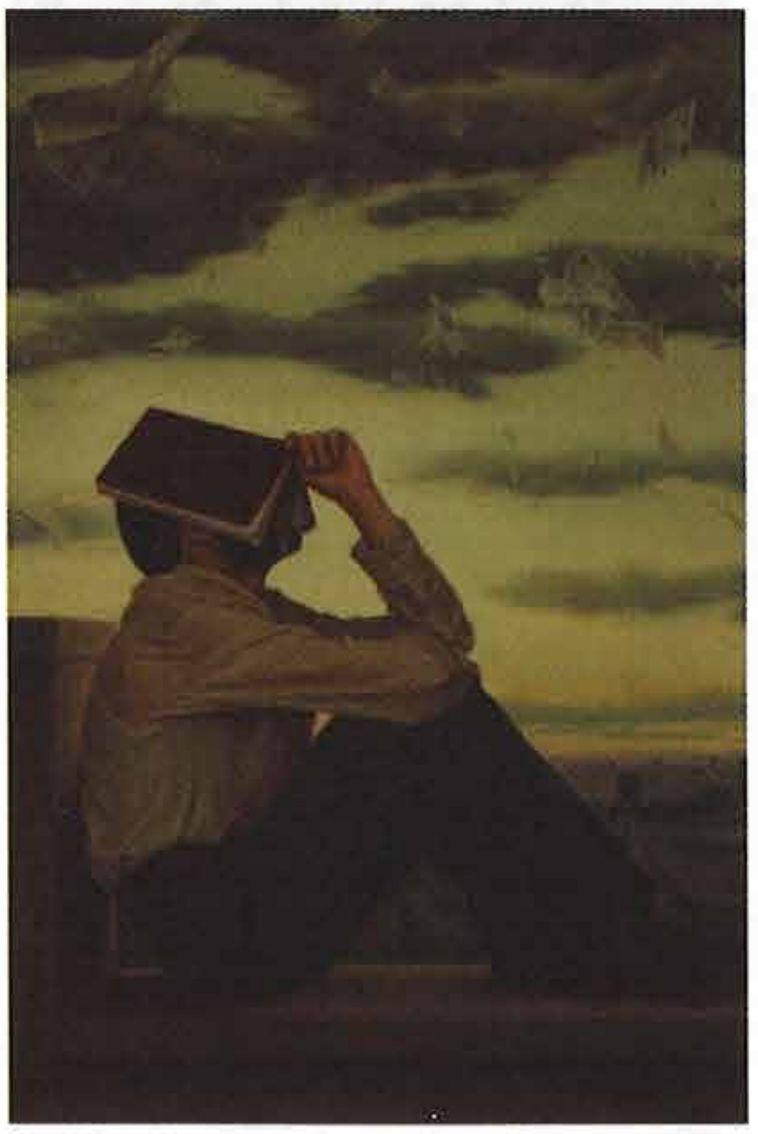

• الإسلام دين العقل وهو يستحث العقل البشري من أجل تسخيره فيما يعود عليه بالنفعين الروحي والمادي

• الإسلام يحترم العلم ويشجع عليه ويحترم التجربة البشرية التي تستطيع تسخير القوانين الإلهية لمصلحة الإنسان

هل يمكن أن يقع التعارض بين النص الديني والحكم العقلي، وبين النص الديني والنتائج والقوانين العلمية؟ ثم لو فرضنا وقوع ذلك، فأيها نقدم؟

لبيان الإجابة على هذه التساؤلات نحتاج إلى مقدمات:

ـ المقدمة الأولى:

الإسلام دين العقل، وهو يستحث العقل البشري من أجل تسخيره فيما يعود على الإنسان بالنفع على المستوى المادي والروحي، لدنيا الإنسان وآخرته. وقد ذكر القرآن الكريم العقل في آيات عديدة تأكيداً على قيمة النتائج العقلية والأحكام الصادرة عنه، من قبيل الآيات التي ورد فيها (تعقلون ـ يتدبرون ـ يا أولي الألباب ...).

كما أن الإسلام يحترم العلم ويشجع عليه، ويحترم التجربة البشرية التي تستطيع أن تصل إلى النتائج الحاسمة فتسخّر القوانين التي أودعها الله في الكون لمصلحة الإنسان، بما يشمل:

١ ـ العلوم الإنسانية (وهي العلوم التي تعنى بالإنسان ومشاعره وتاريخه والقيم، كعلم الأخلاق والفلسفة والتاريخ والسياسة والفنون ... إلخ) والنصوص الإسلامية تحدثت في التاريخ والسياسة والأخلاق وغيرها وأعطت أبعاداً جديدة لها.

٢ ـ العلوم الطبيعية (التي تعنى

• تعرضت النصوص الإسلامية إلى كثير من فروع العلوم الإنسانية والطبيعية

• الإسلام يؤكد على أن الكون قائم على قوانين ونظم إلهية، وليس على الغيبيات فقط

• أفرط بعض الإسلاميين في التفسير الغيبي لبعض الحوادث الأرضية والكونية

بالطبيعة بغض النظر عما ذكرناه في العلوم الإنسانية، كالطب والصيدلة والفلك والفيزياء والكيمياء... إلخ). وقد تعرضت النصوص الإسلامية لكثير من فروع العلوم الإنسانية والطبيعية بالشرح والتوضيح من قبيل قوله تعالى (وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً) (النبأ:٧) و (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ)(الزمر: من الآية٦)، وحديث (التوحيد) الذي رواه المفضل بن عمر عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام (ت ١٤٨ هـ) ويحتوي على حقائق علمية رائعة.

ـ المقدمة الثانية :

الإسلام ليس قائماً على الغيب فقط (كالآخرة والملائكة والجن... إلخ، ولا على التفسير الغيبي للحوادث فقط (كالعذاب والانتقام والمعجزة ... إلخ)، بل إنه يؤكد على أن الكون بما فيه وبمتغيراته قائم على قوانين ونظم أودعها الله سبحانه فيه، وأن هناك قوانين (سنن) تحكم الكون وحركة التاريخ والعلاقات الاجتماعية، والله سبحانه هو الذي أودعها، وأن الأساس في حركة الكون وتفاعلاتها هو القوانين الطبيعية، لا ما وراء الطبيعة، وأن التغيرات الحادثة من قبيل المرض والصحة والزلازل والبراكين والفيضانات والكسوف والخسوف إنما هي نتاج القوانين الطبيعية التي أودعها الله في مخلوقاته، أما ما كان من قبيل شفاء المرضى على يد النبي عيسى عليه السلام فهو الحالة الاستثنائية.

وقد أفرط بعض الإسلاميين في التفسير الغيبي لبعض الحوادث الأرضية والكونية فاعتبروها عذاباً، كما أخطأ بعضهم بإنكار الحقائق العلمية التي توصل إليها الإنسان، من قبيل حقيقة الاستنساخ، بادعاء تعارضها مع قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى) (الحجرات: من الآية١٣) على اعتبار أن الاستنساخ يستغني عن أحد الجنسين في

• فرق بين النتائج العلمية اليقينية من جهة والنتائج الظنية من جهة أخرى

• من النصوص الدينية ما هو قطعي الصدور كالقرآن، ومنها ما هو موضوع كبعض الأحاديث

• نقدّم النتيجة العلمية اليقينة على النص الديني من خلال إعادة دراسة النص

توليد الجنين، في الوقت الذي يعتبر فيه الاستنساخ تسخيراً لقوانين أودعها الله في خلقه، لم يكتشفها الإنسان إلا مؤخراً.

ـ المقدمة الثالثة :

هناك فرق بين النتائج العلمية اليقينية من جهة والنتائج الظنية من جهة أخرى، فقد تصل البحوث والتجارب والنتائج المخبرية إلى حد اليقين (١٠٠ ٪) كما في البصمة الوراثية وكروية الأرض ودورانها، وقد تكون النتائج غير يقينية كما في قضية تطور الإنسان من القرد. كما أن العقل يمكنه أن يصل إلى الاستنتاج الصحيح في كثير من الموارد، إلا أن الإنسان قد يقع في فخ خطأ المقدمات الموصلة لتلك النتائج.

ـ المقدمة الرابعة:

من النصوص الدينية ما هو قطعي الصدور كالقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل، ومنها ما هو موضوع. كما أن منها ما هو محكم (معناه واضح غير قابل لتفسير آخر)، ومنها ما هو متشابه (يحتمل أكثر من معنى).

والآن بعد استعراض المقدمات الأربع نقول أن بأيدينا عدة تصورات للموضوع:

١ ـ إذا كانت النتيجة العلمية من اليقينيات (١٠٠ ٪)، وكان في البين نص ديني يقيني الصدور ويبدو منه التعارض، فنقدم عندها النتيجة العلمية على النص الديني، لا بمعنى إلغاء النص، بل بمعنى أننا اجتهدنا لفهم النص الديني فكان فهمنا قاصراً أو خاطئاً، لأنه لا يمكن أن يقع التعارض بين ما أودعه الله سبحانه من قوانين في الكون، وبين ما يخبرنا به الله تعالى. ومثال ذلك قضية الاستنساخ، فهي يقينية بدليل حدوثها في الواقع، وآية (إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذكرٍ وَأُنْثَى) والتي لابد أن نعيدً فهمنا لمدلولها بما لا يتعارض مع الحقيقة العلمية التي توصل إليها الإنسان.

٢ ـ وقد نرفض النص الديني أصلاً في حال التعارض، في حال كون صدور ذلك النص غير يقيني، كبعض الأخبار التي تحكي عن أن الأرض

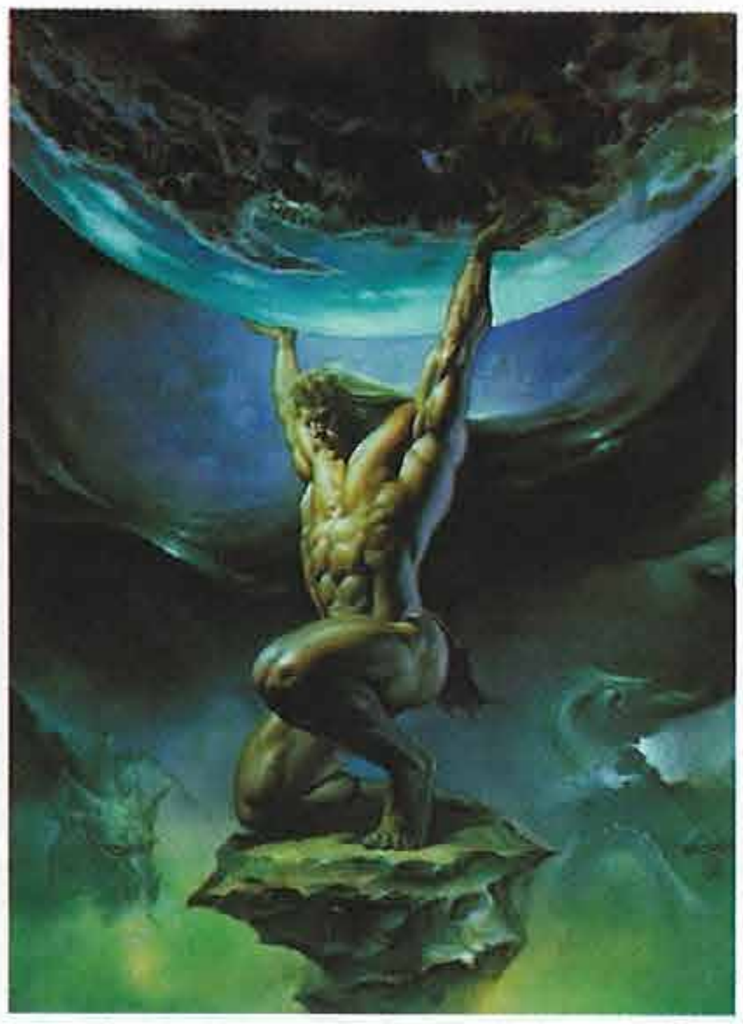

معلقة على قرني ثور.

٣ ـ إذا تعارضت النظرية العلمية مع النص الديني الحكم الذي لا يحتمل معنى آخر، فنقدم عندها النص الديني على النظرية العلمية، من قبيل النصوص الدالة على بداية البشرية بآدم عليه السلام، وخلق آدم من تراب، دون التعرض لمسألة التطور من القرد أو غيره في البين، مما يعني رفض نظرية داروين بهذا الخصوص.

٤ ـ إذا كان الحكم العقلي يقينياً (الظلم قبيح، والله منزه عن كل قبيح، فالنتيجة أن الله منزه عن كل ظلم) فلابد عندها من فهم النص الديني(فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ)(فاطر: من الآية٨) وفق الحكم العقلي السابق، بمعنى أن الإنسان يختار لنفسه إغلاق كل منافذ الهداية، فيتركه الله ونفسه فيستغرق في الضلالة. وما قمنا به هنا يعتبر تقديماً للحكم العقلي الحاسم على النص الديني، لا بمعنى إنكاره، بل بمعنى إعادة فهمه وتفسيره.

وخلاصة القول أننا لا يمكن أن نتصور وقوع تعارض حقيقي بين الدين والعقل ، وبين الدين والعلم ، لأنها بأجمعها من عند مصدر واحد وهو الله سبحانه وتعالى ، الذي خلق الكون وقوانين حركته ، وأرسل إلينا الأنبياء هادين ومبيّـنين .

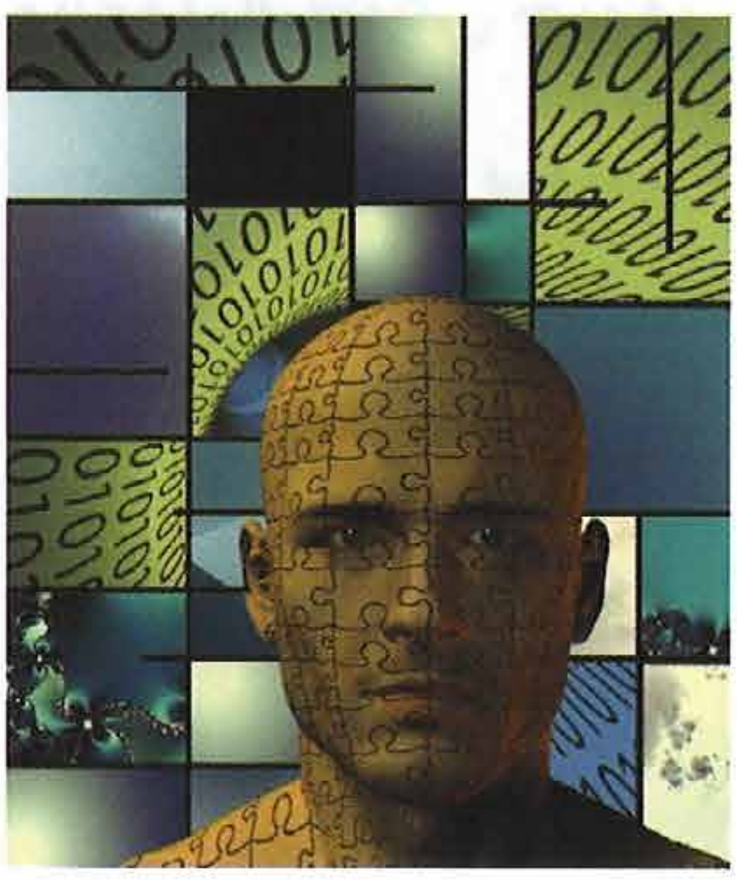

• الحكم العقلي اليقيني يدفعنا إلى فهم النص الديني بشكل صحيح

• لا يمكن أن نتصور وقوع تعارض حقيقي بين الدين والعقل، وبين الدين والعلم، لأنها كلها من عند مصدر واحد وهو الله العليم الحكيم

العمل التطوعي

٢٩ محرم ١٤٢٨ هـ / ١٧ فبراير ٢٠٠٧



العمل التطوعي جزء من هوية الإنسان المسلم، بمعنى أن هذه الشخصية لا تكتمل إلا بنهوض صاحبها بهذه المسئولية، وباعتباره ضريبة الحياة وزكاة النعم الإلهية التي يرفل فيها الإنسان.

• العمل التطوعي جزء من هوية المسلم، وهو يرتبط بالصراع بين الأثرة والإيثار

وإذ كان العمل التطوعي يعني التعب الذاتي في مقابل إراحة الآخرين، فإنه بالتالي يرتبط بالصراع بين الأثرة والإيثار، وهو مصداق قوله سبحانه (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)(الحشر: من الآية٩).

ولا يقتصر اتجاه العمل التطوعي في المنظور الإسلامي على خدمة الإنسان، بل يشمل الوجود المادي الذي يعيش فيه الإنسان بمكوناته المختلفة، ومثاله ما روي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (ما من مسلمٍ يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له به صدقة).

وإن كان العمل التطوعي المخلِص ينبع من إنسانية الإنسان، إلا أن الإسلام قد أعطاه أبعاداً أخرى أملاً في تحقيق السعي والسبق والمسارعة التي عبرت عنها النصوص الإسلامية في هذا المجال، وذلك من قبيل: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ)(البقرة: من الآية١٤٨)، (يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ)(الأنبياء: من الآية٩٠)، (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في

• أعطى الإسلام للعمل التطوعي المخلص أبعاداً أخروية ودنيوية أملاً في تحقيق السعي والسبق والمسارعة

• في سيرة النبي محمد والإمام علي والصحابة نماذج رائعة من العمل التطوعي

سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار) النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن هذه الأبعاد:

* المكافأة في الدنيا من خلال دفع البلاء عن المتطوع ـ إطالة عمره ـ جعل البركة في وقته ـ توفيق الآخرين لمساعدته ـ السمعة الطيبة.. إلخ.

* المكافأة في الآخرة بالنعيم أو دفع جزء من العقاب.

وقد تلخص البعدان في قوله عز اسمه (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل:٩٧).

نماذج رائعة:

ـ النبي يتطوع لرفع معاناة محتاج: روي أن رجلاً من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يطلب منه المساعدة لفقره، فقال النبي: أما في بيتك شيء؟ قال الرجل: بلى، حلس (فراش) نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه من الماء. قال: ائتني بهما. فأتاه الرجل بهما، فأخذهما رسول الله بيده وقال: من يشتري هذين؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. قال: من يزيدٍ على درهم؟ مرتين أو ثلاثاً! قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين. فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري وقال: اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوماً (فأساً) فأتني به. فأتاه به فشد فيه رسول الله عوداً بيده، ثم قال له: اذهب فاحتطب وبِعْ، ولا أرينك خمسة عشر يوما. فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم! لاحظ كيف تطوع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لرفع معاناة الفقير من خلال المزاد الذي أقامه، ثم الفأس الذي اقترحه وصنعه، وهو الحاكم والنبي وسيد البشر!

ـ الإمام علي يحفر الآبار ويزرع: اهتم أمير المؤمنين عليه السلام بالعمل التطوعي قبل خلافته وبعدها، فعُرف عنه أنه إذا فرغ من أشغاله بادر لحفر الآبار أينما وجد لذلك حاجة، وأوقف بعضها على الحجاج، ومنها: عين البيحر،



جبير، خيف ليلي، خيف بسطاس، نولا، أبي نيزر، البغيبغة، أرينة، بئر الملك، والآبار المعروفة عند ميقات مسجد الشجرة حتى سميت المنطقة باسم (أبيار علي).

كما اهتم عليه السلام بالزراعة تطوعاً، وفي خبر أنه كان يحملِ الوسق (٦٠٠ كجم تقريباً) فيه ثلاثمائة ألف نواة، فيقال له: ما هذا؟ فيقول: ثلاثمائة ألف نخلة إن شاء الله، فيغرس النوى كلها، فلا تذهب منه نواة.

- زوجة ابن أبي أوفى: لما وصل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قرية قباء وهو في طريق هجرته إلى المدينة المنورة، استقر فيها بضعة أسابيع، فبنى أول مسجد في الإسلام، وهو مسجد قباء، وقد نقل لنا أحد أبناء هذه القرية صورة رائعة للعمل التطوعي النسائي، إذ كانت امرأته تحمل الحجارة ليلاً مساهمةً منها في هذا البناء... قال ابن أبي أوفى حين توفيت زوجته: احملوها، وارغبوا في حملها، فإنها كانت تحمل ومواليها بالليل حجارة المسجد الذي أسِّس على التقوى.

لاحظ كيف استطاع الإسلام أن يغير الإنسان وفي فترة قياسية، من موجود أناني يعيش (للأنا) إلى إنسان تفيض به المشاعر، ويعيش روح الجماعة، ويسارع إلى الخير.



• زوجة الصحابي ابن أبي أوفى كانت تحمل الحجارة ليلاً مساهمةً منها في بناء أول مسجد في الإسلام

• استطاع الإسلام أن يغير الإنسان في فترة قياسية من موجود أناني إلى إنسان تفيض به المشاعر ويسارع إلى الخير

تأملات في الشخصية الإسلامية ـ ١

٦ صفر ١٤٢٨ هـ / ٢٤ فبراير ٢٠٠٧



انطلاقاً من أن (تفكر ساعة خير من عبادة سبعين عاماً) نحتاج إلى وقفة تأمل في واقع الشخصية الإسلامية في عالمنا المعاصر، وكيف تمت صياغتها، وهل تحمل روحية الإنسان المسلم الذي يريد أن يحمل مسؤولية الحياة على كتفيه، أو أنها تحمل روحية الإنسان المسلم الذي يريد أن يبقى حاملاً هموم الحياة وآلامها دون تطلعاتها؟

يلاحظ المتأمل عدة ظواهر سلبية تحتاج إلى تقييم وتقويم، ومن مفرداتها:

الروح الباكية:

(لقد أدمنّا الدموع حتى أصبحت جزءً من شخصيتنا!) مقولة صادقة تترجم واقع الشخصية الإسلامية المعاصرة.. فنحن نبكي حين نتذكر الماضي.. ونبكي ونحن نتطلع إلى المستقبل.. ونبكي ونحن نحاول معالجة مشاكل الواقع ومآسيه.. ونبكي ونحن ندرس التاريخ ونعظ الناس.. ونبكي ونحن نواجه قوة عوامل الانحراف.

على المستوى الأدبي بات أدباؤنا وشعراؤنا وقد تحول عندهم أسلوب البكاء على الأطلال الذي عاش في أجواء العصر الجاهلي وما بعده، إلى بكاء على الأشخاص والماضي والحاضر.

وعلى المستوى الوعظي الديني أضحت الصورة المأساوية هي المتجسدة في كلماتنا، لتتحول مواقف

• لقد أدمنّا الدموع حتى أصبحت جزء من شخصيتنا.. فنحن نبكي على كل شيء

• تحولت المواقف البطولية عندنا إلى حوائط مبكى لا تجف من دموعنا السيالة

• يفترض بالمسلم ألا يعيش الصورة السوداوية التي تحطم عناصر القوة عنده

• ليست الحياة كلها ربحاً لكون الخسارة صدمة مفاجئة

البطولة والافتخار إلى حوائط مبكى لا تجف من دموعنا السيالة، ولتغـــدو مفاهيم الأخلاق النابضة بالحياة إلى حُـقن تخدير تفتح الطريق للموت ليجري في مسارب الروح فيقضي عليها.

إن من يدرك قيمة الحياة كما في دعاء الإمام زين العابـــدين عليه السلام (اللهم لك الحمد أن بعثتني من مرقدي، ولو شئت جعلته سرمداً، حمداً دائماً لا ينقطع أبداً، ولا يُحصي له الخلائق عددا) لا يعيش هذه الصورة السوداوية التي تحطم عناصر القوة والفاعلية في الإنسان المسلم الذي يمتلك عناصر الانطلاق والتغيير والتجديد، ولا ينظر إلى الأمور من منطلق جَـلد الذات الذي بتـنا نبرع ونتـفنن في أساليبه، بل يندفع إلى قضاياه بهـــدوء وجدية وتخطيـــط، فيدرس عناصر النجاح إن تحقق، وعناصر الفشل إن كان، وذلك هو ما أراد القرآن الكريم أن يوحيه للإنسان من خلال تقريره لفكرة القضاء والقدر حيث قال عز اسمه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ (الحديد:٢٢-٢٣)

فلله سنن وقوانين تحكم الكون، وتفرض النجاح أو الفشل، وليست الحياة ربحا كلها لتكون الخسارة صدمة مفاجئة، وليســـت خسارة كلها ليكون الربح باعثاً على الفرح الكبير الذي يغرق الإنسان في العسل... فلماذا الألم والبكاء في حالة الخسارة، ولماذا الفرح والانبهار في حالة الربح؟! وأين هي الروح الباكية المنكفأة على نفسها



في التربية القرآنية والأخلاق القرآنية والقصص القرآني، لكي تتم صياغة المسلم بهذه الصورة المأساوية؟!

ولو كان القرآن قد نزل بـ (فتح العين) بدلاً من كسرها إذ قال (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)(يوسف: من الآية١١١) لصح، إلا أن القرآن مفعم بالدعوة نحو أخلاق الحياة والتفكير العميق والإبداع الخـــلاق والعطاء المتميز، في سعي لصياغة روح إيجابية، تنظر إلى الدنيا على أنها متجر أولياء الله.. كما قال علي عليه السلام .

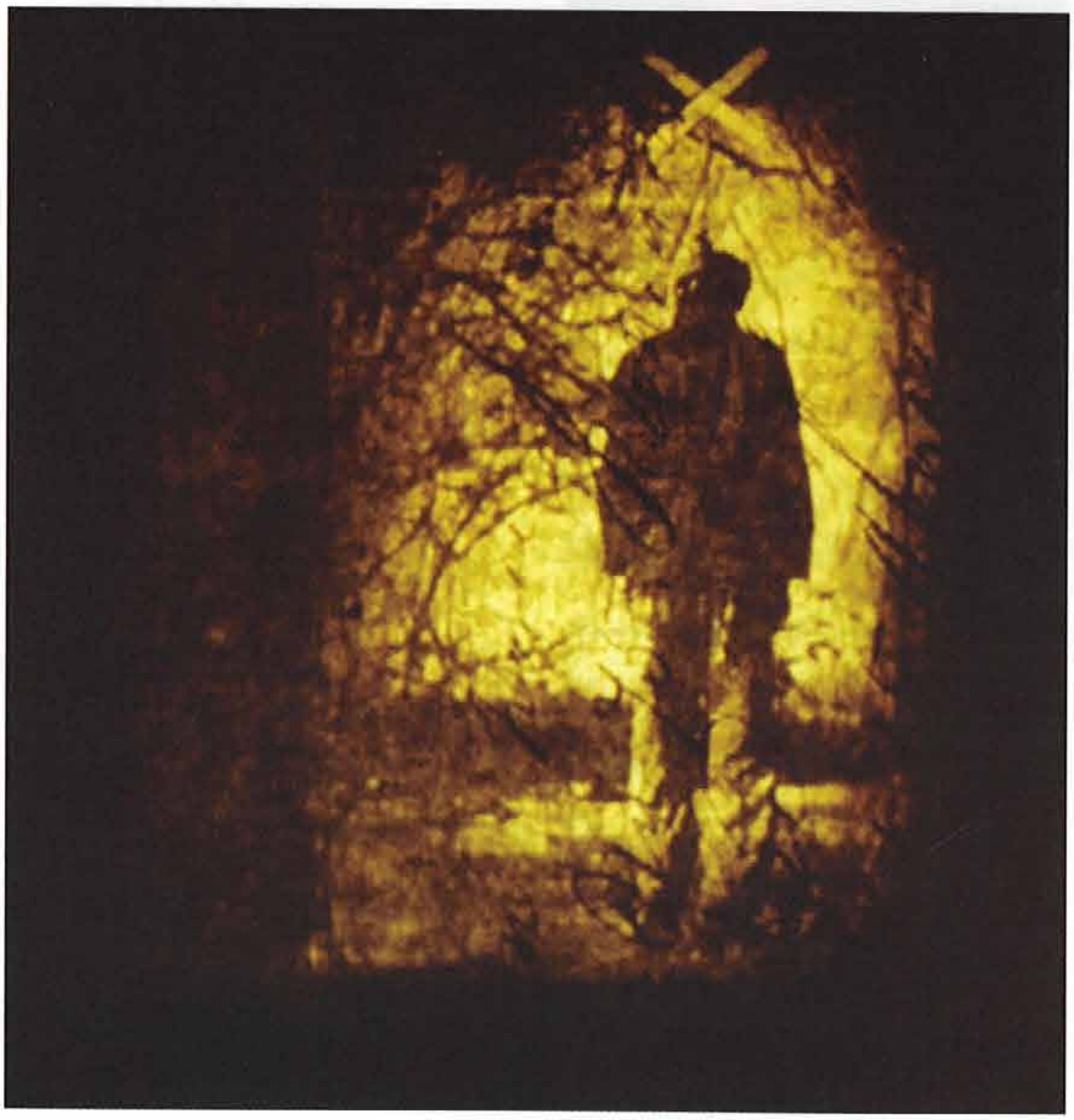

• التربية القرآنية لا تبتني على الروح الباكية المنكفأة على نفسها

• القرآن مفعم بالدعوة نحو أخلاق الحياة والتفكير العميق والإبداع الخلاق

تأملات في الشخصية الإسلامية ـ ٢

١٣ صفر ١٤٢٨ هـ / ٣ مارس ٢٠٠٧

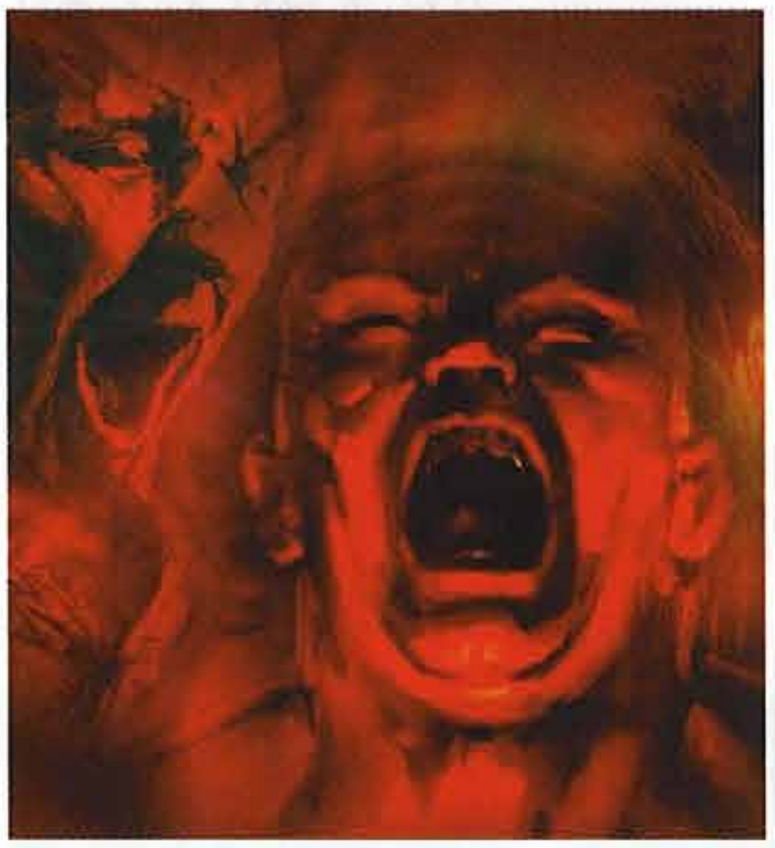

• الانفعال سمة إنسانية عامة، لأن الذي لا ينفعل بالواقع إنسان متجمد

• العاطفة لدى الشباب تنمو أسرع بمراتب من نموهم العقلي

الروح الانفعالية:

أتذكر أحياناً مواقف جرت لي وأنا في عنفوان الشباب، تفاعلت معها من منطلق التزامي الديني والغيرة على العقيدة والحماسة الشبابية بصورة تجعلني أحياناً أضحك.. أضحك لأسلوب التفاعل.. وأضحك لحسابات المصالح والمفاسد.. وأضحك لكيفية التقييم لحجم المشكلة.. وأضحك لتضييع الفرص البسيطة التي كان من الممكن من خلالها بناء علاقات إيجابية مع أصحاب المشكلة والتحاور معهم بصورة إيجابية ومنتجة ولو بدرجة بسيطة.

والانفعال سمة إنسانية عامة، لأن الإنسان الذي لا ينفعل بالواقع، هو إنسان متجمد يظل مشدوداً للجو الفكري الفارغ من العاطفة، لأن الفكر ـ حالة كونه داخلياً ـ يتحرك في قوالب جامدة، فلا بد له من العاطفة التي تنفعل بالمضمون الفكري في هزة شعورية، من أجل أن يربط الفكرة بالشعور فيحوّلها إلى إيمان، لأنها إذا ابتعدت عن الشعور تحوَّلت إلى شيء محنَّط مدفون في داخل دماغ الإنسان، ولعل هذه هي مشكلة بعض المفكرين الإسلاميين وغيرهم الذين يتعاملون مع القضايا بصورة تتجمد معها الأحبار لاحقاً في جوف أقلامهم، فلا تجد لها طريقاً إلى الآخرين.

وقد نفهم الانفعال عند الشباب، بلحاظ أن العاطفة تنمو عندهم أسرع بمراتب من النمو العقلي عندهم ، حتى ورد في الحديث أن (الشباب

• لماذا يكون الانفعال هو السمة الرئيسة في شخصيتنا حتى في سن النضوج العقلي؟

• لا يصح أن يكون الانفعال هو الحاكم في أفعالنا وردود أفعالنا

• لابد أن ندرك أن المواقف لا يمكن معالجتها من خلال الانفعال فقط

شعبة من شعب الجنون: بمعنى أن العاطفة تكون قوية لدرجة ينسون معها حسابات الربح والخسارة، فيقدمون على الأمر وإن كانت الخسائر فيها أكبرٍ ماداموا قد تأثروا شعوريا بما يدفعهم للإقدام)، ولكن ما لا نفهمه هو أن يكون الانفعال هو السمة الرئيسة في شخصيتنا حتى في سنِ النضـــوج العقلي.. في عالم الدين عندما نختلف حتى داخل المذهب الواحد، وفي عالم العلاقات الاجتماعية عندما نتشرذم أو نلتقي، وفي عالم السياسة عندما تواجهنا التحديات الصعبة وتجتمع المأساة مع التحدي في واقع ضاغط.

إذا كان يمكن أن نقبل الانفعال بالمقدار الذي يعكس العاطفة في حدودها المعقولة في التفاعل مع القضايا، فلا يصح أن يكون الانفعال هو الحاكم في الأفعال وردود الأفعال على طول الخط، وأن يكون هو كل رصيدنا في مواجهة الواقع من دون أي انطلاقة عقلانية تدرس الواقع في ظروفه الموضوعية المحيطة به.

قرأت موقفاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في قضية هامشيـــة، ولكنها تعكس الأسلوب الحكيم في التعامل مع القضايا، فقد دخل أعرابي مسجد النبي في المدينة المنورة والمسلمون حدق بنبيهم، فإذا بالرجل يقف في زاوية منه ويتبول! ما إن شاهد المسلمون ذلك حتى بادر بعضهم في تصرف تلقائي لضرب الرجل، بل ولربما لقتله لأنه انتهك حرمة المسجد، إلا أن النبي الأكرم سرعان ما نهاهم عن التعرض له، وأمرهم بتركه حتى يفرغ! ثم طلب منهم تطهير الموقع من النجاسة، واستقبل الرجل ببشره المعهود وعلمه مبادئ الإسلام وحكـــم المسجد.. وببساطة دخـــل الرجل في الإسلام.

بالطبع لا أريد أن أوصل رسالة خاطئة حول تنديس المقدســات، بل أن ندرك أن المواقف لا يمكن معالجتها من خلال الانفعال فقط، لأن

• لو كان التشريع بيدنا لكانت سمتها العامة مبنية على الانفعالية لا الاتزان العقلي

• علينا أن نعود إلى القرآن الكريم لنستوضحه في كيفية التعامل مع الأمور الحياتية

• نحن بحاجة إلى التوقف في بدايات الطريق لنحدد خطواتنا العملية

الخسائر لربما تكون أكبر، كما لا يصح أن نتعامل مع القضايا المتشابهة من حيث الظاهر بطريقة واحدة وبحكم واحد، ما دمنا لم ندرس عمق القضية وأسبابها ، ونفرق ما بين العمد والخطأ والشبهة، وندرس الظـــروف المحيطة، وطرق العـــلاج المختلفة، والنتائج المترتبة.. إلخ .

لو كان التشريع بيدنا، وكنا نعيش في زمن الرق، وواجهتنا حالة زنا ارتكبتها أمة مملوكة، لكانت ردة فعلنا ـ الانفعالية ـ وغيرتنا على الدين والقيم والمجتمع والأخلاق والمبادئ هو سرعـــة إنزال أقصى العقوبات بهذه الفاجرة التي استسلمـــت للشيطان، وهي تمثل العنصـــر الأضعف في المجتمعات الإنسانية باعتبارها مملوكة، الأمر الذي يعني أن إنزال العقوبة الصارمة بحقها يمثل الدرس الأمثل للآخرين، والخسائر الأقل عما لو أريد إنزال ذات العقوبة بحق إنسان حر شريف الأصل.

ولكن ماذا يقول القرآن الكريم في مثل هذه الحالة؟ (فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ) (النساء: من الآية٢٥)، أي أن حكمها يقتضي تخفيض عقوبة الزنا إلى النصـــف مقارنة بالحرة.. لماذا؟ لأن الأمة تعيش في أجواء أقل احتشاماً بكثير من الحرة، فهي معرضة للبيع والشراء واللمـــس ومشاهدة أجزاء من جسدها من قبل البائع والمشتري والمالك بما يتجاوز وضع الحرة، كما أنها تكون ـ عادة ـ أقل إدراكاً لأحكام الدين بدرجاتٍ عما هو الحال عليه عند الحرة، ولعوامل أخرى عديدة.

إنَّ علينا ـ في مسيرتنا نحو الهدف وفي مواجهة القضايا المختلفة ـ أن نحقِّق اتجاه الطريق، ما يستدعي التوقف في بداياته لنحدِّد خطواتنا العملية في هذا الاتجاه، ولنفكر كيف نحمي هذه الخطوات من التحرك نحو متاهات الضياع، وندرس تلك الخطوات في الأثناء، ثم نقيم التجربة لاحقاً بكل موضوعية وبعيداً عن الانفعال اللامبرر.

تأملات في الشخصية الإسلامية ـ ٣

٢٠ صفر ١٤٢٨ هـ / ١٠ مارس ٢٠٠٧



الاتجاه الإقصائي

روى المرحـــوم الكليني أن ثلاثة من أصحاب الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انقسموا بشأن حكم من لا يعتقد بأن الإمام يُعيـن من قبِل الله تعالى.. هل يعد مسلماً أم لا؟ فلما التقوا به في موسم الحج سألوه..

فقال لهم: ما تقولـــون في خدمكم ونسائكم وأهليكم، أليس يشهدون أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

قال أحدهم: قلت : بلى.

قال: أليس يصلون ويصومون ويحجون؟

قلت: بلى.

قال: فيعرفون ما أنتم عليه (أي هل يعتقدون بالإمامة مثلكم)؟

قلت: لا.

قال: فما هم عندكم؟

قلت: مَن لم يعرف هذا الأمر فهو كافر!

قال: سبحان الله! أما رأيت أهل الطريق وأهل المياه (أي طريق الحج)؟

قلت: بلى.

قال: أليس يصومون ويصلون ويحجون؟ أليس يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟

قلت: بلى.

قال: فيعرفون ما أنتم عليه؟

قلت: لا.

قال: فما هم عندكم؟

قلت: مَن لم يعرف هذا الأمر فهو كافر.

• الغرور الدينـي يدفع الإنسان إلى إقصاء الآخرين من الدائرة الدينية

• يضع الإنسان نفسه أحياناً قيّماً على الآخرين أو ممثلاً للرب على الأرض

• عاب القرآن على بعض الأمم السابقة وقوعهم في ذات الخطأ

• الانتماء لا يعني الضمانة الحقيقية للنجاة يوم الحساب

قال: سبحان الله هذا قول الخوارج! ثم قال: أما إنه لشر عليكم أن تقولوا بشيء ما لم تسمعوه منا... انتهى الخبر.

يعيش الإنسان أحياناً حالة من الغرور الديني تدفعه إلى إقصاء الآخرين من الدائرة الدينية التي ينتمي إليها، لاختلافهم معه في بعض المفردات هنا وهناك، وكأنه وضع نفسه قيماً على الآخرين، أو ممثلاً لرب العالمين على الأرض، أو حاملاً لمفاتيح الجنة والنار.. أو لربما تجده يقسم رحمة ربه وفق معاييره الاجتهادية التي قد تصح وقد تخطئ، ووفق فهمه للنص الذي لربما لا يكون صحيحاً، أو أنه أساء فهم مدلوله، فيحكم على هذا بالجنة، وعلى ذاك بالنار، رجماً بالغيب.

وقد عاب القرآن الكريم بعض الأمم السابقة لوقوعهم في هذا الخطأ (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (البقرة:١١٣).

كما أكد على أن مجرد الانتماء لا يعني الضمانة الحقيقية للنجاة يوم الحساب (لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً) (النساء:١٢٣)، فليس بين الله وبين أحد قرابة، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

وهذا لا يعني أن لا يشعر صاحب العقيدة بالاعتزاز بالانتماء إلى عقيدته والدفاع عن قناعاته، ولكن ما يُنكر في المقام هو أن يتحول هذا الاعتزاز إلى توجه إقصائي يستهين من خلاله بالآخرين، بل وقد يبيح لنفسه أن يفعل ما هو محرم تجاههم، لأنه لا يرى للآخرين حرمة، تماما كما كان عليه بعض اليهود في تعاملهم مع « الأغيار » قال سبحانه وتعالى (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ

• قام بعض المحققين بإعادة دراسة خبر الفرقة الناجية وتوصلوا إلى وجود خلل فيه سنداً ومتناً

• بعض الأبعاد الشخصانية لها علاقة بالسلوك الإقصائي عند بعض المسلمين

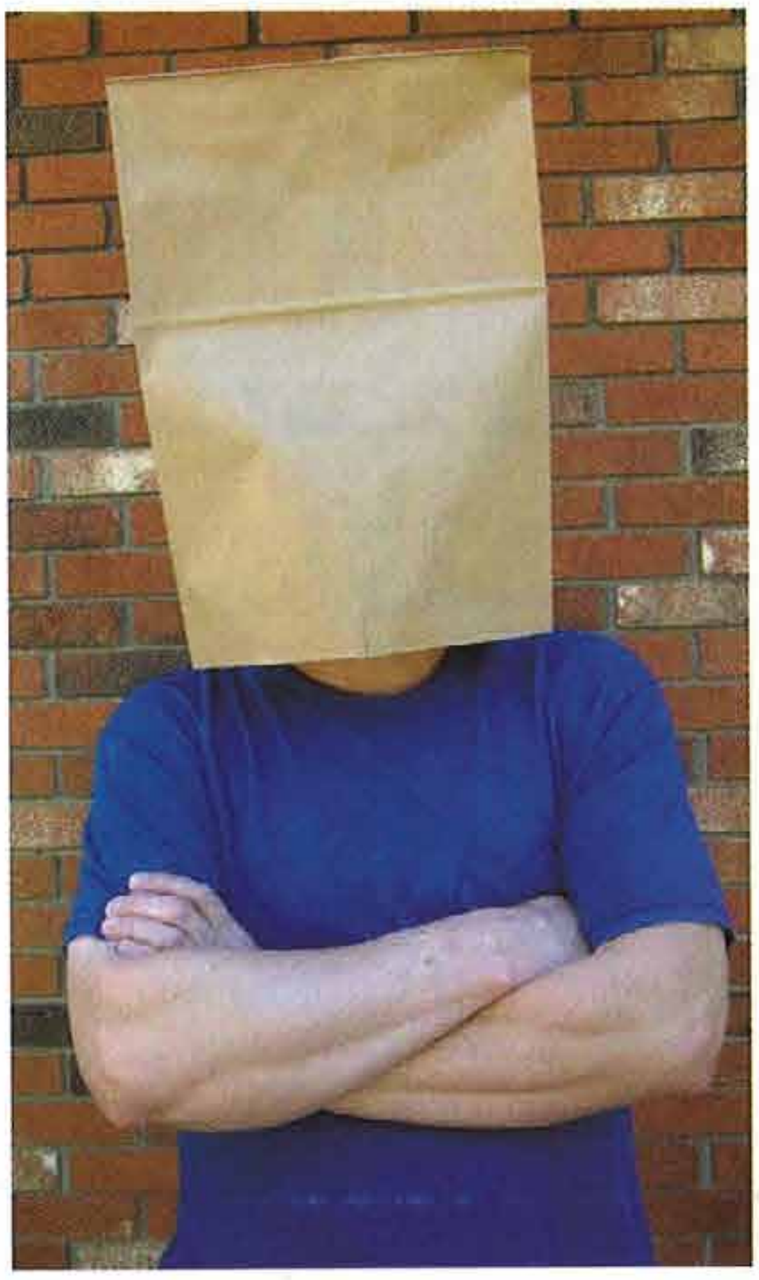

بدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (آل عمران:٧٥).

ولربما يكون لخبر (وتفترق أمتي على ثلاثة وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة) تأثيره في خلق هذه الروحية الإقصائية عند أتباع كل فرقة، وهو ما دفع بعض المحققين من السنة والشيعة لإعادة دراسته من حيث السند والمتن والدلالة، أملاً في معالجة التوجه الإقصائي في الشخصية الإسلامية المعاصرة، وتوصلوا إلى نتائج يُرجى معها الخير للأمة التي تعيش التشرذم المشرعن والتناحر المقدس، وإن كانت القناعات العامة ما زالت وللأسف تصب في اتجاه التنازع في ادعاء كل فرقة بأنها المقصودة في الخبر.

والشخصية الإقصائية التي تجسدت في رواية الكليني، تمثل نموذجاً متكرراً عبر التاريخ، وتستدعي التأمل في أبعادها النفسية ـ وكذلك في خلفياتها الثقافية ـ التي تدفعها إلى الاغترار بمتبنياتها المتطرفة ولو على حساب النصوص الدينية الناهية عن مثل هذا السلوك، وفي الوقت الذي يفاخر هو فيه بالانتماء إلى نفس تلك المدرسة! مما يعني أن بعض الأبعاد الشخصانية لها علاقة أيضاً بهذا السلوك بعيداً عن المبررات التي قد يسوقها لإضفاء الشرعية على تطرفه، وهو ما يستوجب المعالجة أيضاً في الإطار التربوي في مجتمعاتنا الإسلامية.

حرب باردة بين السنة والشيعة!!

٢٧ صفر ١٤٢٨ هـ / ١٧ مارس ٢٠٠٧



• المنطقة مقبلة على حرب باردة بين السنة والشيعة وستكون طويلة الأمد!!

ما ذكره الأستاذ فهمي هويدي في مقاله (ماذا عن الجزء الغاطس في المؤامرة) والذي نشر في الوطن بتاريخ ٨ مارس، كلام يبعث على القلق إلى حد كبير.

فبناء على ما نقله من محاضرات الصحفي الأمريكي (سيمور هيرش)، فإن المنطقة مقبلة على حرب باردة طويلة الأمد، وليس مجرد فتنة تتفجر ثم سرعان ما تخمد، وهدف هذه الحرب على حد تعبيره (تركيع السنة والشيعة معاً).

وقد يرى البعض في كلمة (باردة) ما يهوّن الأمر، إلا أن ما يختبئ خلف هذه الكلمة من إفرازات «خبيثة» طويلة الأمد يستدعي الحذر والوقاية والعمل على اتخاذ مجموعة من الإجراءات العملية في إطار دفع الضرر المحتملِ جداً، والذي لن يستثني أحداً وفق الوصف السابق.

كما تكمن خطورة الموضوع في أن الأرضية ممهدة ـ وللأسف ـ لمثل هذه الحرب، والشواهد لا تقبل النفي على أنه تمت التهيأة للاستفادة من هذه الممهدات بصورة مكثفة في الأشهر القليلة الماضية، وذلك من خلال استغلال متطرفي الفريقين ـ وبعض السذج أيضاً ممن شربوا المقلب ـ في شحن أذهان العامة وتأليب كل طرف على الآخر، وتسخير وسائل الإعلام والاتصال المتطورة بفعالية لتحقيق الهدف المشئوم.

• الأرضية ممهدة لمثل هذه الحرب والشواهد لا تقبل النفي على التهيأة للاستفادة من ذلك

• التعامل مع هكذا مخططات لا يمكن أن يتم بعفوية وتدابير آنية

• الخطر القادمة بأياديه الأخطبوطية يحتاج إلى إجراءات عاجلة

ركائز الحرب الباردة :

أما ركائز هذه الحرب وفق ما جاء في المقال ومن خلال الشواهد الميدانية فتتلخص في التالي :

١ ـ تخويف السنة من الشيعة، والعكس، من خلال تعميم تصرفات البعض على الكل، والعمل على دغدغة المشاعر، وتهويل القضايا الفردية.

٢ ـ التركيز على الكتب والآراء والدعاة من أصحاب الطرح المتطرف من الفريقين، واجترار مرارات الماضي ومصادماته، ودعم ذلك ماليا وتقنياً، وتأمين وسائل الإعلام والاتصال المقروءة والمرئية الكفيلة بنشر ذلك على نطاق واسع (فضائيات ـ منشورات ـ ملصقات ـ مواقع انترنت. إلخ).

٣ ـ إنعاش بعض التجمعات المتطرفة التي تعيشت على إخراج الآخر من الملة.

٤ ـ استغلال بعض الأجواء السياسية والأمنية الساخنة في المنطقة، ولربما افتعال قسم منها، مع التركيز على البعد الطائفي فيها، بغرض ضمان الشحن لأطول مدة ممكنة.

التدابير الوقائية :

من الواضح أن التعامل مع هكذا مخططات وبوجود الأرضية الممهدة لا يمكن أن يكون بعفوية، ولا من خلال تدابير آنية تنتهي بانتهاء الأزمة، بل يحتاج إلى جهد دائم ومستمر يعمل على خلق (الوحدة) الميدانية، وإلى تأسيس فكري يحصّن أفراد الأمة من الوقوع في أفخاخ مستقبلية، ويؤمّن لديها ـ وإلى حد معقول ـ حالة من الحصانة بحيث تمجّ كل الطروحات الساعية لتمزيق أشلاء الأمة والنخر في كيانها الضعيف ـ وللأسف ـ.

إلا أن الخطر القادم بأياديه الأخطبوطية يحتاج إلى إجراءات عاجلة ومعالجات عديدة ولو استدعى الأمر أن يعض كل طرف على جراحاته، ومن بينها :

١ ـ الخروج من دائرة التنظير للوحدة إلى واقع العمل والتنفيذ الميداني، وكنموذج على ذلك: إقامة صلوات الجماعة بصورة مشتركة بين

• نحن بحاجة إلى زيارات ميدانية مشتركة للمدارس والجامعات لتخفيف الاحتقان

• لا تغلّبوا الحس الطائفي والمصالح الضيقة على المصلحة العامة

• لابد من الحزم ضد كل من يسيء إلى مقدسات الطرف الآخر

السنة والشيعة ـ ولا سيما أيام الجمع ـ تكوين مجاميع مشتركة من الطائفتين من علماء البلد وسياسييه ووجهـــائه لعمل زيارات ميدانيـــة للدواوين والمدارس والجامعات للدعوة للوحدة الوطنية والإسلامية، تكثيـــف اللقاءات بين علماء الفريقين للتركيز على نقاط الالتقاء وتحييد من يعمل على إثارة الفتنة.

٢ ـ عدم تغليب الحس الطائفي والمصالح الضيقة على المصلحة العامة.

٣ ـ عدم جر البلد إلى أتون الأحداث الأمنية والسياسية المتوترة في المناطق القريبة منا، والتحرز من استيراد إفرازات تلك الأحداث بدافع الغيرة على الطائفة.

٤ ـ الوقوف بحزم ضد كل ما ينشر من إشاعات أو إسلءات لمقدسات الطرفين عبر المسجات والإيميلات، والتي عادة ما تنتشر بسرعة مذهلة، وبتكلفة لا تُذكر.

٥ ـ النهي عن المنكر بالعمل على نهر كل من يصب الزيت على النار، فإن لم يمكن فبالصد عنهم والإنكار القلبي وهو أضعف الإيمان.



الانقلاب المفاجئ!!

٥ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ / ٢٤ مارس ٢٠٠٧



• الانقلاب المفاجئ من اللاتدين إلى مواجهة الآخرين تحت شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس حالة محمودة

الانقلاب المفاجئ الذي قد يحدث في حياة البعض بحيث يتحول من خلاله الفرد من حالة الاستغراق في المعاصي والمجاهرة بالفسق وعدم التورع عن ارتكاب أية فاحشة، إلى حالة من الاستغراق العميق في العبادة و (مظاهر) التدين والتلبس برداء الدين وتبنّي مواجهة الآخرين تحت شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مثل هذا الانقلاب العنيف ليس بالحالة المحمودة، وسرعان ما ستظهر الآثار السلبية المترتبة عليه من خلال الأفكار أو الممارسات أو القرارات التي يتخذها ذات الشخص بعد عزوفه عن مسلكه الأول، إذ تتسم عادة بالعنف والتطرف والسطحية والتسرع في إصدار الأحكام والرغبة القوية في التغيير اللامدروس للواقع، ولربما تنهض من رغبة في التكفير عن الماضي بأسرع صورة وبأقصر طريق ممكن.

ومن المظاهر الواضحة لتلك الآثار: البساطة عند (المنقلِب) في إصدار الحكم بتكفير الآخر المختلف، والميل لتوظيف الوسائل العنيفة لتغيير الواقع أو تصحيح الخطأ في المجتمع، والضجر من كل خطأ يصدر من الآخرين. ولذا جاءت النصيحة من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله (إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، ولا تبغّض إلى نفسك عبادة



• بعض أهل العلم القائمين على الإرشاد يبتلون بالانقلاب العنيف

• قدّم الإمام زين العابدين معايير لتقييم الأفراد في تدينهم

• إذا وجدتم الرجل قد حسن سمته وهديه وتماوت في منطقه فرويداً لا يغرنكم

الله)، وفي نص آخر (ولا تكنٍ كالمنبت لا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع) [المنبت هو الشخص المتعجل لقطع مسافةٍ ما في وقت قصيرٍ، فيُجهد دابته بأن تسرع دائماً حتى ينجز مسافته بسرعة ولا يراعي قدرة دابته وتحملها، فتسقط دابته من شدة التعب ويكون قد خسر دابته ولم يصل لمبتغاه].

وإذا كان مثلِ هذا الانقلاب العنيف قابلاً للتصور بشأن عامة الناس، فإن صدوره من بعض (أهل العلم) الذين ينهضون بمسئولية الإرشاد والتوجيه، وذلك بتغيير جلّ قناعاتهم ومرتكزاتهم الفكرية بين ليلة وضحاها وبصورة معاكسة تماماً، يُعد مؤشراً خطيراً يستدعي التأني في التعامل معهم، وقبول ما يطرحونه باسم الدين، لأن من المفترض أن تكون متبنياتهم السابقة، إن لم تكن كلها فأغلبها، ناتجة عن قناعة ودراسة، وليست منطلقة من حالة إرثية بحتة، ولذا فإن من المتوقع في مثل هذه الحالات أن تظهر علامات التطرف والعنف الفكري والمسلكي عليهم كما هو حال بقية الناس.

موازين للتقييم:

في الخبر المروي عن رابع أئمة أهل البيت الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام مجموعةٌ من عناصر تقييم الأفراد في ظاهر تدينهم، وقد تكون مؤشراته صالحة للتطبيق فيما نحن فيه، قال: (إذا رأيتم الرجل قد حسن سَمْتُه وهديُه، وتماوتَ في منطقه، وتخاضع في حركاته، فرويداً لايغرنكم، فما أكثر من يعجـــزه تناول الدنيا

وركوب المحارم فيها، لضعف نيته ومهانته وجبن قلبه، فنصب الدين فخاً لها، فهو لايزال يختل الناس بظاهره، فإن تمكن من حرام اقتحمه.

فإذا وجدتموه يعفّ عن المال الحرام، فرويداً لا يغرنكم، فإن شهوات الخلق مختلفة، فما أكثر من ينبو عن المال الحرام وإن كثر، ويحمل نفسه علىٍ شوهاء قبيحة فيأتي منها محرّماً.

فإذا وجدتموه يعفّ عن ذلك، فرويداً لا يغرنّكم حتى تنظروا ما عقده عقله. فما أكثر من يترك ذلك أجمع ثم لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسده بجهله أكثر ممّا يصلحه بعقله.

فاذا وجدتم عقله متيناً.. فرويداً لايغرنكم حتى تنظروا مع هواه يكون على عقله، أو يكون مع عقله على هواه؟ وكيف محبته للرئاسات الباطلة وزهده فيها؟ فإن في الناس من خسر الدنيا والآخرة بترك الدنيا للدنيا، ويرى أن لذة الرئاسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة...).

• إذا وجدتم الرجل يعف عن المال الحرام فرويداً لا يغرنكم فإن شهوات الخلق مختلفة

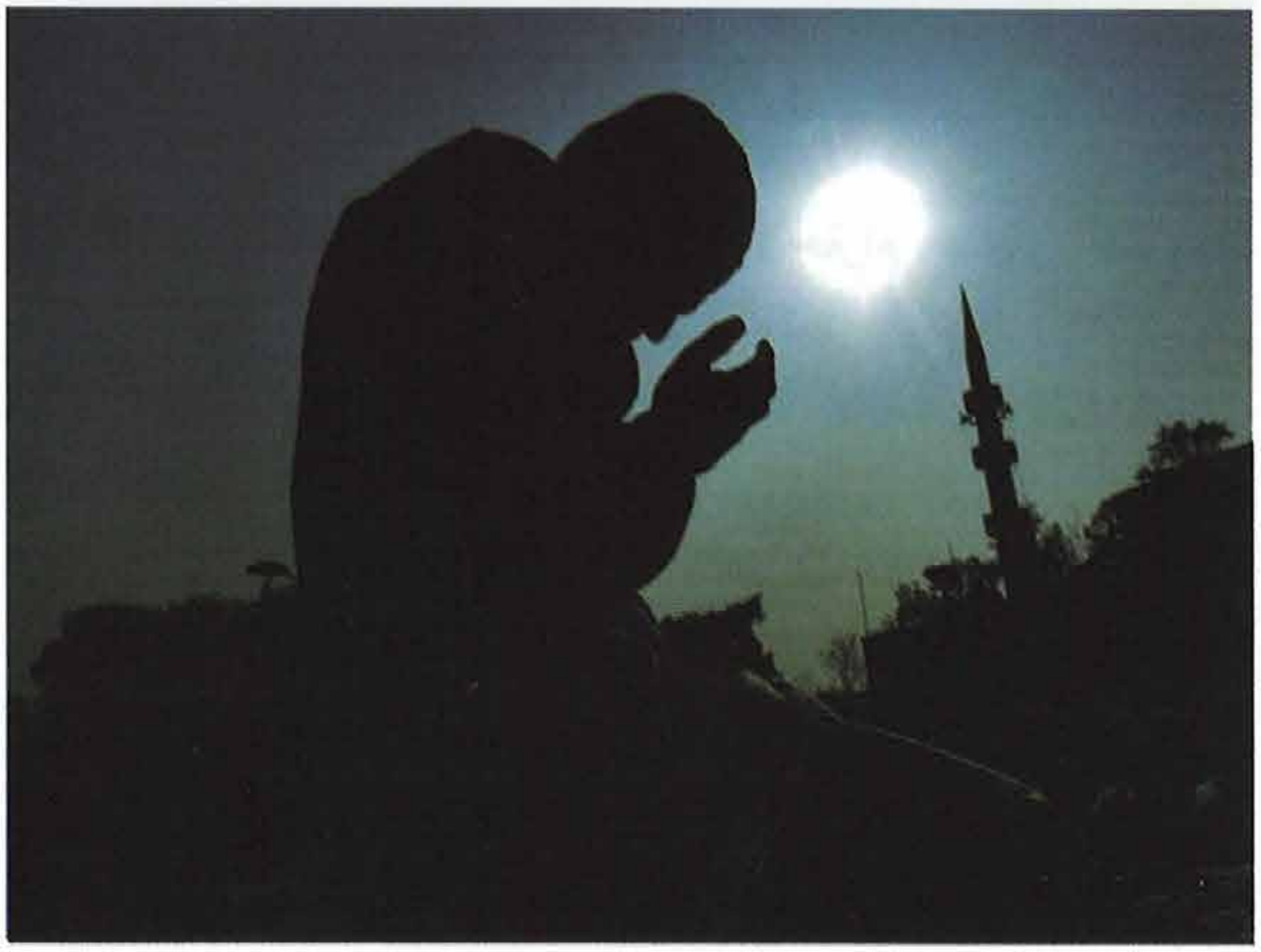

• إذا وجدتم عقل الرجل متيناً فانظروا أمع هواه يكون أو مع عقله؟ وكيف محبته للرئاسات الباطلة وزهده فيها

الصلاة على النبي و آله

١٢ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ / ٣١ مارس ٢٠٠٧



• نهى النبي عن صور الاحترام التي تولد نوعاً من الحواجز النفسية والخارجية بين الرعية والقائد

الاحترام عنصر ضروري في تحقيق ارتباط سليم بين الرعية وقائدهم، وقد تعاهدت الأمم صوراً عديدة من مظاهر الاحترام، مثل تقبيل الأرضِ بين يديه، أو الانحناء إجلالاً له، أو المشي القهقرى في حال الخروج من مجلسه، أو البقاء في حال القيام عند الحضور بين يديه، أو تخصيص عرش يمتاز بارتفاعه وفخامته عن مجالس سائر الحاضرين، وما إلى ذلك.

وطرق الاحترام تلك عادة ما تولد نوعاً من الحواجز النفسية والخارجية بين الرعية والقائد، نتيجة الإحساس بالإذلال أو الطبقية أو التزلف والنفاق.

وعندما ندرس سيرة سيد البشر محمد صلى الله عليه وآله وسلم نجد أنه كقائد وحاكم للمسلمين لم يكتف بعدم الأمر بشئ من صور الإحترام السابقة، بل ونهى عن بعضها، وتدل على ذلك نصوص عديدة من بينها:

* عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: (خمس لا أدعهن حتى الممات: الأكل على الحضيض - أي الأرض - مع العبيد، وركوبي الحمار مؤكفاً - أي مسرجاً -، وحلبي العنز بيدي، ولبس الصوف، والتسليم على الصبيان، لتكون سنة من بعدي).

• جاء في وصف أخلاق النبي أنه كان يبدأ من لقيه بالسلام ويجلس حيث ينتهي به المجلس

* وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: (من أحب أن يمثُل له الرجال ـ أي يقفون بين يديه ـ فليتبوأ مقعده من النار).

* عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: مرت امرأة بدوية برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يأكل وهو جالس على الحضيض فقالت: يامحمد، والله إنك لتأكل أكل العبد، وتجلس جلوسه! فقال لها رسول الله: ويحك، وأي عبد أعبد مني؟ قالت: فناولني لقمة من طعامك. فناولها، فقالت: لا والله إلا التي في فمك! فأخرج رسول الله صلى الله عليه وآله اللقمة من فمه فناولها فأكلتها. قال الإمام الصادق: فما أصابها داء حتى فارقت الدنيا.

* وجاء في وصف أخلاقه (يبدأ من لقيه بالسلام، وإذا لقي مسلماً بدأه بالمصافحة، وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه وقال: ألك حاجة؟ يجلس حيث ينتهي به المجلس، وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه، ويؤثر الداخل بالوسادة التي تحته).

• الصلاة على النبي صلاة رحمة من الله، وصلاة الملائكة تزكية منهم له، وصلاة المؤمنين دعاء منهم له

والنصوص في هذا المجال كثيرة، ولكن لابد من الإشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى قرر أسلوباً جديداً عملياً ورائعاً في احترام النبي القائد، دون أن يكون هذا الاحترام مصطنعاً أو ثقيلاً على النفس، بل يكون ذا صبغة إيمانية روحانية سامية محببة إلى القلوب ويسعى إليها الناس راغبين، وذلك من خلال الأمر بالصلاة عليه في كل حال، قال عز اسمه (إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) (الأحزاب:٥٦).

وقد سئل الإمام موسى الكاظم وهو سابع الأئمة من أهل البيت عليهم السلام عن مدلول هذه الصلاة فقال: (صلاة الله رحمة من الله، وصلاة الملائكة تزكية منهم له، وصلاة المؤمنين دعاء منهم له).

كما نهى النبي الأكرم عن الصلاة البتراء، فقد روى ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن الصلاة البتراء فقال: (أن تقولوا اللهم

صل على محمد، وتمسكون، بل قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد). وروى الإمام البخاري في صحيحه عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد).

• نهى النبي عن الصلاة عليه بالصلاة البتراء التي لا يُذكر فيها أهل بيته



الإمام الصادق.. بحر العلوم

١٩ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ / ٧ إبريل ٢٠٠٧

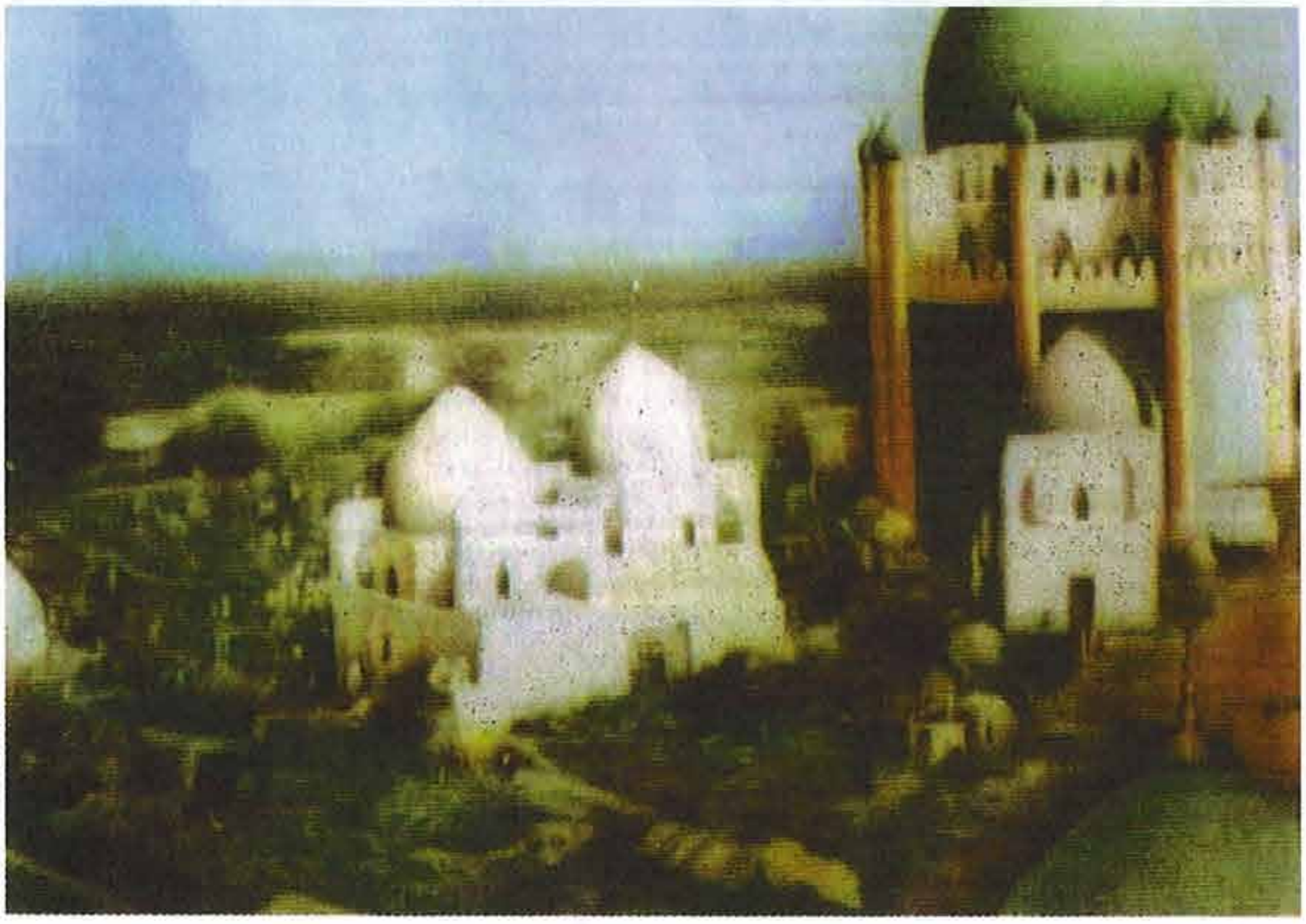

الحديث عن سادس الأئمة من أهل البيت الإمام الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام (ت ١٤٨هـ)، حديث عن عقيدة الإسلام في الفكر، وعن مكارم الأخلاق في المعاملة، وعن التقوى في العلاقة مع الله، وعن العمل الصالح في الحياة، وعن عمق المعرفة في العلم.

• ملأ الإمام الصادق دنيا الإسلام علماً وحركة ووعياً وتقوى، واستطاع أن يجعل مدرسته مفتوحة على كل الناس

ملأ هذا الإمام دنيا الإسلام علماً وحركة ووعياً وتقوى، واستطاع المسلمون من خلال علمه أن يجدوا لكل مسألة جواباً في كل ما يشعرون أن عليهم أن يسألوا عنه، ولكل مشكلة حلاً في كل ما يواجهونه من مشاكل الفكر والعقيدة والشريعة والحياة، ولذا فإننا عندما نستعرض حديثه فإننا نستطيع أن نتعرف على الخطوط المستقيمة التي خططها للعصور القادمة ليهتدي المسلمون بالإسلام الصافي النقي الذي يمثله فكر أهل البيت عليهم السلام في فهمهم للإسلام، ووعي أهل البيت عليهم السلام في حركتهم في خط الإسلام.

استطاع الإمام الصادق عليه السلام أن يجعل مدرسته المفتوحة على كل الناس - باختلاف أديانهم ومذاهبهم - مدرسة تتحرك لتعطي الثقافة الإسلامية أكثر الأساليب والوسائل شمولاً وسعة، ولذا فقد شهد مسجد الكوفة، الذي اتخذه لفترة معينة معهداً

• كان عليه السلام يعيش حرية الفكر، ويعطي للناس الفكر وكان يحاور كل الناس ليؤكد لهم ضرورة انفتاح العالم على الآخرين

• كان يجلس في بيت الله الحرام ليحاور المثقفين الكبار في ذلك العصر من الملحدين بعقل مفتوح وصدر واسع

للتدريس، حضوراً علمائياً لا نظير له آنذاك، فقال حسن ابن علي الوشا الكوفي من مشايخ رواة الحديث: (أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ، كلٌّ يقول: حدثني جعفر بن محمد)

كان عليه السلام يعيش حرية الفكر، ويعطي للناس الفكر، ويريد لهم أن يتحدثوا بكل شئ يعود عليهم بفائدة، وكان يحاور كل الناس ليؤكد في سيرته وحديثه على ضرورة أن يفتح العالم قلبه وعقله وعلمه لكل إنسان يطرح مشكلة أو يثير شبهة أو يلتزم عقيدة، حتى ولو كان هذا الإنسان يختلف معه في الأسس، ولذا قال عمه الشهيد زيد بن علي: (في كل زمان رجل منا أهل البيت، يحتج الله به على خلقه، وحجة زماننا ابن أخي جعفر بن محمد، لا يضل من تبعه، ولا يهتدي من خالفه).

لقد كان الإمام جعفر الصادق عليه السلام إمام الحوار.. يجلس في بيت الله الحرام ليحاور المثقفين الكبار في ذلك العصر من الملحدين (الزنادقة).. بعقل مفتوح وصدر واسع ليستمع إليهم بكل هدوء، ثم يفتح لهم من آفاق الحقيقة ما غاب عنهم، فإما أن يهتدوا ـ وهو الأساس من غرضه ـ وإما أن يُبطل كلامهم فلا يخدعون به البسطاء.

ولذا فإننا نجد ابن أبي العوجاء ـ وهو من زنادقة ذلك الزمان ـ يستنكر على أحد أصحاب الإمام واسمه المفضل بن عمر، يستنكر عليه كلامه العنيف على أثر حوار جرى بينهما، وقال له: (إن كنتَ من أصحاب جعفر بن محمّد فما هكذا يخاطبنا، لقد سمع من كلامنا أكثر ممّا سمعتَ، فما أفحش في خطابنا، و لا تعدّى في جوابنا، و إنّه الحليم الرزين، العاقل الرصين، لا يعتريه خرق ولا طيش ولا نزق، يسمع كلامنا ويُصغي إلينا، ويتعرّف حجّتنا، حتّى إذا استفرغنا ما عندنا وظننّا أنّا قد قطعناه، دحض حجّتنا بكلام يسير، وخطاب قصير، يُلزمنا به الحجّة، ويقطع العذر، ولا نستطيع لجوابه ردّاً).

مشاريع الوحدة الإسلامية.. لماذا فشلت؟

٢٦ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ / ١٤ إبريل ٢٠٠٧



• على الرغم من الجهود الحثيثة التي بذلت لإنجاح مشاريع الوحدة أو التقارب بين المسلمين إلا أنها لم تنجح في تحقيق معشار طموحاتها

منذ عام ١٩٢١ حيث انعقد أول مؤتمر إسلامي يضم المسلمين السنة والشيعة معاً في العصر الحديث، مروراً بمؤتمر ١٩٣١ ثم ١٩٣٥ ثم إنشاء دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بمصر، والجهود التي رعتها إيران ودول ومؤسسات أخرى في إطار مشاريع الوحدة أو التقارب بين المذاهب، وعشرات الكتب والمجلات التي صدرت، على الرغم من كل ذلك إلا أن هذا المشروع لم يستطع أن يحقق معشار أهدافه السامية والملحة... فأين يكمن الخلل؟

لا أستطيع في مقالة واحدة أن أغطي كل مكامن الخلل، إلا أنني أود أن أسجل الملاحظات التالية:

١ـ عدم وضوح طبيعة هذه القضية، فهل هي من القضايا الاستراتيجية أم مجرد تكتيك يلجأ إليه كل طرف ضمن مقتضيات مصالحه في الظروف المتغيرة، في الوقت الذي يأتي فيه النداء القرآني ليؤكد على أن المسألة أصيلة واستراتيجية (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا)(آل عمران: من الآية١٠٣) والخطاب شامل لكل من تشهد الشهادتين دون تقييد بطائفة.

٢ـ خضوع القضية للعاطفة في كثير من أبعادها، مما يجعل التلاقي سريعاً والافتراق والاختلاف لا يقل سرعة عنه، ولعل تتبع ردود فعل المسلمين على اختلاف مذاهبهم تجاه

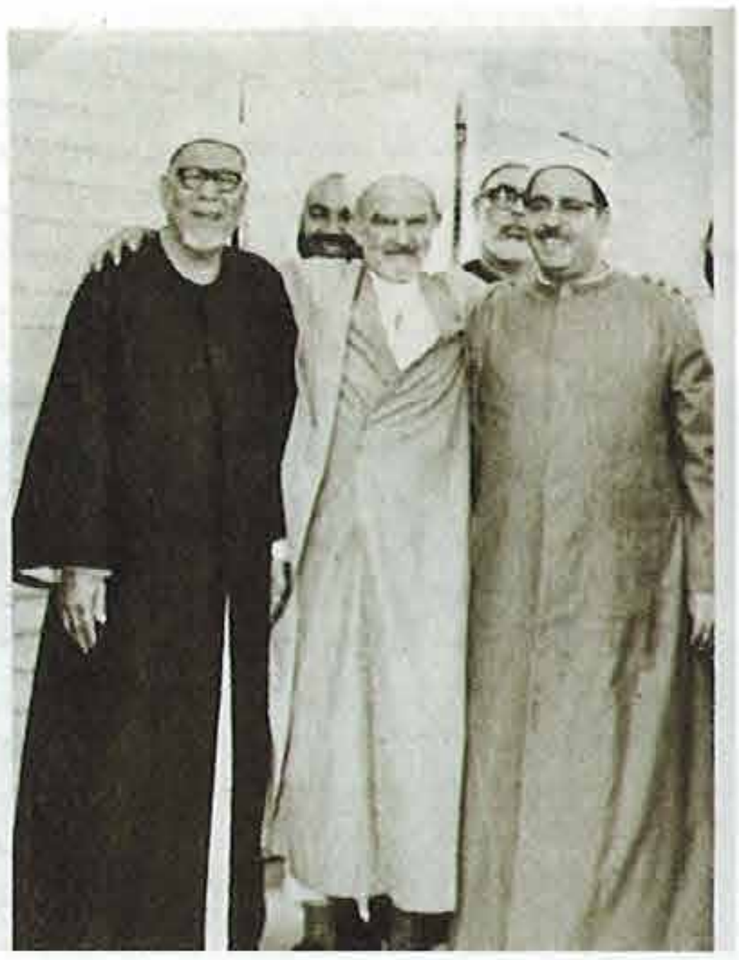

• ما أعقب العدوان الصهيوني عام ٢٠٠٦ من تلاحم ثم سرعة تفرق يحتاج إلى تأمل

• نحن بحاجة إلى مشاريع إعلامية توعوية مشتركة في المدارس والجامعات

• من المهم أن نجنّب مشروع الوحدة التبعية لجهات دولية معينة

العدوان الصهيوني على لبنان في الصيف الماضي، ومن ثم الانفكاك السريع، بل وتبادل التهم والمواقف السلبية يدل على ذلك بوضوح. بينما قضية بهذه الأهمية تحتاج إلى أن تأخذ بعدها الموضوعي الهادئ ضمن دراسات تقوم على أسس قوية.

٣ـ التركيز على المجالين العلمي والسياسي في تحريك القضية، وإهمال البعد العملي، فنحن بحاجة إلى اقتحام العالم اليومي للمجتمعات الإسلامية بغرض تجذير القضية في وجدان المسلمين، ومثال على ذلك صلاة الجماعة، فهي عنوان جامع لكل المسلمين، ويمارسون ذلك في موسم الحج، ويقيمونها في المؤتمرات المشتركة، إلا أننا لم نستطع أن نحرك القضية في حياتنا اليومية بحيث تقام هذه الصلوات في المساجد بمشاركة أتباع المذاهب المختلفة دون تحرج أو تخوف.

٤ـ ضرورة قيام مشاريع إعلامية توعوية مشتركة، في المدارس والجامعات والمجمعات التجارية على غرار المشاريع القائمة فيها اليوم، والتي مازالت تحمل طابعاً مذهبياً أحادياً.

٥ـ تمثيل كل مذهب من العلماء من ذوي الرأي والمكانة في مشاريع الوحدة والتقارب، ليكون التأثير أشمل وأقوى.

٦ـ عدم تبعية مشاريع الوحدة والتقارب لجهات دولية رسمية، بهدف تجنيبها سلبيات التجاذبات والصراعات السياسية.

٧ـ النهوض بالمشاريع على أسس علمية ودراسات ميدانية تأخذ مداها الطبيعي، وتعمل وفق قواعد بيانات شاملة ودقيقة.

٨ـ تحويل القضية من نخبوية

• لابد من جعل القضية عمومية وإخراجها من إطارها النخبوي

• لابد من بناء الإنسان الوحدوي حتى نعطي مفاهيم الوحدة مكونات تربوية تبدأ في الأسرة ونظم التعليم

• وحدة الأمة أمر مقدس ومن أصول القضايا الإسلامية، ولابد من تخصيص باب في الفقه يعالج قضاياها

إلى عمومية، لأن ساحة هذه المشاريع هم عامة الشعوب.

٩ـ أهمية التمهيد من خلال (تعارف المذاهب) قبل الحوار بينها، فالكثير من أتباع كل مذهب يجهلون خصوصيات المذهب الآخر، مما يستدعي بروز الكثير من علامات الاستفهام، وتوفر الأرضية للتفسيرات السلبية لتلك الخصوصيات، مما يخلق حواجز نفسية تصد كل طرف عن الآخر.

١٠ـ ضرورة بناء الإنسان المسلم الوحدوي، حتى نعطي مفاهيم الوحدة مكونات تربوية تبدأ من طرائق التربية داخل الأسرة ونظم التربية في التعليم.

١١ـ نحن بحاجة إلى غربلة علمية ـ وفق أسس الاجتهاد والفتوى عند المذاهب المختلفة ـ للعقائد والعادات الدينية والفتاوى، بهدف تقريب الرؤى وإلغاء ما من شأنه خلق عقد دائمة عند كل طرف.

١٢ـ حيوية تأصيل قضية الوحدة في مقاصد التشريع الإسلامي، وعلى حد تعبير المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين (هذا المقدس ـ وحدة الأمة ـ هو من موضوعات علم الفقه، لم يوضع له باب خاص في الفقه حتى الآن!).



عز السماح لا ذل الانتقام

٤ ربيع الآخر ١٤٢٨ هـ / ٢١ إبريل ٢٠٠٧

• الأخلاق التجارية لا تمثل الأخلاق الإسلامية بل تنطلق من عملية مادية تعطي لكل شئ ثمناً

• العفو ينطلق من عمق الأخلاق الإنسانية التي حث عليها الإسلام في أكثر من مورد

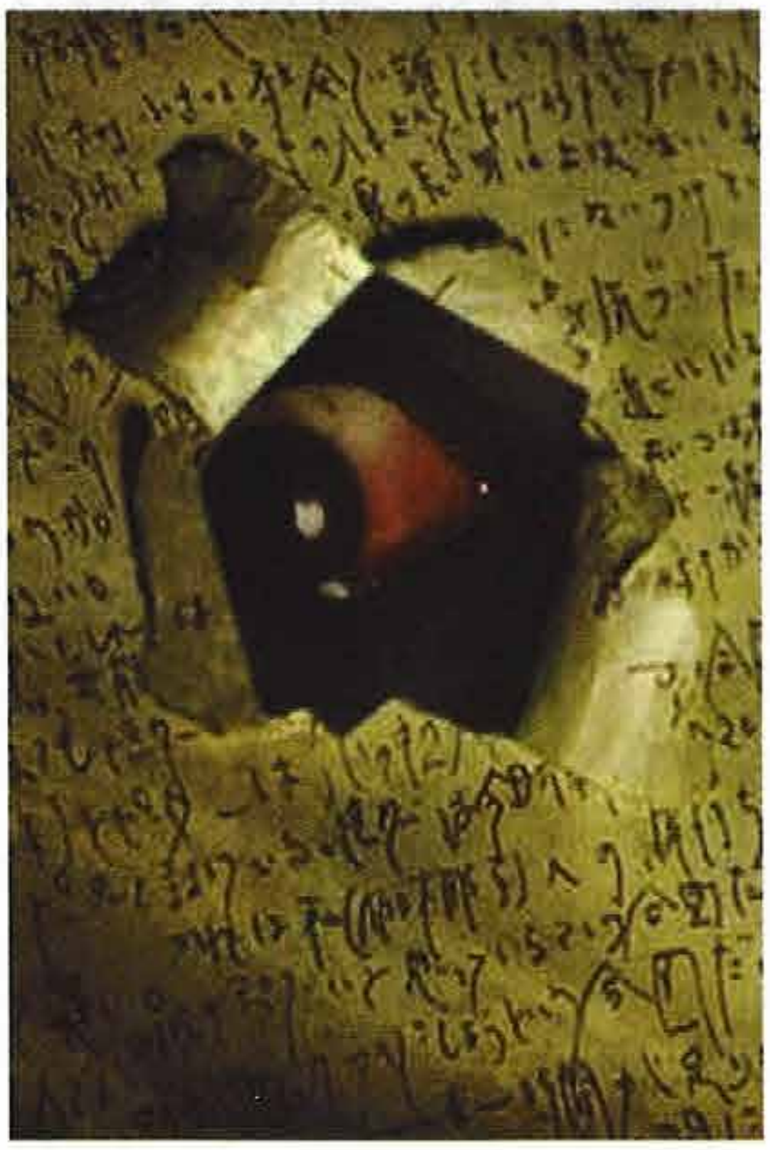

عندما تبتني أخلاق الفرد على أساس ردة الفعل في الموقف بحيث ينصح من ينصحه ويبر من يبره ويبذل من يبذل له ويصل من يصله ويقابل الحسنة بالحسنة والسيئة بالسيئة، فإن أنسب مسمى لها: (الأخلاق التجارية)، تماماً كالتاجر: لا يقدّم بضاعته إلا لمن يقدم له الثمن.

ومثل هذه التصرفات لا تمثل عمقاً أخلاقياً في الذات، بل تنطلق من عملية مادية تعطي لكل شئ ثمناً، أما الأخلاق السامية فهي التي تنطلق من الاندفاع الذاتي الذي يبتني على الإيمان بالخير، بعيداً عما فعله الآخرون أو لم يفعلوه. ولذا قال رابع أئمة أهل البيت الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق: (اللهم صل على محمد وآله، وسددني لأن أعارض من غشني بالنصح، وأجزي من هجرني بالبر، وأثيب من حرمني بالبذلَ، وأكافي من قطعني بالصلة، وأخالف من اغتابني بحُسن الذكر، وأن أشكر الحسنة وأغضي عن السيئة).

فالعفو - إذاً - ينطلق من عمق الأخلاق الإنسانية، وهذا ما دل عليه قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: (ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة: العفو عمن ظلمك وتصل من قطعك والإحسان إلى من أساء إليك وإعطاء من حرمك).

• القرآن الكريم أكد على العفو حتى في قضية الاعتداء بالقتل

• العفو يحقق قيمة اجتماعية ويرتفع بالمستوى الأخلاقي عند الفرد

• الإسلام يريد للإنسان أن يكون كبيراً وأكبر من رد الفعل والحقد وأن يدرس الأمور في نتائجها الإيجابية

تصور معي واحدة من أبشع الجرائم، جريمة القتل التي تؤدي إلى أن تفقد عزيزاً عليك، كم سيمتلئ قلب أحباب الضحية حقداً وغلاً على القاتل؟ مع هذا تجد التوجيه القرآني بإعطاء فسحة للخير في هذا الجو الخانق وذلك من خلال إمكانية العفو من حيث التشريع (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (البقرة:١٧٨)، باعتبار أن العفو يحقق قيمة اجتماعية ويرتفع بالمستوى الأخلاقي عند الفرد بحيث يستحضر قيمة (الأخوة) لتمثل حالة العفو قمة العطاء الإنساني والسمو الروحي، أو بالاكتفاء بالدية بديلاً عن القصاص كهبة للحياة إلى القاتل.

بالطبع ليس الإسلام ضد قيمة العزة والكرامة عند المؤمن، بل في الحديث الشريف: (إنّ الله فوّض إلى المؤمن أمره كلّه ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلاً، إنّ الله يقول: [وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ])، إلا أن الله سبحانه يريد للإنسان أن يسمو ليعيش رحابة الصدر في تعامله مع الآخرين، والأخلاق الرفيعة في تساميه عن الرد بالمثل بل بالصفح عمن أخطأ في حقه، لأن الرد بالمثل قد ينفس عن الضيق الذي يعيشه الإنسان أمام الإثارة، ولكنه يخلق الكثير من المشاكل في المجتمع.

إن الإسلام يريد للإنسان أن يكون كبيراً، أن يكون أكبر من ردّ الفعل والحقد، أن يكون الإنسان الذي يدرس الأمور في نتائجها الإيجابية من خلال ما يبني من علاقات إنسانية، حتى لو جاهد نفسه وعاش مرارة الموقف.

مرحباً لندن

١١ ربيع الآخر ١٤٢٨ هـ / ٢٨ إبريل ٢٠٠٧

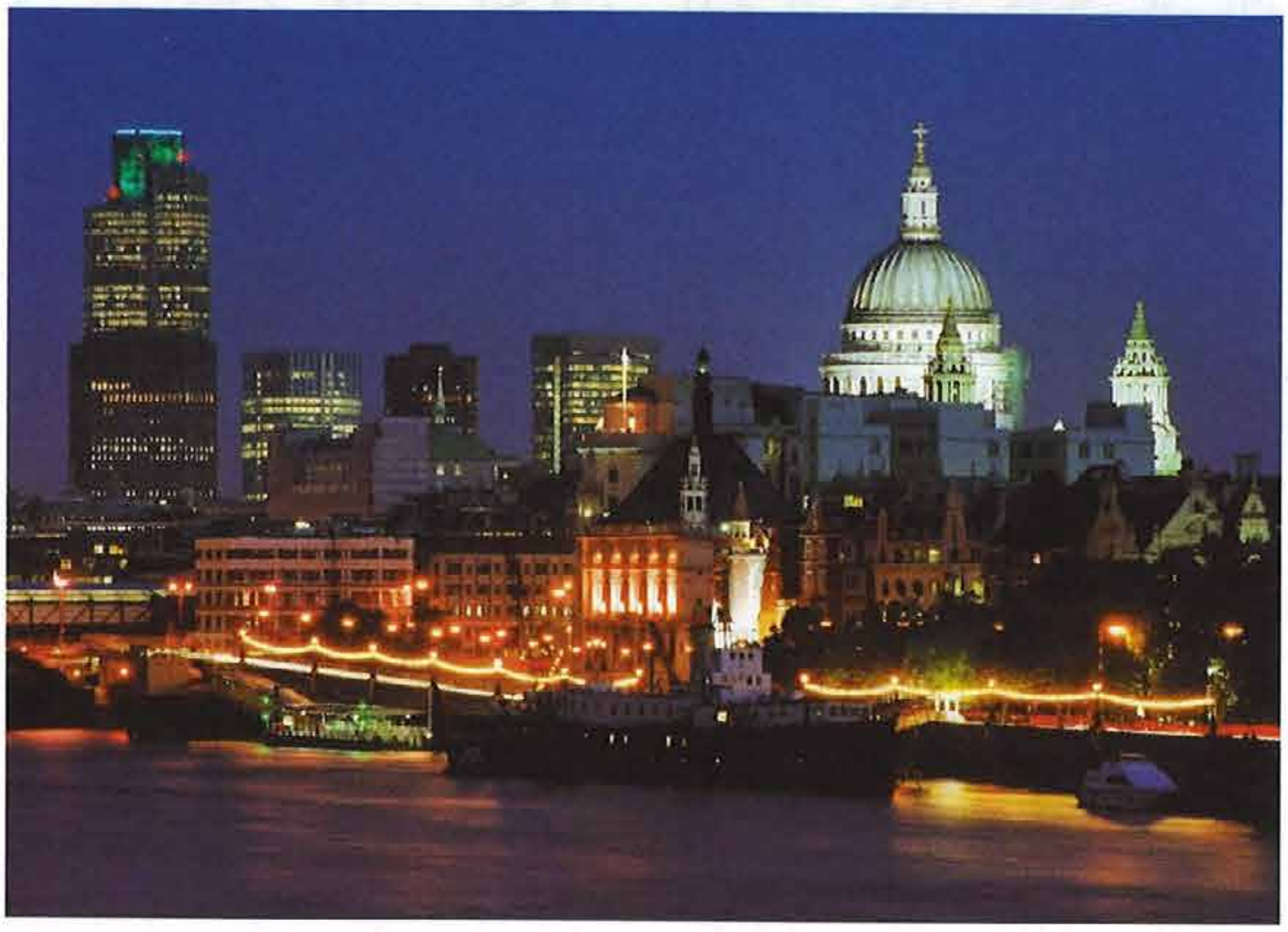

قضيت الأسبوع الماضي أول زيارة لي لبلد خارج نطاق الدول العربية والإسلامية، زيارة إلى المملكة المتحدة، وخاصة عاصمتها لندن... وأن يسمع الإنسان فذلك شئ، وأما أن يرى فذلك شئ آخر... فطالما سمعت عن هذا البلد الذي يحترم النظام ويقدس القانون، إلا أن ما شاهدته رسخ تلك الصورة الذهنية وحولها إلى حالة ملموسة على أرض الواقع.

لاشـــك أن هناك بـــوناً شاسعاً بين المجتمع البريطاني ومجتمعاتنا الإسلاميـــة من حيث القيم الدينية، لاسيما بخصوص الإتيان بالمنكرات علناً، إلا أن الإنسان إذا بقي يحاصر عقله بمجموعة من الأفكار السلبية عن الآخر المختلف معه، فإنه سيفقد حسنة الاستفادة من إيجابيات الآخرِ التي قد تفوق سلبياته أحياناً... وفي قصة النبي عيسى عليه السلام مع جيفة الكلب دلالة واضحة على ذلك، إذ مرّ مع الحواريين على تلك الجيفة فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا الكلب! فقال عيسى عليه السلام: ما أشد بياض أسنانه!

أكثر ما شد انتباهي في هذه الرحلة ـ بالإضافة إلى الطبيعة الخلابة والهواء العليل ـ النظم والقوانين العامة التي شُرِّعت لتسيير وتيسير حركة الحياة اليومية، والتزام عموم الناس بها، وصعوبة تجاوزها إلى

• إذا بقي الإنسان يحاصر عقله بمجموعة من الأفكار السلبية عن الآخ المختلف معه فإنه سيفقد حسنة الاستفادة من إيجابيات الآخر

• الالتزام والنظام والتقيد بالقوانين واحترام إنسانية الإنسان تتوافق بأجمعها مع تعاليم الإسلام

• قال أمير المؤمنين لابنيه: أوصيكما وجميع ولدي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم

• من أسس سلامة كل مجتمع أن تكون علاقات أفراده ببعضهم البعض قائمة على النظام والتنظيم واحترام القانون

درجة أن أكبر مسئول مهدد بالاستقالة (أو الانتحار) فيما لو خالف تلك الأنظمة بما يضر المجتمع الذي وثق به وأوكل أموره إليه.

كما لاحظت اهتمامهم الكبير بتفاصيل دقائق الأمور درءاً لاحتمالات وقوع الحوادث، وهي بمفرداتها قد تبدو تافهة، إلا أن جمعها يُظهر لك الصورة الكبيرة التي ترتسم على صفحة النظام العام لهذا البلد.

ومثل هذا الالتزام والنظام والتقيد بالقوانين واحترام إنسانية الإنسان تتوافق بأجمعها مع تعاليم الإسلام التي برزت من خلال أطروحاته التي أراد تطبيقها على الأرض عبر ثلاثة مقومات: التقوى ـ الأخلاق ـ القانون، وبالتالي فإن المسلم لا يملك إلا أن يُبدي إعجابه بهذه المشاهد التي تعود بذاكرته إلى النصوص التي أفرغناها من محتواها، أو أوّلنا معانيها بما يتوافق مع أهوائنا ومصالحنا، أو اعتبرناها من كماليات الحياة، وهي من أساسياته !

لقد كان النظام والتنظيم واحترام القانون وتطبيقه على الجميع والنهي عن المحسوبية والواسطة كله في أصول التعاليم الإسلامية، ومنها قول أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو يوصي ابنيه الحسن والحسين قبيل استشهاده: «أوصيكما وجميع ولدي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم».

وهذا هو الأساس في سلامة كل مجتمع من المجتمعات، أن تكون علاقته ببعضه البعض، علاقات ترتكز على أساس القواعد الّتي تنظّم للمجتمع دوره في حركة أفراده، ودوره في علاقات أفراده ببعضهم البعض، وفي علاقات أفراده بالجهات الرسمية والقضائية.

وهذه هي المشكلة التي لا يزال المسلمون يعيشون فيها على مستوى كل مجتمعاتهم، فإنّهم يتحرّكون كأفراد، ولا يتحرّكون كمجتمع، بحيث أنّ كل فريق يتصور نفسه كلّ شيء، أو كلّ شخص يتصوّر نفسه أنّ الحياة له أو أنه هو محور الحياة وقطب رحاها،

• بعض المجتمعات تعاني من أن كل فريق فيها يتصور نفسه أن الحياة له أو أنه هو محور الحياة وقطب رحاها

• تقديم المصالح الذاتية تدفع البعض لإلغاء الآخر، والنتيجة الحتمية هي الفوضى

• مسئولية الانتماء إلى الإسلام لا تتلخص في الصلاة والصيام بل تتخطاها إلى كل تعاليمه التي تعزز إنسانية الإنسان واحترام حقوقه

وليس لأحدٍ حقّ الحياة معه، وأنّ السّاحة له وليست لأحد غيره، فيسعى لتجاوز القوانين أوتجييرها لصالحه أو التلاعب عليها، لتكون المنفعة لذاته أولاً، ثم ـ لربما ـ للآخرين.

هذا على مستوى الأفراد، وهو كذلك على مستوى العشائر، وعلى مستوى الأحزاب، وعلى مستوى الطوائف.. الكل يريد أن يلغي وجود الطرف الآخر، وبذلك يتصرّف كما لو كان الطرف الآخر ليس موجوداً، والنتيجة الحتمية هي الفوضى.

إن مسئولية الانتماء إلى الإسلام لا تتلخص في الصلاة والصيام وعموم العبادات، بل تتخطاها إلى كل تعاليم الإسلام التي هدفت إلى تعزيز إنسانية الإنسان واحترام حقوقه وتقويم نظام علاقاته.



أرقام مذهلة

١٨ ربيع الآخر ١٤٢٨ هـ / ٥ مايو ٢٠٠٧



قال الله عز اسمه (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران:٩١).

اشتركت الأسبوع الماضي في ندوة حول الاستهلال، وتحدثت حول بعض الوسائل التعليمية التي من شأنها تيسير المعلومات الفلكية التي يرغب عامة الناس بالاطلاع عليها فيما يرتبط بالاستهلال وحركة القمر حول الأرض، إلا أن ما شدني في تلك الندوة المعلومات والأرقام المذهلة التي أتحفنا بها المهندس محمد علي الصائغ وهو يتحدث حول الكون وعجائبه، الأمر الذي يعمق إيمان الإنسان ـ هذا المخلوق الضئيل ـ بخالق هذا الوجود العظيم العظيم.

وقد أثارني كلامه لاستخلاص بعض المعلومات عن الكون من خلال شبكة الإنترنت، فتوصلت إلى معلومات رائعة من بينها:

• لو تصورنا الأرض بحجم التيلة فستكون الشمس بحجم ضعفي كرة القدم

١ـ لو تصورنا الأرض بحجم الكرة الزجاجية الصغيرة التي يلعب بها الأطفال (التيلة)، عندئذ تكون الشمس بحجم ضعفي كرة القدم، ولكن النقطة الغريبة التي تلفت الانتباه هي المسافة الفاصلة بينهما فلو صغرناها بنفس النسبة، عندئذ تصبح المسافة الفاصلة ٢٨٠ متراً أما الكواكب البعيدة فتصبح

• مجرتنا فقط تحتوي على نجوم وشموس يربو عددها على ٢٥٠ مليار نجمة

• حجم مجرتنا يعتبر صغيراً جداً بالمقارنة مع حجم الكون، الذي يحتوي على قرابة ٢٠٠ مليار مجرة

• المسافة الفاصلة بين الأجرام السماوية وطريقة انتشارها تعتبر لازمة لاستمرار الحياة على الأرض

علي بعد كيلومترات عديدة... ترقّب المعلومات التالية المترتبة على هذه.

٢ـ مجرتنا (درب التبانة) تحتوي على نجوم وشموسٍ كثيرة، ومعظمها أكبر حجماً من شمسنا ويربو عددها على ٢٥٠ مليار نجمة.

٣ـ أقرب نجوم مجرتنا إلينا نجم يدعى (ألفاسنتوري)، ولتوضيح مدى قربه من مجموعتنا نرجع إلى المثال السابق الذي صغرنا فيه الأرض إلى حجم كرة زجاجية صغيرة والشمس تبعد عنها ٢٨٠ متراً عندئذ يكون النجم (الفاسنتوري) على بعد يقدر بـ ٧٨ ألف كيلومتر من الشمس!

٤ـ ثم تخيل أنه يفصل بين الـ ٢٥٠ مليار نجمة الموجودة في مجرتنا فقط مسافات شاسعة بقدر تلك المسافة أو أكثر، فكم هو حجم مجرتنا إذاً ؟!

٥ـ هذا كله بالنسبة إلى حجم مجرتنا، والأغرب من ذلك أن حجم هذه المجرة يعتبر صغيراً جداً بالمقارنة مع حجم الكون، فالكون يحتوي على مجرات أخرى يقدر عددها بـ ٢٠٠ مليار مجرة !! أما المسافات الفاصلة بين هذه المجرات فأكبر من المسافة بين الشمس ونجم الفاسنتوري بملايين المرات !!

٦ـ ومن النظريات الحديثة أن هذه المجرات تتحرك بحيث أنها تتداخل دون أن يحدث بينها أي اصطدام !

٧ـ المسافة الفاصلة بين الأجرام السماوية وطريقة انتشارها في الكون تعتبر لازمة لاستمرار الحياة على الأرض، ولو كانت هذه المسافات أصغر قليلاً لأثّرت قوى الجذب الهائلة الموجودة بين كتل النجوم المختلفة، وبالتالي أدى ذلك إلى إحداث خلخلة في أفلاك الكواكب، وستؤدي حتماً إلى تفاوت كبير في الحرارة، ولوٍ كانت هذه المسافات أكبر قليلاً لتشتت المعادن المنطلقة من النجوم العملاقة ولما نشأت كواكب مثل الأرض.

٨ـ أما الأرقام الحقيقية لتلك المسافات فهي رهيبة، لاحظ بعض النماذج:

أ ـ يبلغ قطر مجرتنا حوالي مائة ألف سنة ضوئية، والسنة

• كتلة مجرتنا تقدَّر بأكثر من ١٠٠ مليار ضعف كتلة الشمس

• يبلغ قطر مجرتنا حوالي ١٠٠ ألف سنة ضوئية، أي أكثر من ٩ تريليون كم

• قال أمير المؤمنين: كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله ؟

الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء في سنة واحدة، أي حوالي ٩,٤٦ تريليون كم (التريليون كيلومتر يساوي مليون مليون كيلومتر). فالحاصل أن قطرها = ٩٤٦ ألف تريليون كم!

ب ـ يبلغ سمك مجرتنا عند الانتفاخ المركزي حوالي ١٠,٠٠٠ سنة ضوئية، أي ٩٤ ألف وستمائة تريليون كم.

جـ ـ يبلغ متوسط المسافة بين النجوم في الناحية التي تضمّنا من مجرتنا حوالي خمس سنوات ضوئية، أي أكثر من ٤٧ تريليون كم.

د ـ يقدر معظم الفلكيين الكتلة الإجمالية لمجرتنا بأكثر من ١٠٠ مليار ضعف كتلة الشمس، وتقدر كتلة الشمس بنحو ١٩٩٠ تريليون تريليون طن !

هـ ـ يبلغ نصف قطر الكون المرئي بحساب أينشتاين ٣٥ مليار سنة ضوئية، أي أكثر من (٣٣١ مليار تريليون كم). وقد تضخم الرقم وفق نظريات أخرى!

فتبارك الله أحسن الخالقين، وما أحسن وصف أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث قال: (كَيْفَ يَصِفُ إِلهَهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ ؟).



بين الضعف الإنساني والضعف الأنثوي

٢٥ ربيع الآخر ١٤٢٨ هـ / ١٢ مايو ٢٠٠٧



لك أن تتخيـــل صعوبة الموقف الذي تعرّضت له السيدة مريم ابنة عمـــران وهي تتعامـــل مع حـــدث غريب، حمل غير متوقع ومن دون رجل، ثم ولادة بمعزل عن الناس في مكان ناء في ظروف حرجة ينهار فيها أشد الناس صلابة. في البداية كان الاستسلام لنقطة ضعف أنثوية (قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً)(مريم: من الآية٢٣)، إلا أنها سرعان ما تمالكت نفسها وتماسك موقفها بعد أن فتح الله أمامها أبواب الأمل والطمأنينة المتمثلة بحدث الولادة المبارك، ودعاها إلى الاعتصام به، فواجهت قومها الذين جاءوا يلعنوها ويشتمونها ويتهمونها بأبشع الاتهامات، وبكل قوة وترفّع، من دون أن تنطق بكلمة، وأشارت إلى المولود ليجيبهم عن تشكيكاتهم غير مكترثة باستغرابهم لأنها كانت محصّنة بقوة الإيمان... وخلّد القرآن الكريم صلابة موقفها وانتصارها على نقطة ضعفها (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ) (مريم:٢٩-٣١).

• العاطفة ليست قدراً لازماً للمرأة، بل هي نقطة قوة بلحاظ، ونقطة ضعف بلحاظ آخر

العاطفـــة ليســـت قدراً لازماً للمرأة، بل هي نقطة قوة بلحاظ، ونقطة ضعف بلحاظ آخر، فإذا نظرنا إلى الدور الذي تنهض به المرأة من خلال عاطفتها في تكوين علاقتها بزوجـــها والحفاظ

• تعرض القرآن لبيان ومعالجة بعض نقاط الضعف عند الإنسان رجلاً كان أو امرأة

• بإمكان المرأة تجاوز نقاط ضعفها العاطفية في شخصيتها وتحويلها إلى نقاط قوة

• بعض النساء قد تكون أعظم من بعض الرجال بعقلها الغني بالتجربة وإرادتها الصلبة

على بيت الزوجية، وفي نهوضها بمسئوليات تربية النشء والسهر على راحة أبنائها، فإنها تغدو نقطة قوة، وإذا فقدت السيطرة عليها واستغرقت في أجوائها على حساب العقل، فإنها تتحول إلى نقطة ضعف تماماً ككل نقاط الضعف الأخرى الموجودة لدى المرأة والرجل، والتي تعرّض القرآن الكريم لبيانها ومعالجتها عن طريق التوجيه إلى الأسلوب الأمثل لخلق حالة التوازن داخل الإنسان بين عقله وعواطفه.

وهذا يعني أن بإمكان المرأة - كما الرجل - تجاوز نقاط ضعفها العاطفية في شخصيتها وتحويلها إلى نقاط قوة، بل قد تبلغ في هذا المجال مستوى أعلى من مستوى الرجل، تبعاً للمجهود المبذول في قوة المعاناة والمجاهدة من ناحيتها.

كما أكّد القرآن على قدرة المرأة على الانتصار على نوازع الضعف الإنساني الأنثوي بالتربية والوعي والممارسة، في المستويات التي تساوي فيها الرجل أو تتفوق عليه، وبهذا يبطل التصور عند بعض الرجال بأنهم أعظم قدراً من المرأة، أية امرأة كانت، فينظرون إليها نظرة متعالية على أساس التفوق النوعي. إن القرآن يدلنا على خطأ هذه النظرة، لأن بعض النساء قد تكون أعظم من بعض الرجال بعقلها الغني بالتجربة، وإرادتها الصلبة في مواقع المعاناة، وهو ما حكاه القرآن الكريم من عمق التفكير وحسن التدبير والقرار النهائي السليم الذي اتخذته ملكة سبأ وهي تسلم لرب العالمين ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ... قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل:٣٢-٤٤).

هل الدين أساس الحروب بين الناس؟

٢ جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ / ١٩ مايو ٢٠٠٧



شهد تاريخ البشرية حروباً دينية عنيفة تركت آثارها المدمرة لأزمان طويلة على البشر وعلى المادة، وخلقت أجواء من الكراهية الدفينة، وزرعت بذور حروب مستقبلية لا تقلّ عنفاً ولا امتداداً عن سابقاتها.

ولعل من يقرأ القضية على عجل سيجد أن حسّ القداسة الغيبية في ما يتبناه الناس من الأديان، وحرارة الإيمان التي تسري في عروق المؤمنين بها، هي التي تدفعهم إلى إلغاء الآخر ومن ثم العمل على محوه من الوجود، وبذلك يتحول المؤمن بالدين إلى شخصية عدوانية ساحقة ضد الإنسان الآخر «الكافر».

وهذا مايجعل من الحروب الدينية أمراً طبيعياً أمام الخلافات الدينية، سواء أكانت منطلقة من عمق الإيمان، أو من استغلال الشعار، ولهذا يدعو البعض إلى إلغاء الدين من حياة الإنسان لتستطيع الإنسانية أن تحصل على السلام.

ونحن بدورنا لا ننكر أن للدين ـ ونخص الإسلام في حديثنا هذا ـ تأثيراً على الوجدان الإنساني أكثر من أي فكر آخر، ولكن ليس معنى ذلك أن الروح الدينية تنطلق من فكرة إلغاء الآخر، بل هي تدعو إلى الانفتاح عليه ومحاورته واستخدام الحكمة والمنطق كوسيلة للإقناع ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ

• يدعو البعض إلى إلغاء الدين من حياة الإنسان لتستطيع الإنسانية أن تحصل على السلام!!

• الجهل والتخلف يسيطران على بعض المجتمعات المتدينة ويدفعان إلى المواجهة والعنف اللامبرر

• الدين بطرحه القضايا الإنسانية للمضطهدين أو المحرومين كعناوين كبرى جعل الحروب التي يخوضها المؤمنون حروباً إنسانية

• اتهام الدين بأنه السبب الرئيسي في إشعال الحروب كلام غير دقيق

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)(النحل: من الآية١٢٥)، نعم الجهل والتخلف اللذان يسيطران على بعض المجتمعات المتدينة أو الأفراد المتدينين هما اللذان يدفعان إلى المواجهة الخاطئة والعنف اللامبرر.

ثم إن الحروب قد تنشأ من اعتداء الآخر الذي يعمل على العدوان على الموقع الديني عسكرياً أو اقتصادياً أو سياسياً، مما يجعل الحرب أمراً وقائياً أو دفاعياً ولا يمثل عندهم تنفيساً لعقد، بل علاجا للواقع الصعب.

هذا فضلاً عن أن اتهام الدين بأنه السبب الرئيسي في إشعال الحروب كلامٌ غير دقيق فالخلافات العرقية والقومية والاقتصادية والسياسية كانت ومازالت وراء كثير من الحروب التي لربما تسترت بشعار ديني لتكتسب من القداسة ما يكفل لها فرص الإنتصار في المعركة من خلال تجييش الشعوب ودفعها للقتال إلى النهاية. بل إن الدين ـ لاسيما الإسلام ـ ألغى الفروق العرقية والقومية والجغرافية، فهو على هذا يمثل عاملاً مهماً في تجفيف منابع الحرب وإلغاء أسبابها، خصوصا مع التأكيد على نبذ التعصب وأنه (من تَعصب أو تُعصب له فقد خلع ربقة الإيمان من عنقه) حديث شريف.

ولربما يمكننا القول أن الدين بطرحه القضايا الإنسانية للمضطهدين أو المحرومين أو المستعبدين كعناوين كبرى لحركته في ساحة الصراع والمواجهة، قد جعل الحروب التي يخوضها المؤمنون حروبا «إنسانية» في عنوانها الأولي المباشر، لاحروباً دينية بمعناها التقليدي.

إن من يحمل الدين علماً وعملاً ووعياً ومسؤوليةً لن تكون الحرب خياره الأول في التعامل مع الآخر المختلف، بل هو خياره الأخير فيما لو اعتدي عليه أو سعى الآخرون لإلغائه من الوجود.

إنتاج الحقد

٩ جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ / ٢٦ مايو ٢٠٠٧



كتب (جاك فوستر) صاحب كتاب (كيف تحصل على الأفكار) موضوعاً تحت عنوان (هل جربت يوماً لعبة: ماذا لو؟)، وذكر فيه أنها لعبة يلعبها الأشخاص المبدعون في كثير من وكالات الإعلان, عندما يحاولون الخروج بطريقة لإظهار ميزات منتجٍ ما أو خدمةٍ ما.

ماذا لو حولنا المنتج الى شخص ما؟ أي نوع من الأشخاص يجب أن يكون؟ رجل؟ امرأة؟ سائق شاحنة؟ فنان؟ لاعب كرة سلة؟ ماذا يجب أن يقول ذلك الشخص؟ كيف يجب أن يتصرف؟ ما هي الطريقة التي يجب أن يتكلم بها؟ وعشرات الأسئلة الأخرى، والهدف من ذلك محاولة الوصول إلى الرأي الأفضل للتطوير أو حل المشكلة.

و (لو) هذه إيجابية من قبيل قول النبي لوط عليه السلام (قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) (هود:٨٠)، وليست تلك التي تفتح عمل الشيطان.

وبدوري أريد أن أمارس هذه اللعبة في خصوص مشكلة تعاني منها مجتمعاتنا وهي: إنتاج الحقد.

فكل جيل يصنع عالمه، وعالمنا هذا نحن الذين نصنعه، وقد صنعناه عالماً يتحرك فيه الحقد في كثير من مواقعه، تارة بعنوان القداسة

• كل جيل يصنع عالمه، وعالمنا هذا نحن الذين نصنعه، وقد صنعناه عالماً يتحرك فيه الحقد في كثير من مواقعه

• نحن نضع أديانـنا وانتماءاتنا الطائفية في الواجهة ثم نغلقها على العصبية

• فلنجرب لفترة أن نعيش طهر الهدوء في عقولنا وفي قلوبنا وفي حياتنا

• كيف سنصوّر الحقد لو أريد لنا أن نجعله بهيئة مخلوق؟



التي تمظهرت في حقد أتباع كل دين على الأديان الأخرى، وحقد أتباع كل طائفة على الطوائف الأخرى، لأننا نضع أديانـنا وانتماءاتنا الطائفية في الواجهة ثم نغلقها على العصبية، فيُخيـّل لنا أننا كلّما تعصبنا أكثر كلما كنا متدينين أكثر... وتارة بعنوان الحفاظ على المصالح الكبرى للبلد أو الأمة لينتج في نهاية المطاف حقد عند هذا الخط السياسي تجاه الخطوط السياسية الأخرى... ثم حقد الموظف على مسؤوله، وحقد بين الأقرباء وبين الأصدقاء وبين المتنافسين.. والقائمة تطول.

ـ ماذا لو جربنا لفترة أن نعيش طهر الهدوء في عقولنا وفي قلوبنا وفي حياتنا؟

ـ ماذا لو جرّبنا فكراً يعيش رحابة الحياة ويخطط لرحابة المستقبل؟

ـ ماذا لو كنت أنت المحقود عليه، فماذا تتمنى حينها، وكيف تتصرف؟

ـ ماذا لو كنت أنت الحاقد، فكيف ستكون حياتك، وما تأثير ذلك على علاقاتك؟

ـ ماذا لو أعطي الحاقد مجموعة من الألوان وفرشاة ليصبغ بها الحياة، فأي لون سيختار؟

ـ ماذا لو حوّلنا الحقد إلى شخص إنسان؟ أي نوع من الأشخاص سيكون؟ رجل ؟ امرأة ؟ وما هي مهنته ؟ ومن الذي سيقيم علاقة صداقة أو زواج أو حتى رفقة معه ؟ ولو تزوج ـ أو تزوجت ـ فكيف ستكون ذرية ذلك الموجود؟

ـ ماذا لو أعطيت الاختيار في تصوير الحقد بهيئة مخلوق ما، فكيف سترسمه؟ أو ما هو أقرب الموجودات شبهاً به؟ وماذا لو حُبست مع هذا المخلوق في غرفة واحدة ولمدة يوم واحد،

• إننا ننتج الحقد في المجتمع ولا نبالي بأخلاقيات ما ننتمي إليه

• كيف ستتصرف لو كنت أنت المحقود عليه؟ وماذا ستتمنى ؟

• الإسلام يدعو إلى السلام في العلاقات بين المسلمين وبينهم وبين غيرهم من لا يريدون بهم السوء



فكيف سيكون يومك ذاك؟

لا أتصور أن أحداً يطيق العيش مع مثل هذا المسخ، فكيف يطيق الإنسان الحاقد نفسه وقد كمن ذلك المسخ في قلبه؟ وكيف يرتضي من يدرك قبح الحقد أن يزرع الحقد في قلبه ثم يصدره للآخرين؟

إننا ننتج الحقد في المجتمع ولا نبالي بأخلاقيات ما ننتمي إليه، فالإسلام يدعو إلى السلام في العلاقات انطلاقاً من قوله سبحانه (وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلام) (يونس: من الآية٢٥)، وباعتباره إطار شبكة العلاقات بين المسلمين فيما بينهم، وبين المسلمين وغيرهم ممن لا يريدون بالإسلام والمسلمين سوءً، ومن الواضح أننا لن ننتج هذا السلام مادمنا ننتج الحقد في صدورنا.... (احصد الشرّ من صدر غيرك بقلعه من صدرك) الإمام علي عليه السلام.

الفقه البيئي

١٦ جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ / ٢ يوينو ٢٠٠٧



وظاهرة الاحتباس الحراري، ويحتوي صوراً تُظهر أن الطرف الجنوبي من البحر الميت يكاد ينفصل تماماً عن بقية البحر، وأن البحر يتبخر بمعدل متر واحد كل عام، أما بالنسبة لمنطقة شط العرب، والتي كانت تعتبر أكبر مزرعة لأشجار النخيل في العالم، فقد دمرت فيها أكثر من أربعة عشر مليون نخلة على مدى ثلاثين عاماً، وأصبحت المنطقة الآن شبه خاوية.

الدول الثماني الكبار: بريطانيا، كندا، فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، اليابان، روسيا، والولايات المتحدة ستجتمع في ألمانيا بين السادس والثامن من يونيو، وستركز في مباحثاتها على مشكلة التغير المناخي. والأطلس الجغرافي الذي أصدرته الأمم المتحدة كشف عن تغييرات جذرية شهدتها جغرافية الأرض بسبب الانفجار السكاني

ودراسة علمية تحتمل أن يذوب كل الثلج الموجود في (جرينلاند) حتى عام ٢١٠٠ وذلك مع ارتفاع درجة الحرارة بمقدار ٣ درجات كما هو متحقق حالياً، وهو ما ينذر بكوارث عديدة، منها ارتفاع مستوى سطح البحر ٧ أمتار، وانبعاث غاز الميثان الذي سيساهم في رفع درجة حرارة الأرض بمقدار ١,٥ درجة إضافية.

• من المحتمل أن يذوب كل الثلج الموجود في جرينلاند حتى عام ٢١٠٠ وذلك مع ارتفاع درجة الحرارة بمقدار ٣ درجات

• نحن مسؤولون أيضاً عما يجري من تدمير بيئي ولو في نطاق محدود

• العقل بذاته يحكم بضرورة التعامل وفق أسس سليمة مع المحيط الذي يعيش فيه الإنسان

• قال النبي الأكرم: أكرموا عمّتكم النخلة

صحيح أن دورنا في مجتمعات العالم الثالث قليل فيما يجري من تدمير بيئي وفي التأثير على القرارات الدولية أيضاً، إلا أن هذا لا يعفينا من مسؤولياتنا ولو في نطاق محدود.

ومع كل هذه الأرقام ودلالاتها الخطيرة لن نحتاج إلى توجيه ديني كي نتحرك في اتجاه الحد من العبث بالبيئة، لأن العقل بذاته يحكم بضرورة التعامل وفق أسس سليمة مع المحيط الذي يعيش فيه الإنسان وعدم الإضرارٍ به، لأن ذلك سيعود لاحقاً على الإنسان ذاته، إن لم يكن في هذا الجيل، ففي الأجيال التي ستعقبه، إلا أننا أحياناً نجد أن القداسة التي تحيط بالدين وتعاليمه وتشريعاته تحرك الكثيرين من الذين يتقاعسون في مثل هذه المواقع عن التحرك الإيجابي الفاعل، لا سيما في ظل غياب القوانين الوضعية أو عدم فاعليتها.

وإذا كانٍ النص الديني الإسلامي غنياً بمفردات بعض القضايا البيئية، من قبيل الإسراف (وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (الأَعراف:٣١)، والتحذير من سنة الله الكونية المترتبة على الإفساد والذي يشمل العبث بالبيئة (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُواَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (الروم:٤١)، بل والدعوة للاقتراب من عناصر البيئة ومصادقتها، كما في التعبير النبوي الرائع (أكرموا عمتكم النخلة)، وهو ما يوحي بقرب الصلة منها كما لو كانت من أرحام الإنسان، مع كل ذلك إلا أننا مازلنا لا نمتلك فقهاً خاصاً بالبيئة يماثل فقه التجارة والنكاح والوقف والإرث وما إلى ذلك، بحيث يتناول كل القضايا البيئية من الزاوية الشرعية ليكون رافداً أساسياً في التوعية البيئية والسلوكيات الصحيحة تجاه المحيط الذي يعيش فيه الإنسان واؤتمن عليه من قبل الله تعالى باعتباره خليفته على الأرض.

كما تأخر الدعاة والخطباء

• ما زلنا لا نمتلك فقهاً خاصاً بالبيئة يماثل فقه التجارة والنكاح والوقف والإرث

• تأخر الدعاة والخطباء وعلماء الدين في توجيه خطابات دينية واضحة المعالم باتجاه قضايا البيئة

• لابد أن نتعامل مع قضايا البيئة كمفردة من مفردات سلوكياتنا وأخلاقياتنا

وعلماء الدين في توجيه خطابات دينية واضحة المعالم فيما يرتبط بمسئولية الإنسان تجاه البيئة التي أظهر فيها الفساد، لاسيما خلال المائة سنة الأخيرة.

ومن الواضح أننا بحاجة إلى رافد ثالث وهو تحويل التعامل السليم مع البيئة إلى مفردة من مفردات سلوكياتنا وأخلاقياتنا كمسلمين، تماماً كما نتعامل مع مفردة الصدق والأمانة والوفاء وما شابه، ومن دون تحجيم لها في نطاق الثواب والعقاب، بل لتتأصل كجزء من شخصيتنا وهويتنا الإسلامية، وهو ما لن يتم إلا بالتربية والتعليم والتركيز المستمر في أدبياتنا الإسلامية على هذه القضية التي لا ينفك الإنسان من التفاعل معها بصورة دائمة.

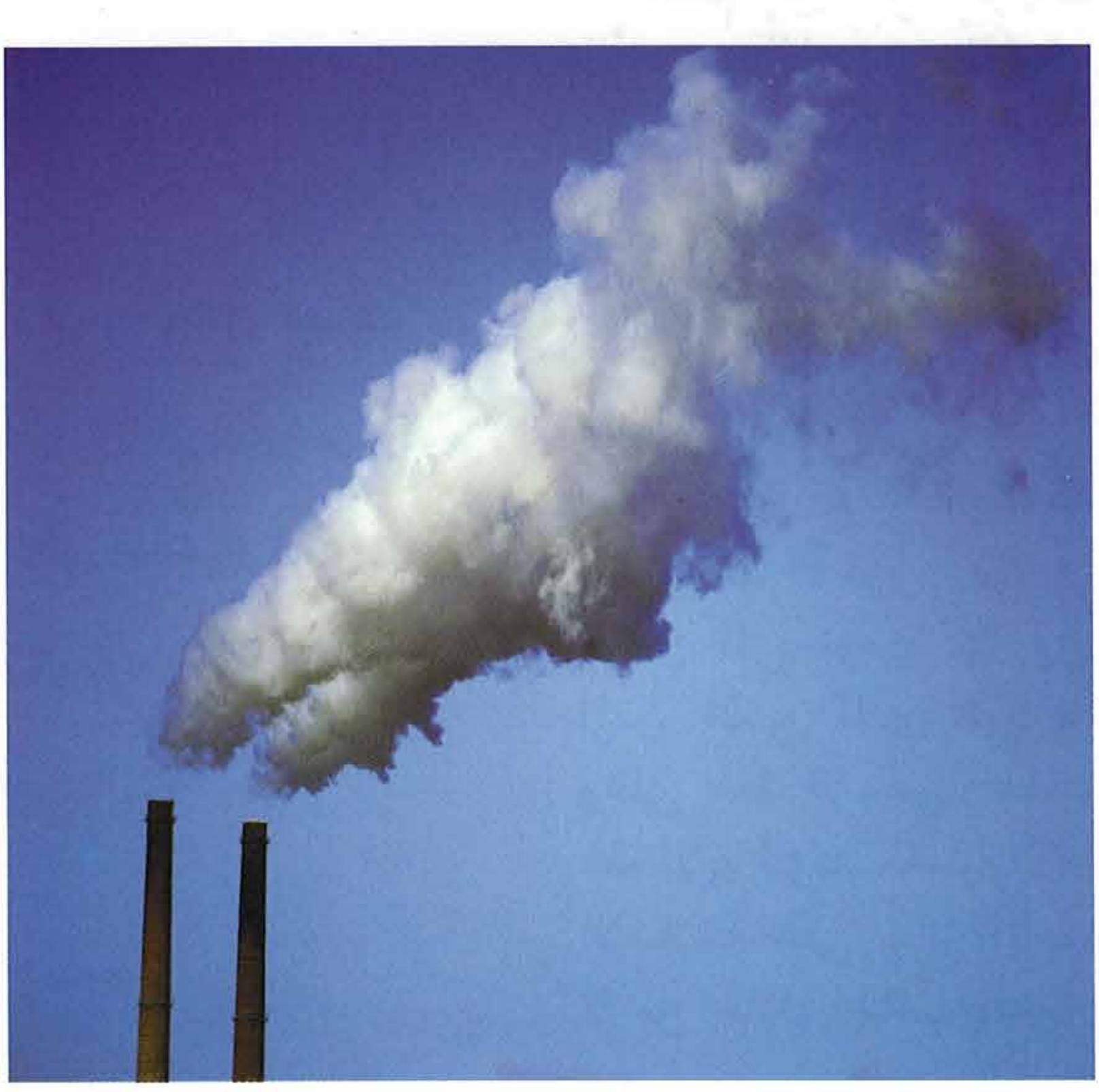

معايير تقييم خير أمة

٢٣ جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ / ٩ يونيو ٢٠٠٧



• قيمة كل أمة في المبادئ التي تؤمن بها وفي الدور الكبير الذي تقوم به

(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (آل عمران:١١٠).

قيمة كلّ أمّة بالنسبة إلى الأمم الأخرى، هي في المبادئ التي تؤمن بها وفي الدور الكبير الذي تقوم به. وعلى هذا الأساس، جاءت هذه الآية لتؤكّد أفضلية الأمّة الإسلامية على سائر الأمم، لا من خلال الجانب الذاتي الذي يقوم على تفضيل شعب على شعب لصفاته الذاتيّة، أو لامتيازات غيبية خاصّة كما هو شأن اليهود في اعتقادهم بأنّهم شعب الله المختار، بل من خلال الدور الذي أنيط بالمسلمين في تغيير الواقع الفاسد، والذي يؤهلهم لأن يكونوا (أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)(البقرة: من الآية١٤٣)؛ بلحاظ أن الوسطية هنا تعني أن تكون هذه الأمة كقطب الرحى بالنسبة لسائر الأمم، وهي المعيار الذي من خلاله يتم التقييم (الشهادة).

وإذا كانت قيمة الأمّة من حيث الدور لا من حيث الذات، فإنَّ الحكم على واقعها العملي تابع لقيامها بهذا الدور. والتعبير بـ (كنتم) لا يعني تحقق الأمر في زمن سابق دون إمكانية تحققه لاحقاً، بل تأتي هذه الكلمة بمعنى (أوجِدتم) أي أوجدكم

• الحكم على الأمة في خيريتها يعود إلى واقعها العملي ومقدار قيامها بالدور الديني والإنساني

• صاغ الله تعالى أمة الإسلام لتكون خير أمة لا من خلال العنوان الذي تحمله، بل من خلال المقومات والتشريعات التي تشكل شخصيتها

• انطلاق المسلمين في الحياة الاجتماعية كجماعة موحدة على أساس رسالة الله هو الذي يحولهم إلى دعاة للتغيير

الله من خلال المقـــومات والتشريعات التي صاغت شخصيتكم بهذه الصورة حتى عدتم من خلالها خير أمة، تماماً كقوله تعالى (وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً) (النساء: من الآية٩٦) فإن (كان) لا تتضمن معنى الزمن الماضي هنا. ومن خلال ذلك يمكننا القول بأن الآية الشريفة تقدم معايير تحقق (الخيرية) على سائر الأمم، وذلك من خلال الالتزام بمنهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع ملاحظة الأمور التالية:

١. الحاجة إلى عمل مؤسسي ينهض بهذين الواجبين.

٢. تأصيل هذين الواجبين في شخصية المسلم بحيث يكونان جزء من هويته الإسلامية، لا مجرد تكليف شرعي يريد إبراء ذمته منه.

٣. توسيع أفق المسلم في فهم نطاق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحيث يشمل دوائر أخرى (قضايا البيئة وحفظ النظام العام واحترام القوانين...إلخ) فلنا أن نتصور مجتمعاً إسلامياً ملتزماً بصلاته وصيامه وزكاته، أيمكن أن يصبح خير الأمم لمجرد ذلك؟

٤. إدراك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتمان أساساً بالأساليب العنيفة، بل بالمحبة والكلمة الطيبة والأسلوب الأمثل قال تعالى لموسى وهارون: (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ، فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (طه:٤٣-٤٤).

إن انطلاق المسلمـــين في الحياة كجماعة موحدة على أساس الخـــط الفكري والعملي من خـــلال رسالة الله هو الذي يحوّل كلّ مسلم إلى داعيةٍ لله، وعامل في خط التغيير الفردي والاجتماعي، ويحمل في داخل شخصيته شخصية الأمّة ومسئوليتها في حدود استطاعته، وبهذا تكون الأفضلية أو «الخيرية» منطلقة من خصوصية المضمون الفكري والدور العملي لهذه الجماعة التي ستغير الواقع إلى الأحسن لا في النطاق الديني فحسب، بل في كل القضايا المتصلة بإنسانية الإنسان وهويته.

الأمانة.. قراءة متجددة ـ ١

١ جمادى الآخرة ١٤٢٨ هـ / ١٦ يونيو ٢٠٠٧



• الثقة بالإنسان لابد أن تستند إلى القاعدة الفكريّة والروحيّة والأخلاقيّة الموجودة في نفسه

الثقة بالإنسان، أيّ إنسان كان، لا بُدَّ من أن تستند إلى القاعدة الفكريّة والروحيّة والأخلاقيّة الموجودة في نفسه، لأنَّها هي التي تكوّن الدوافع القويّة الضاغطة بشكل شعوري أو غير شعوري عليهً؛ وهذا يستدعي دراسة الآخر من خلال منطلقاته قبل الارتباط به في علاقة اجتماعية كالزواج، أو بالتعامل معه، أو التعاهد معه، أو ائتمانه على مال أو نفس أو عرض أو قضية من قضايا الحياة العامّة والخاصّة.

كثير من المطبات التي يقع فيها الإنسان في تعامله مع الآخرين في البعد الاجتماعي أو المالي أو الوظيفي أوغيرها تكون نتاج التقييم السطحي والسريع للطرف الآخر، لاسيما من خلال الوقوع في فخ الشعارات أوالمظاهر التي يتلبس بها الآخرون ممن لا يؤمنون بها، بل هي بالنسبة إليهم أسلوب من أساليب استغفال البسطاء واستغلالهم من خلال الثقة الساذجة.

وهذا ما ينبغي تأسيسه في الإنسان المسلم تربوياً كي تكون هذه الصفات الإيجابية جزءً لا يتجزأ من شخصيته، لا أن تتحول إلى قضايا طارئة تدور مع المصالح الضيقة للفرد أو الجماعة، أو تتبع العناوين الخاصة بهم كالدين والقومية والحزب، أو تكون رهينة المزاج الشخصي، ولتتحول

• لا يُريد الله للمسلمين أن يأخذوا بالنظرة اليهودية في التعامل مع الآخرين

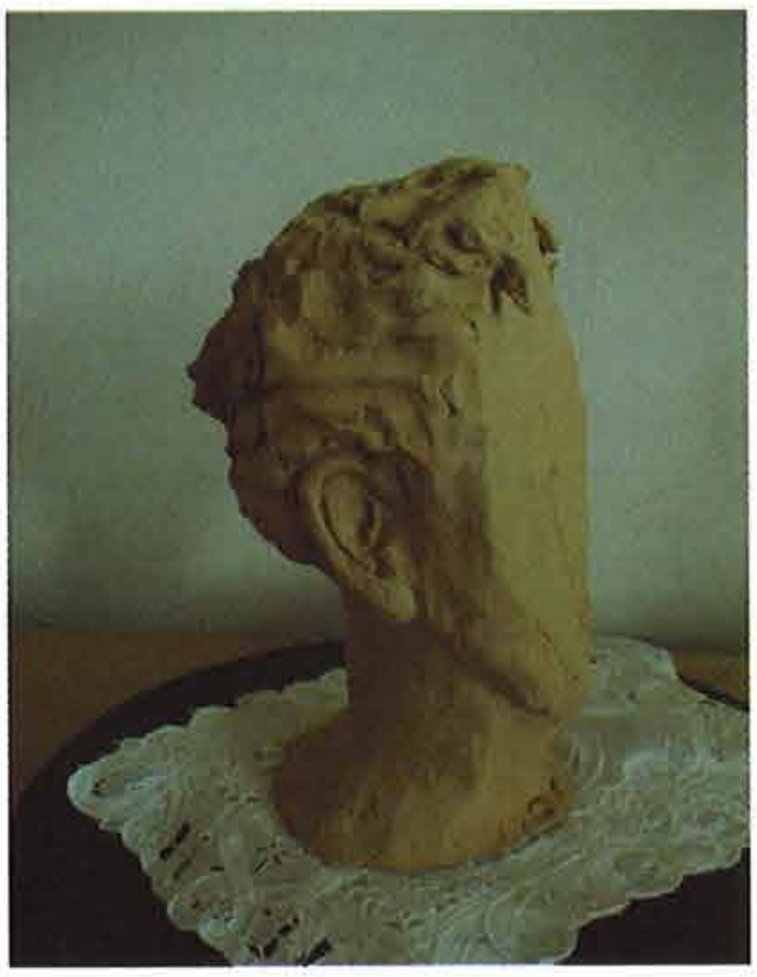

• الإمام الباقر: لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده.. ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته

• الإسلام يقر العقد الإنساني العقلائي بأن لا يأخذ الإنسان مال غيره بدون حق

إلى معيار سليم لتقييم شخصية الإنسان، كما روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: (لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده، فإن ذلك شيء قد اعتاده، فلو تركه استوحش، ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته).

في القرآن الكريم ذم لبعض أهل الكتاب الذي تخلوا عن صفة الأمانة في تعاملهم مع (الأغيار= الأمِيين= غير اليهود) (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) (آل عمران:٧٥-٧٦)، مما يوحي بأنَّ الله سبحانه لا يُريد للمسلمين أن يأخذوا بهذه النظرة في تعاملهم مع غير المسلمين، سواء أكانوا من الذميين أو المعاهدين أو من غيرهم، بل الأصل هو احترام الإنسان ما لم يكن محارباً.

ومن خلال دراسة المجتمعات الإنسانية يمكننا القول بأنَّ هناك عقداً إنسانياً بين العقلاء يلتزمونه في سلوكهم الاجتماعي وفي سيرتهم العملية: أن لا يأخذ الإنسان مال غيره بدون حقّ، لأنَّ مبدأ احترام الأموال لديهم من أكثر الالتزامات قوّة وقداسة وتأثيراً في العلاقات العامّة، ولذلك نراهم يذمون الذين يأكلون أموال النّاس بالباطل، ويُعاقبون اللصوص، ولا يخرجون عن ذلك إلاّ في حالة الحرب من دون فرقٍ بين النّاس الذين يدينون بدين واحد أو بأكثر من دين... والإسلام يقر هذا العقد الإنساني العقلائي ويدفع نحوه.

• إن الله يحب أن يكون المسلم وفياً أميناً متقياً بعيداً عن الازدواجية والاهتزاز

إن الله يحـــب أن يكون المسلم وفياً أميناً متقياً بعيداً عن الازدواجية والاهتزاز، وأن تكون صورته في المجتمع هي صورة الإنسان الذي يشعر معه الآخرون بالأمان والطمأنينة، لأنَّ الله يُحبُّ النّاس الذين يُحبُّون إخوانهم ويُحبُّون الحيـــاة باسم الله، ومدح ستة من الأنبياء عليهم السلام بإقرار صدق مقولتهم (إنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) (الشعراء:١٠٧)، والمخاطبون هنا هم من المؤمنين وغيرهم، مما يوحي بضرورة شمولية القيمة الإيجابية في شخصية الإنسان المسلم، الذي ينظر إلى النّاس بعين واحدة، ليكون هو مرجع الناس في أمورهم وحاجاتهم، وهو ما عبّر عنه الإمام محمد الباقر عليه السلام حين وصف أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام بقوله: (...وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء).

• يجب أن لا تتحول القضايا التربوية إلى قضايا طارئة تدور مع المصالح الضيقة للفرد أو الجماعة



• أكد الإمام الباقر على أن أتباع مدرسة أهل البيت كانوا أمناء عشائرهم في الأشياء

الأمانة.. قراءة متجددة ـ ٢

٨ جمادى الآخرة ١٤٢٨ هـ / ٢٣ يونيو ٢٠٠٧



(المؤمنون:٨)، حيث أفادوا أن التعبير بصيغة الجمع (أمانات) يوحي بذلك.

وللمفسر الكبير الفخر الرازي كلمة في معرض بيانه لقوله عزوجل (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً) (النساء:٥٨) حيث اعتبر أن للأمانة في هذه الآية ثلاثة فروع: الأمانة الإلهية وأمانة الناس وأمانة النفس، ثم فصل في تقسيمات ونماذج هذه الأمانات فاعتبر أن اللسان والعين والأذن كلها من الأمانات الإلهية، بمعنى مسؤولية الإنسان في حفظها من المعاصي، كما أن حفظ الودائع المالية وترك التطفيف والغيبة كلها من موارد الأمانات البشرية. أما أمانة الإنسان بالنسبة إلى نفسه فيرى الفخر الرازي أن

• تحدث الإسلام عن أمانة العهد وأمانة الدين وأمانة الفطرة وأمانة التكليف وأمانة النعمة وأمانة الصحة وأمانة السر

عندما تحدث الإسلام عن الأمانة من خلال القرآن الكريم والسنة الشريفة، أعطاها أفقاً أرحب من مجرد الأمانة المالية، فتحدث عن أمانة العهد وأمانة الدين وأمانة الفطرة وأمانة التكليف وأمانة النعمة وأمانة الصحة وأمانة السر والمجالس الخاصة وغير ذلك، وهذا ما أشار إليه جمع من العلماء وهم يفسرون قوله عزوجل (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ)

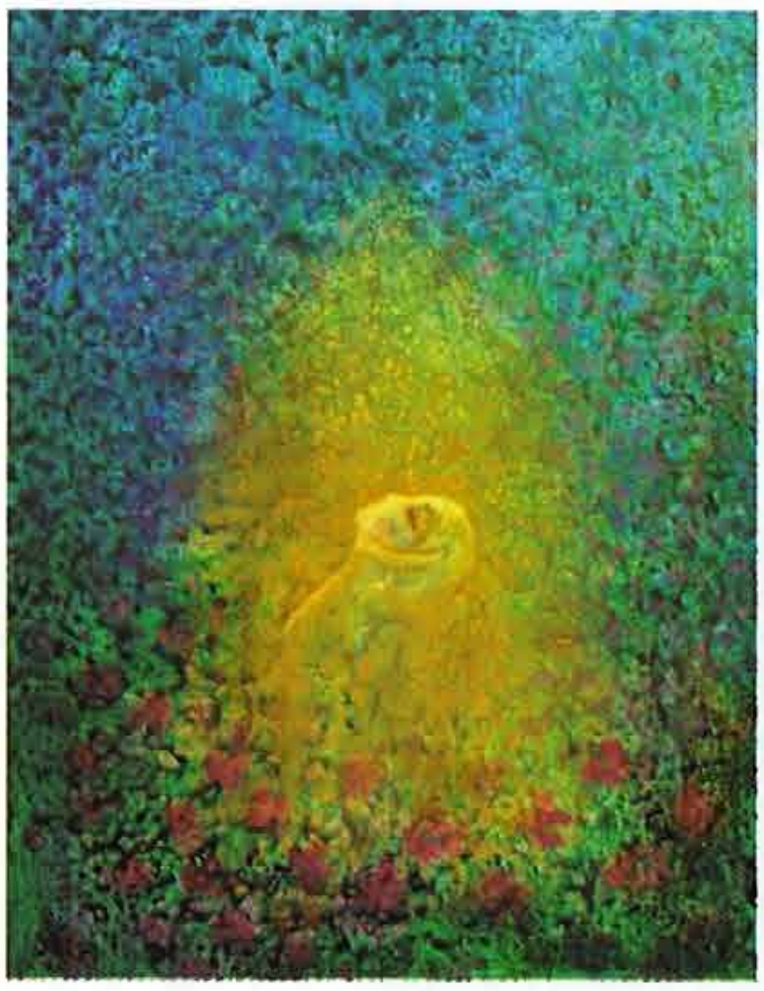

• للعقل أمانة بتحريكه فيما يعود على النفس والآخرين بالنفع

• يمتد مفهوم الأمانة في الإسلام ليفتح أبواباً كثيرة تعطي لفهم النص الديني سعة ورحابة أكبر

• أمانة الحيـــاة بجعلها زاداً لآخرة الإنسان وتسخير الإنسان وجوده لعمارة الأرض بالخير

على الإنسان أن يختار لها خير الدين والدنيا، ولا يستسلم لدوافع الشهوة والغضب وما يترتب عليهما من ذنوب وآثام.

هذا، ويمكن أن نضيف هنا إلى أمثلة الفروع السابقة: أمانة العقل بتحريكه فيما يعود على النفس والآخرين بالنفع، وأمانة الجسد من حيث حفظها من الضرر ومعالجتها عند الإصابة بمرض ونحوه، وأمانة الحيـــاة بجعلها زاداً لآخرة الإنسان وتسخير الإنسان وجـــوده لعمارة الأرض بالخير، وأمانة العلم بحمله ونشره بصدق... وهكذا يمتد مفهوم الأمانة ليفتح أبواباً كثيرة تعطي لفهم النص الديني سعة ورحابة أكبر.

ومن هذا المنطلق لم يتوقف بعض المفسرين عند المدلول الظاهر لقوله سبحانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) (الأنفال:٢٧)، بل اعتبروا الآية شاملة في نهيهـــا لكل موارد الأمانة المتصـــورة، باعتبارها تشكل جزء من هويـــة وشخصية المسلم الحقيقي، ليصوغ من خلال ذلك شخصية جذّابة تتكامل في دورها الاجتماعي عطاءً وفعالية.

وهكذا عندما يقول المسلم حين يبلغ الحجر الأسود وهو يخاطبه: (أمانتي أديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة) فإن الأمانة المقصودة هي أمانة فطرة التوحيد التي أشارت إليها الآية القرآنية (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ

• اعتبر الإمام علي أن وقت الصلاة، وقتُ أمانةٍ عرَضها اللّه على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها

• إذا انطلق الأفراد في خط الأمانة وعاشوا المسؤولية العملية، فإن المجتمع سيشعر بالأمن والطمأنينة

•الأمانة في المفهوم الإسلامي أرحب من مجرد الأمانة المالية

أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُون) (الأعراف:١٧٢-١٧٣).

وفي الخبر أن أمير المؤمنين علي عليه السلام كان إذا حضر وقت الصلاة يتغير حاله فيسأل عن ذلك فيقول: (جاء وقت الصلاة، وقتُ أمانةٍ عرَضها الله على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها)، في إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) (الأحزاب:٧٢)، باعتبار أن الأمانة في الآية الشريفة هي أمانة التكليف بأوامر الله ونواهيه، وعلى رأسها الصلاة.

والخلاصة: أنه إذا انطلق الأفراد في خط الأمانة وعاشوا المسؤولية العملية، فإن المجتمع سيشعر بالأمن والطمأنينة على كل الأشياء التي يعتبرها أساسية، كما سينطلق في آفاق العطاء اللامحدود المتناغم مع الإحساس بالمسئولية تجاه الأمانات التي أودعها الله تعالى في عهدته.

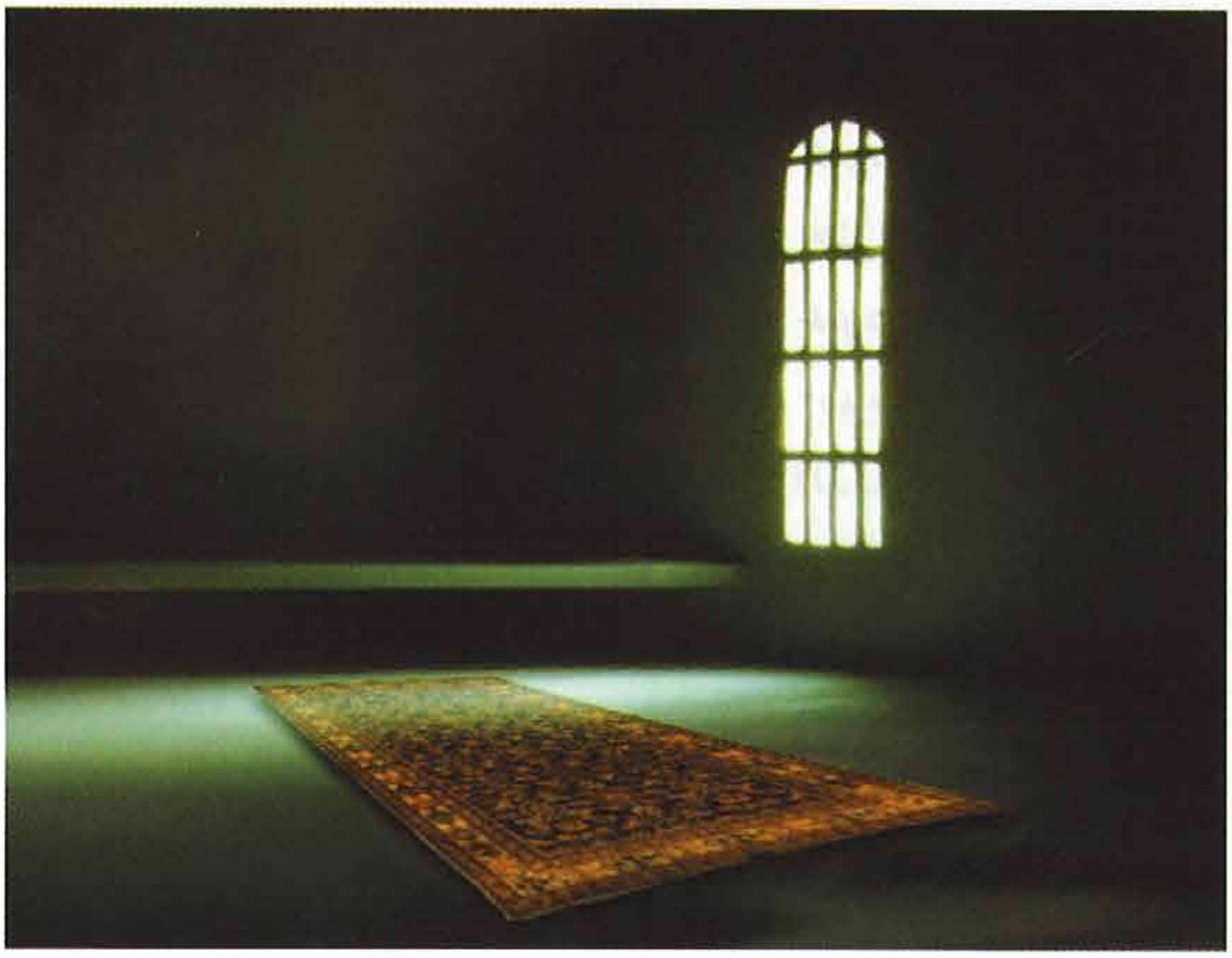

مارون... أبو محمد

١٥جمادى الآخرة ١٤٢٨ هـ / ٣٠ يونيو ٢٠٠٧



ولد الأديب اللبناني مارون عبود عام ١٨٨٦ هـ، والداه: حنا ابن الخوري يوحنا عبّود، وكاترينا بنت الخوري موسى عبّود، كانت رغبة والديه أن يدخل عالم الكهنوت المسيحي، لاسيما وأن جدَّيه من الطرفين كانا في هذا السلك، إلا أنه اختار عالَم اللغة العربيةٍ التي برع فيها فصار واحداً من أشهر الأدباء في وقته، حتى قيل عنه: (لم يظهر ناقد انطباعي بعد الجاحظ في التراث النقدي العربي كما ظهر مارون عبود في العصر الحديث.. وربما تفوق مارون عبود من ناحية الاستغراق في الانطباعية التي سجلت لديه درجة عالية من الوضوح). د. عبدالله باقازي.

نال أوسمة عديدة من لبنان والدولة العثمانية والأردن وفرنسا والفاتيكان، وله قرابةٍ الأربعين مؤلفاً، وكان مغرماً بحب الرسول الأعظم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم، مُكبِراً لرسالته وآثارها، لذا أسمى ولده الأكبر محمداً، وبه يُكنّى، وقد ثقل ذلك على عشيرته وأهل بيئته، ولكنه لم يعبأ ولم يكترث، وفي ذلك قال: (رزقت ولداً فسمّيته محمداً، فقامت قيامة الناس، فريق يستهجن ويقبّح ويكفّر، وفريق يوالي وينتصر).

• كان مارون مغرماً بحب الرسول الأعظم محمد بن عبدالله مُكبِراً لرسالته وآثارها

• أسمى ولده الأكبر محمداً، وبه يُكنّى، وقد ثقل ذلك على عشيرته وأهل بيئته، ولكنه لم يعبأ

• اعتبر المرحوم الشيخ مغنية أن مارون عبود: إيمان عميق وعقيدة رسخة بالخير أياً كان مصدره

• كانت شخصية مارون أقوى من أن توجهها الغايات والبيئات

وحكى المرحوم الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه (من هنا وهناك) الحكاية التالية :(منذ سنوات دخل مارون عبود المستشفى لمرض ألمّ به، فذهبت لعيادته، ولما عرفني ظهرت دلائل الغبطة والابتهاج على وجهه، وأخذ يحدثني عن القرآن وبلاغته، وعلومه ومبادئه، ويتلو من آياته عن ظهر قلب، ويستخرج منها أسمى المعاني، وأبلغ العظات.

وقال لي فيما قال: منذ سنوات مضت مرض ولدي محمد بمرض أعجز الأطباء، حتى يئست ويئسوا من شفائه، فقال لي بعض أهل القرية: ما بلغ الداء بولدك هذا المبلغ إلا لأنك أسميته محمداً... والآن سل نبي المسلمين محمداً أن يشفيه لك إن كان كما تعتقد.

قال مارون: ولم أملك في تلك الساعة أي جواب يُقنع الناقمين على الأسماء، فناديت محمداً من أعماق قلبي قائلاً: أتسمع يابن عبدالله ما يقول هؤلاء؟ أتعجز عن شفاء هذا الولد الضعيف وأنت الذي شفى الإنسانية من أدوائها وأخرجها من ظلمائها؟

فكانت استغاثتي هذه الدواء الناجع، وذهب ما به من أسقام وأوجاع، ولله الحمد).

ولابد من التنبيه هنا إلى أن الكلام السابق لا يعني اعتقادنا بكون الشفاء بيد غير الله تعالى، أو أننا ندفع نحو الدعاء لغير الله سبحانه، بل هي مجرد مناجاة في الشدة يعلمها السميع العليم عز اسمه فلربما يستجيب لحكمةٍ في البين كما هو واضح.

وعلى كل حال فقد علّق الشيخ مغنية رحمه الله على كلمات الأديب اللبناني الراحل مارون عبود بقوله: (هذا هو مارون عبود، إيمان عميق وعقيدة رسخة بالخير أياً كان مصدره، فهو يؤمن بمحمد ويستلهم منه الحق والرحمة، ويؤمن بأنه يصنع المعجزات تماما كما يؤمن بعيسى، رغم أنه يعيش في بلد مسيحي وتولد من أبوين مسيحيين، وإن دل على شئ فإنما يدل على أن شخصية مارون أقوى من أن توجهها

• وصفه الشيخ مغنية عبقريته بكونها أعظم من أن تتكيف بالظروف والملابسات، وأن روحه لا تحيا وتنسجم وتتفاهم إلا مع العظماء الذي غيَّروا وجه التاريخ، ودفعوا بالإنسانية نحو غاياتها وأهدافها

• الإيمان العميق بقيمة الحق يُعتبر علامة الهدى في الحياة

الغايات والبيئات، وأن عبقريته أعظم من أن تتكيف بالظروف والملابسات، وأن روحه لا تحيا وتنسجم وتتفاهم إلا مع العظماء الذي غيَّروا وجه التاريخ، ودفعوا بالإنسانية نحو غاياتها وأهدافها، إنه يؤمن بالعظماء جميعاً لا يفرق بين أحد منهم، أما الذين يفرقون ويؤمنون ببعض ويكفرون ببعض فهم عبيد العادات والتقاليد).

ومني إلى كل محب للحق متبع له، ليترسخ في وجوده هذا الإيمان العميق بقيمة الحق الذي يُعتبر علامة الهدى في الحياة كما قال علي عليه السلام (اعرف الحق تعرف أهله)، وإلى كل متعصب اختار عمى البصيرة على نور الهداية فآثر التقوقع على الانفتاح والتقهقر على الإقدام، فخسر الكثير مما كان يمكن له أن يربحه من آثار الآخرين وتجاربهم.

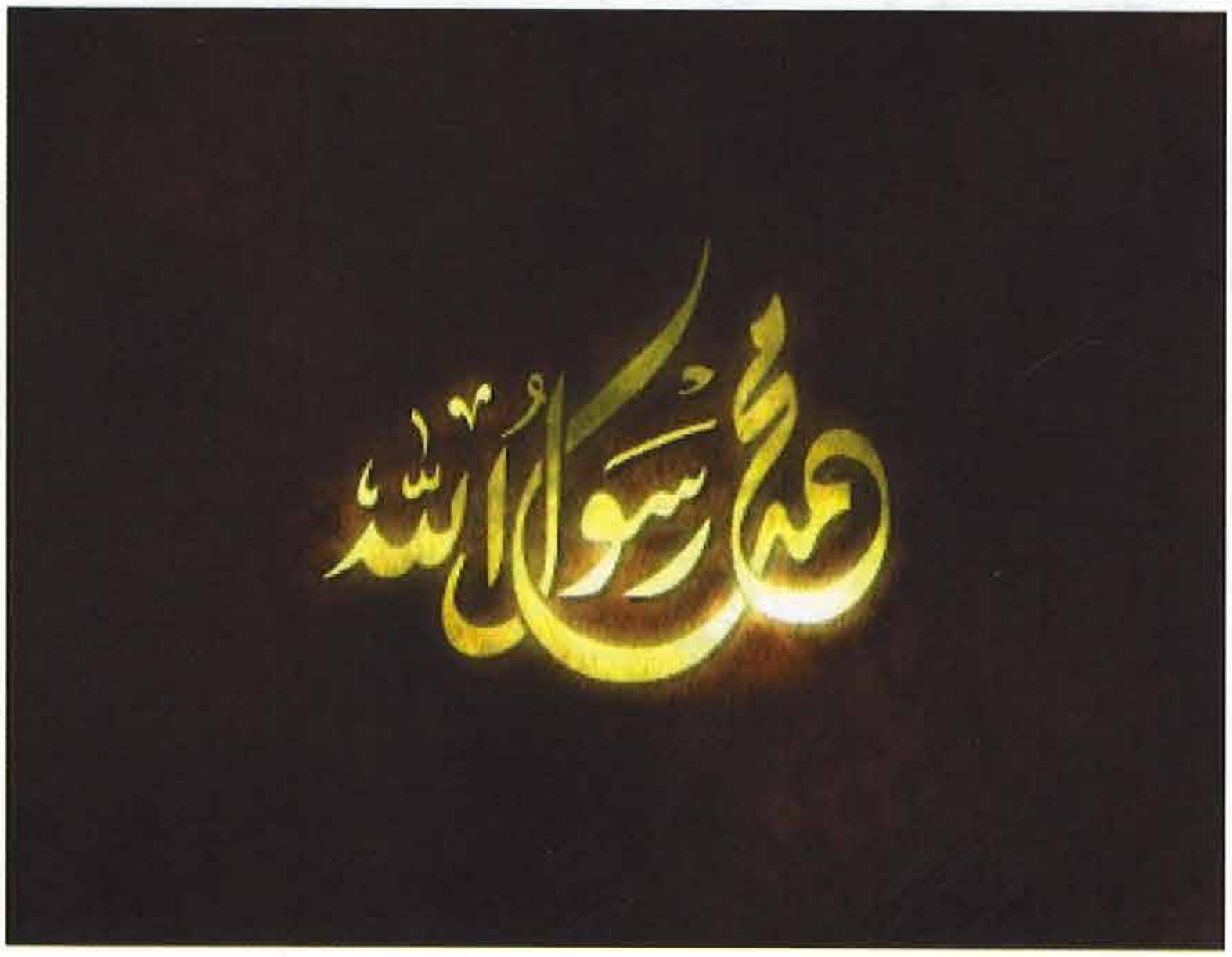

التفسيق بعد التكفير

٢٢ جمادى الآخرة ١٤٢٨ هـ / ٧ يوليو ٢٠٠٧



لعل الكثيرين يتفقون معي في حرمة تكفير المسلمين على اختلاف مذاهبهم، إلا أن المشكلة في العلاقات بين المسلمين ونظرة كل طرف إلى الآخر لا تقف عند حد هذه القضية الخطيرة، إذ تبرز قضية أخرى تحتاج إلى مصارحة ومعالجة أيضاً بهدف إزالة مسببات الأزمات الطائفية والشحن المستمر.

هذه القضية نطرحها من خلال سؤال بسيط ومباشر: اختلاف المذاهب: هل يوجب فسق وسقوط حرمة الآخر المختلف بشكل كلي أو جزئي، أم لا ؟

ومن الواضح أن الكفر العقيدي أشد وطأة من الفسق، كما أننا نتجاوز مسألة إسقاط حرمة الدم والنفس، ولذا قد لا يكفّر البعض البعض الآخر ولا يبيح دمه، إلا أن جانباً من الأوضاع المذهبية المتأزمة تبقى قائمة، ومن عواملها: التفسيق وإسقاط حرمة الشخصية وحرمات أخرى أقل وطأة من حرمة الدم.

• هل يوجب اختلاف المذاهب فسق وسقوط حرمة الآخر المختلف بشكل كلي أو جزئي؟

على كل حال، إن كانت الإجابة بنعم، فالتساؤل ينسحب إلى حدود دائرة المحرمات التي تسقط، بلحاظ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه)، كما يترتب عليه إعادة النظر في نظام الحقوق والواجبات المتبادلة بين

• النبي الأكرم: للمسلم على أخيه ثلاثون حقاً لا براءة له منها إلا بالأداء أو العفو

• سُباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكْل لحمه معصية، وحرمة ماله كحرمة دمه

• الشهيد الثاني: لا يصح تفسيق أتباع المذاهب الأخرى عقائدياً

المسلمين فعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (للمسلم على أخيه ثلاثون حقاً لا براءة له منها إلا بالأداء أو العفو: يغفر زلته، ويرحم عبرته، ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويرد غيبته، ويديم نصيحته... إلخ).

وبالعودة إلى النصوص التي تؤسس لنظام الأخوه والحقوق والواجبات وأخلاقيات التعامل ودائرة الحرمة فإننا نجد ـ بالإضافة إلى النصين السابقين ـ ما يلي:

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) (الحجرات:١٢). وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: (سُباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكْل لحمه معصية، وحرمة ماله كحرمة دمه). وعنوانا (المسلم/المؤمن) في هذه النصوص تشمل كل المسلمين بختلاف مذاهبهم كما سيتضح بعد قليل.

أما على مستوى آراء علماء المسلمين من الفرق المختلفة فلا يمكنني ادعاء أنهم اتفقوا على عدم التفسيق من المنطلق العقائدي، إلا أن بذور الخير موجودة في كلمات بعضهم، مما يساعد على الانطلاق لترسيخ هذه القضية.

فقد صرح الشيخ زين الدين العاملى الملقب بالشهيد الثاني رحمه الله (ت ٩٦٥هـ) في كتابه [مسالك الإفهام] بأنه لا يصح تفسيق أتباع المذاهب الأخرى عقائدياً، أي لكونهم لا يعتقدون بالإمامة كما تعتقدها الشيعة، قال: (الفسق إنما يتحقق بفعل المعصية المخصوصة مع العلم بكونها معصية، أما مع عدمه بل مع الاعتقاد أنها طاعة بل من أمهات الطاعات فلا، والأمر في المخالف للحق كذلك، لأنه لا يعتقد المعصية بل يزعم أن اعتقاده من أهم الطاعات. والحق أن العدالة تتحقق في جميع أهل الملل مع قيامهم بمقتضاها بحسب اعتقادهم).



• الشيخ كاشف الغطاء: من يؤمن بأصول الدين الثلاثة: التوحيد والنبوة والمعاد، يُحكم عليه بأنه مسلم

• الإرث التاريخي الثقيل والملئ بالمرارات والمثخن بالجراح والمشحون بالظلم والقهر واستباحة الآخر أرخى بظلاله على الذهنية العامة

• محبو الخير لا يقطعون الأمل في حل القضايا العالقة بشكل تأسيسي

وأصرح من ذلك ما قاله المرحوم الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء رحمه الله (ت ١٣٧٣هـ) في كتابه [أصل الشيعة وأصولها] عندما رأى: (أن من يؤمن بأصول الدين الثلاثة: التوحيد والنبوة والمعاد، يُحكم عليه بأنه مسلم، وأنه مؤمن ولكن بالمعنى العام للإيمان الذى هو مرادف لمعنى الإسلام، وأن له ما للمسلمين من حرمة دمه وماله وعرضه وطهارته وحليه ذبيحته وصحة نكاحه وطلاقه وإلخ، وأن عليه ما على المسلمين).

قد لا تكون الإجابة النهائية سهلة ومباشرة عند الكثيرين على عكس السؤال، وربما يعود ذلك إلى الإرث التاريخي الثقيل والملئ بالمرارات والمثخن بالجراح والمشحون بالظلم والقهر واستباحة الآخر، مما أرخى بظلاله على الذهنية العامة، بل وحتى على بعض أهل الاختصاص، إلا أن محبي الخير لا يقطعون الأمل في حل هذه القضايا العالقة بشكل تأسيسي، لا من واقع الظروف التي تفرض معالجات آنية سرعان ما تزول بزوال المؤثر.

ـ (الصورة للمرجع الراحل الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء)

الإمام محمد بن علي باقر العلم

٢٩ جمادى الآخرة ١٤٢٨ هـ / ١٤ يوليو ٢٠٠٧



• اختص الله أهل البيت بعلم غزير أخذوه عن رسول الله فلم يفتوا الناس بآرائهم وأهوائهم

الحديث عن أهل البيت عليهم السلام حديثٌ عن الطهر في أسمى معانيه، لأن الله عزوجل وصفهم بذلك إذ قال (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الأحزاب:٣٣)، وقد روى الترمذي في «الجامع الصحيح» ح ٣٢١٧ عن أنس ابن مالك: (إن رسول الله كان يمر بباب فاطمة الزهراء ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر فيقول: الصلاة يا أهل البيت، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً).

وهو حديثٌ عن العلم الغزير الذي اختصهم به الله سبحانه عن طريق نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فعن علي عليه السلام (علّمني رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف باب كل باب يفتح ألف باب) رواه المتقي الهندي في كنز العمال ح ٣٦٣٧٢، وتوارث أبناؤه من بعده هذا العلم حتى قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: (لو كنا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكنّا نفتيهم بآثارٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأصولِ علم عندنا نتوارثها كابر عن كابرً، نكنزها كما يكنز هولاء ذهبهم وفضتهم).

وهو حديثٌ عن التقوى في أعلى مراتبها، والأخلاق في أسمى معانيها، والعمل

• أهل البيت من بيوت النور الذين أذن الله أن تُرفع، والإمام محمد الباقر سليل ذلك البيت الطاهر

• ترك الإمام محمد الباقر ثروة فكرية هائلة تعد من ذخائر الفكر الإسلامي

• كان يحدّث القوم وما يُشغله ذلك عن ذكر الله

الصالح الذي شهد به الأدنون والأبعدون، فأهل البيت عليهم السلام هم من بيوت النور التي أذن الله أن تُرفع، فقد أخرج ابن مردويه وبريدة قال: (قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: [فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ]، فقام إليه رجل فقال: أيُّ بيوتٍ هذه يا رسول الله؟ قال: بيوت الأنبياء. فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله، هذا البيت منها، بيت علي وفاطمة؟ قال: نعم من أفاضلها) رواه السيوطي في الدر المنثور ج/ ص ٥٠.

الإمام محمد الباقر:

وهو سليل الدوحة النبوية الإمام محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٥٧هـ ـ ١١٤هـ)، وأمه السيدة فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب، قال الشيخ المفيد رحمه الله في كتابه «الإرشاد»: (روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ورؤساء فقهاء المسلمين)، وأشار إلى مثل ذلك أحد كبار الرواة في ذلك العصر، وهو عبد الله بن عطاء، بقوله: (ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم بن عتيبة عنده ـ مع جلالته في القوم ـ بين يديه، كأنه صبي بين يدي معلّمه)، وابن عتيبة شخصية علمية معروفة في ذلك العصر.

ترك الإمام محمد الباقر عليه السلام ثروة فكرية هائلة تعد من ذخائر الفكر الإسلامي، وكانت حكمه السائرة وآدابه الخالدة من أبرز ما أثِر عن أئمة المسلمين في هذا المجال، فقد ملأت الفكرٍ وعياً وأترعت القلب إيمانا ومكّنت النفس ثقة وصقلت الروح جلالاً وصفاءً.

ولم يقتصر إعجاب أهل زمانه بشخصيته العلمية فقط، بل رووا أنه كان (كثير الذكر، كان يمشي وإنه ليذكر الله، ويأكل الطعام وإنه ليذكر الله، ولقد كان يحدّث القوم وما يُشغله ذلك عن ذكر الله، وكان يجمع ولده فيأمرهم بالذكر حتى تطلع الشمس، ويأمر بالقراءة ـ قراءة القرآن ـ من كان يقرأ منهم، ومن

• قال عنه ابن حجر: سمي بالباقر لأنه أظهر مخبآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ما لايخفى إلا على منطمس البصيرة

• أوصى النبي جابراً الأنصاري بأن يبلّغ الباقر سلامه إذا أدركه

كان لا يقرأ منهم أمره بالذكر، وكان ظاهر الجود في الخاصة والعامة، مشهورٍ الكرم في الكافة، معروفاً بالتفضّل والإحسان مع كثرة عياله وتوسّط حاله).

وممن وصفه من العلماء اللاحقين ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤ هـ) في الصواعق المحرقة ص ١٢٠ قال: (وارث علي بن الحسين من ولده، عبادة وعلماً وزهادة: أبو جعفر محمد الباقر، سمي بذلك من بقر الأرض أي شقها وأثار مخبآتها ومكامنها، فلذلك هو من أظهر مخبآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة أو فاسد الطويَّة والسريرة، ومن ثم قيل فيه هو باقر العلم وجامعه، وشاهر علمه ورافعه، صفا قلبه، وزكا علمه وعمله، وطهرت نفسه، وشرف خلقه، وعمرت أوقاته بطاعة الله، وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكلّ عنه ألسنة الواصفين، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة وكفاه شرفاً أن ابن المديني روى عن جابر أنه قال له ـ وهو صغير ـ: رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يسلم عليك. فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: كنت جالسا عنده والحسين في حجره، وهو يداعبه فقال: يا جابر يولد له مولود اسمه عليٌّ، إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: ليقم سيد العابدين، فيقوم ولدُه، ثم يولد له مولود اسمه محمد، فإن أدركته يا جابر فأقرِأه مني السلام).

هكذا هم أهل بيت النبوة عليهم السلام آيات تقوى ومنار علـــوم وأعلام هدى ورحمة للعالمين.



بسم الله الرحمن الرحيم

إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا

اسم المعصوم	ولادته	وفاته	مدفنه
النبي محمد (ص)	١٧ ربيع الأول	٢٨ صفر	المدينة
الإمام أمير المؤمنين علي (ع)	١٣ رجب	٢١ رمضان	النجف
الصديقة فاطمة الزهراء (ع)	٢٠ جمادى الثاني	١٣ جمادى الأول	المدينة
الإمام الحسن (ع)	١٥ رمضان	٧ صفر	المدينة
الإمام الحسين (ع)	٣ شعبان	١٠ محرم	كربلاء
الإمام زين العابدين (ع)	٥ شعبان	٢٥ محرم	المدينة
الإمام محمد الباقر (ع)	١ رجب	٧ ذو الحجة	المدينة
الإمام جعفر الصادق (ع)	١٧ ربيع الأول	٢٥ شوال	المدينة
الإمام موسى الكاظم (ع)	٧ صفر	٢٥ رجب	الكاظمية
الإمام علي الرضا (ع)	١١ ذو القعدة	١٧ صفر	خراسان
الإمام محمد الجواد (ع)	١٠ رجب	آخر ذي القعدة	الكاظمية
الإمام علي الهادي (ع)	١٥ ذو الحجة	٣ رجب	سامراء
الإمام الحسن العسكري (ع)	٨ ربيع الثاني	٨ ربيع الأول	سامراء
الإمام المهدي المنتظر (ع)	١٥ شعبان	حي غائب عجل الله فرجه	

هل يتحول الناس إلى Zombies

٧ رجب ١٤٢٨ هـ / ٢١ يوليو ٢٠٠٧

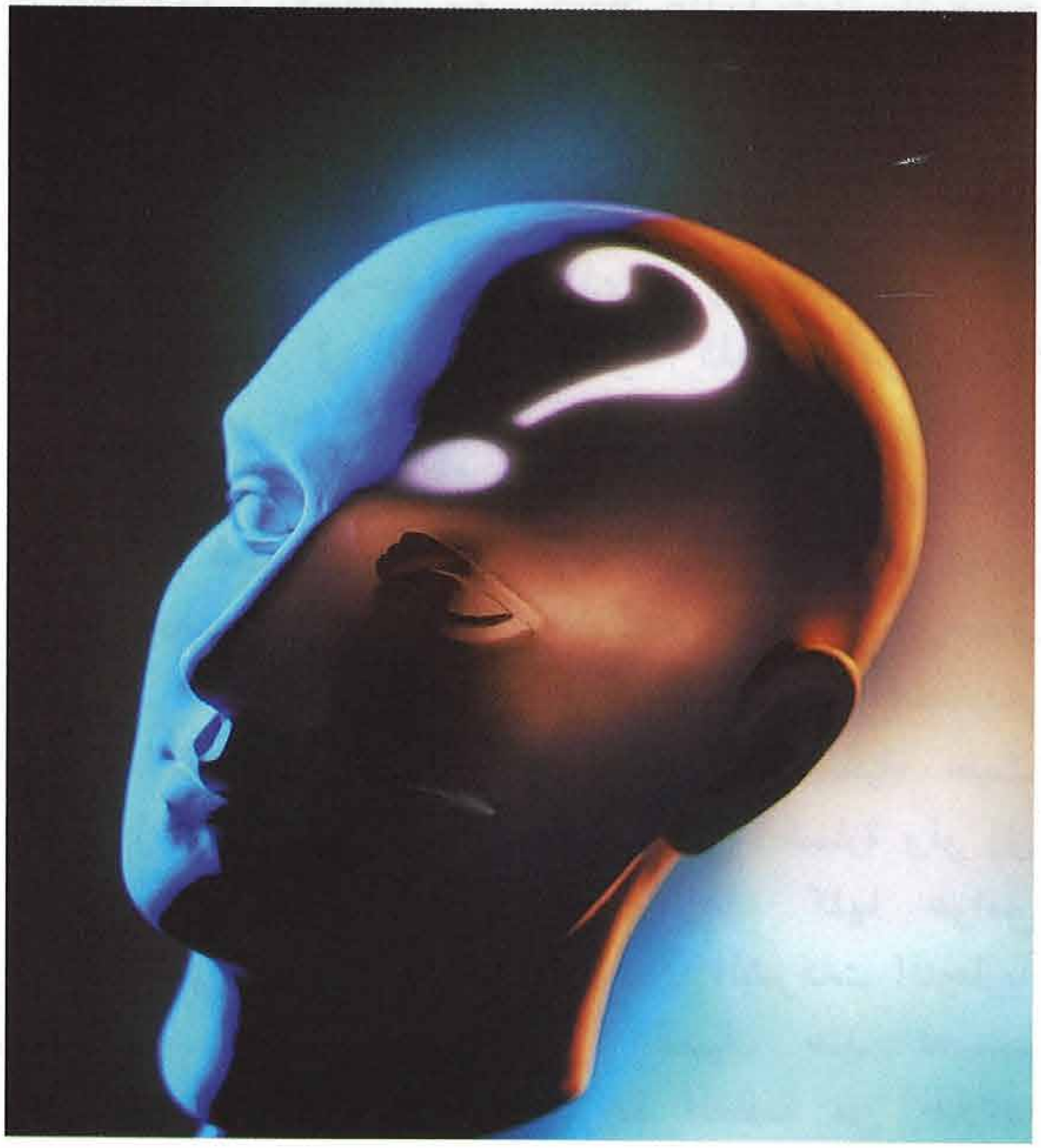

المجتمعات الإنسانية اليوم هي ضحية - بصورة أو بأخرى - للشركات التي تسعى لزيادة أرباحها بصورةٍ لا معقولة، مع الاعتماد كثيراً على الدعاية والإعلان بشكل مدروس وعلمي. نعم، لا يمكن تحميل الشركات كامل المسئولية في ذلك، فبإمكان الإنسان أن يضبط سلوكياته، ويقتصد في معيشته، ويُحسن التدبير، ويتخذ قراراته بحرية، إلا أن التلاقي الحاصل بين قوله تعالى (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) (آل عمران:١٤)، وبين جشَع المصنّعين والتنافس لا سيما بين كبريات الشركات، هذا التلاقي يولّد حالة لا عقلائية في الاستهلاك.

• بإمكان الإنسان أن يضبط سلوكياته، ويقتصد في معيشته

وإذا أضفنا الأرقام الرهيبة لحجم التدمير والاستهلاك البيئي الناشئين بفعل ذلك، فإن المسألة تزداد خطورة كما هو واضح، إذ قرأت أن ما استُخرج خلال ٨٠ سنة الأخيرة من القرن العشرين مَثَّل: ٧٠٪ من إجمالي ما استخرج من الذهب عبر

• الوقود الأحفوري الذي تشكل في الطبيعة خلال قرابة ٢٥٠ مليون سنة، استهلكته وستستهلكه البشرية في غضون ١٠٠-١٥٠ سنة

• تقنيات "التسويق العصبي" تثير الكثير من الجدل والمخاوف لاسيما مع الاهتمام المتزايد بها من قبل كبريات الشركات التجارية

التاريخ، ٨٥٪ من إجمالي ما استخرج من النحاس عبر التاريخ، ٨٧٪ من إجمالي فلزات الحديد،٩٠-٩٥٪ من إجمالي كلٍ من القصدير، الرصاص، الزئبق، الفضة، الماس. وإذا أخذنا على سبيل المثال الوقود الأحفوري، فإن ما تشكل في الطبيعة خلال قرابة ٢٥٠ مليون سنة، استهلكته وستستهلكه البشرية في غضون ١٠٠-١٥٠ سنة. أي بمعنى آخرأن كل سنة استهلاك تعادل مليون سنة بناء وربما أكثر.

تقرير علمي وطريف اطلعت عليه مؤخراً يتعلق بفرع علمي جديد يعرف بـ «الاقتصاد العصبي» Neuroeconomics، وهو يدرس العمليات الذهنية والعصبية التي تقف وراء اتخاذ قرارات على المستوى الاقتصادي الفردي مثل الاستهلاك والتوفير والاستثمار، يقول هذا التقرير: (درس العلماء الخيار الاقتصادي وواقع أن المستهلكين يتصرفون أغلب الأحيان بصورة غير منطقية أمام خيار انعكاساته قصيرة المدى، ولكن بصورة أكثر تعقلاً عندما يتعلق الموضوع بأمر بعيد المدى).

وبيّنت النتائج أن (وقع ثمن السلعة على العقل و الألم الذي قد يسببه فقد المال عند الشراء كلها عوامل حاسمة في كبح جماح عملية التبضع، وهو ما يُبرر اختلاف الناس في الإقدام على الإسراف في الاستهلاك الشرائي في حال الدفع نقداً مقابل استخدام البطاقات الائتمانية، حيث يتم تأجيل الخسارة ولو إلى حين. وهذه كلها عوامل ستضعها الشركات التجارية في الحسبان عند تصميم الموجة القادمة من حملاتها الإعلانية).

كما تثير تقنيات "التسويق العصبي" الكثير من الجدل والمخاوف لاسيما مع الاهتمام المتزايد بها من قبل كبريات الشركات التجارية، وما شهدته المحاكم من قضايا مدنيّة ضد هذا النمط من الدراسات!



ويقول بعض الخبراء: (فكرة التسويـــق العصبي تعطـــي انطباعاً بأن يغدو معها المتسوقون أشبه بقطعان "الموتى الأحيـــاء" أو الـ "Zombies" الواقعين تحت سحر العلامة التجارية).

وهنا تبرز مجدداً أهمية التربية الأخلاقية المتعلقـــة بالزهد وكبح جماح الرغبات الذاتية وطول الأمل وتحول الإنسان إلى ألعوبة بيد شهواته، وكلها عناوين أهتمت بها النصوص الإسلاميـــة وأولتهـــا عناية كبيرة، ودارت حولها دراسات ومؤلفات عديدة.

ويمثّـل كتاب نهج البلاغة مخزوناً أخلاقياً رائعاً في هذا المجال لمن يحب أن يكوّن رؤية إسلامية حول العناوين السابقة، وكيفيـــة التعامل والمفاهيم التربويـــة الأخلاقية لمواجهة الموجة المحتملة للإقبال على الاستهـــلاك الجنوني لاسيما باستخـــدام علم "الاقتصاد العصبي" القادم بقوة في مجال التسويق، وقد كتب المرحوم الشيخ محمد مهدي شمسٍ الدين في هذا الصدد كتاباً بعنوان (دراسات في نهج البلاغة)، والشيخ الشهيد مرتضى المطهري (في رحاب نهج البلاغة) وآخرونٍ في هذا الإطار عرضاً وتحليلا.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في وصيته لشريح بن هانىء لما جعله على مقدمة جيشه إلى الشام: (... وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرْدَعْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ، مَخَافَةَ مَكْرُوهِهِ، سَمَتْ بِكَ الأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ. فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعاً رَادِعاً، وَلِنَزْوَتِكَ عِنْدَ الْحَفِيظَةِ وَاقِماً قَامِعاً).

• التسويـــق العصبي تعطـــي انطباعاً بأن يغدو معها المتسوقون أشبه بقطعان "الموتى الأحيـــاء"

• يمثّـل كتاب نهج البلاغة مخزوناً أخلاقياً رائعاً لمن يحب أن يكوّن رؤية إسلامية حول التربية الأخلاقية والاقتصادية

هكذا كان علي

١٤ رجب ١٤٢٨ هـ / ٢٨ يوليو ٢٠٠٧



وأكاد أجزم أن أصحاب الاختصاص لم يُشبعوا عناصر هذه الشخصية الفريدة في التاريخ بالبحث والتحقيق - دون بخس لما كُتب طوال القرون الماضية - إلا أن التركيز الأكبر كان على الجانب العقيدي ومسألة الإمامة والخلافة، الأمر الذي يستدعي بذل المزيد من الجهود في إطار دراسة وتحليل شخصية بطل الإسلام علي عليه السلام.

شخصية أمير المؤمنين ومولى الموحدين وإمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام جديرة بالدراسة والبحث من نواحيها المختلفة، فلقد كان المثل الأعلى في التقوى والإخلاص والعبادة والأخلاق الفاضلة والعمل الصالح والتضحية والإيثار والجهاد في سبيل الله والصلابة في الإيمان، كما كان القمة في العلم والحكمة والأدب والبلاغة وحسن الكلام والعدل في القضاء.

• كان الإمام علي القمة في العلم والحكمة والأدب والبلاغة وحسن الكلام والعدل في القضاء

وقد أثارت شخصيته إعجاب الباحثين فوصفوها بأجمل العبارات، وأخذت بمشاعرهم كل مأخذ، فوصفوا وأطنبوا، ولكنهم مهما قالوا لم يبالغوا في قولهم، بل كانوا دون شأنه عليه السلام، وقد قرر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ذلك بقوله: (ولا يعرفك إلا الله وأنا).

قال الأديب الكبير عباس محمود العقاد (ت ١٩٦٤م): (فقلَّ أن سمعنا بعلم من

• أثارت شخصيته إعجاب الباحثين فوصفوها بأجمل العبارات، وأخذت بمشاعرهم كل مأخذ

• قيل فيه: من المفارقات العجيبة لشخصيته، أن براعة المقاتل فيه، كانت تزلزل خصومه خوفاً وهلعاً في حين شرف المقاتل فيه، كان يملأ نفوسهم طمأنينة وأمناً

العلوم الإسلامية أو العلوم القديمة لم ينسب إليه، وقلّ أن تحدّث الناس بفضل لم ينحلوه إياه، وقلّ أن يوجه الثناء بالعلم إلى أحد من الأوائل إلاّ كانت له مساهمة فيه... تبقى له الهداية الأولى في التوحيد الإسلامي والقضاء الإسلامي والفقه الإسلامي، وعلم النحو العربي وفن الكتابة العربية، مما يجوز لنا أن نسميه أساساً صالحاً لموسوعة المعارف الإسلامية في العصور، أو يجوز لنا أن نسميه موسوعة المعارف الإسلامية كلها في الصدر الأول في الإسلام. وتبقى له مع هذا فرائد الحكمة التي تسجل له في ثقافة الأمة الإسلامية على تباين العصور).

وقال الأستاذ خالد محمد خالد (ت ١٤١٤ هـ): (ومن المفارقات العجيبة لشخصيته، أن براعة المقاتل فيه، كانت تزلزل خصومه خوفاً وهلعاً في حين شرف المقاتل فيه، كان يملأ نفوسهم طمأنينة وأمناً. أجل لطالما تحولت نقمته على أعدائه إلى رحمة بهم بسبب إيمانه الحق بأن القتال الشريف النبيل العادل، هو وحده سبيل الرجال، إذا اضطروا لقتال. بعد أن تحقق له النصر في موقعة الجمل، وقبل أن تبدأ موقعة صفين وكان لا يزال يرجو أن يفئ معاوية إلى الحق، على الرغم من كل الشواهد التي كانت تنبئ بإصراره على موقفه وإعداده العريض للحرب والقتال يومئذ، علم الإمام أن اثنين من كبار أنصاره يجهران بشتم معاوية، ولعن أهل الشام، هما: حجر بن عدي وعمرو بن الحمق، فأرسل إليهما آمراً أن يكفّا عن هذا الشتم وهذا اللعن، فقدِما عليه وسألاه: يا أمير المؤمنين، ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟ أجابهم الإمام: بلى، ورب الكعبة. قالوا: فلم تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال الإمام: كرهتُ لكم أن تكونوا شتّامين لعانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلِح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله،

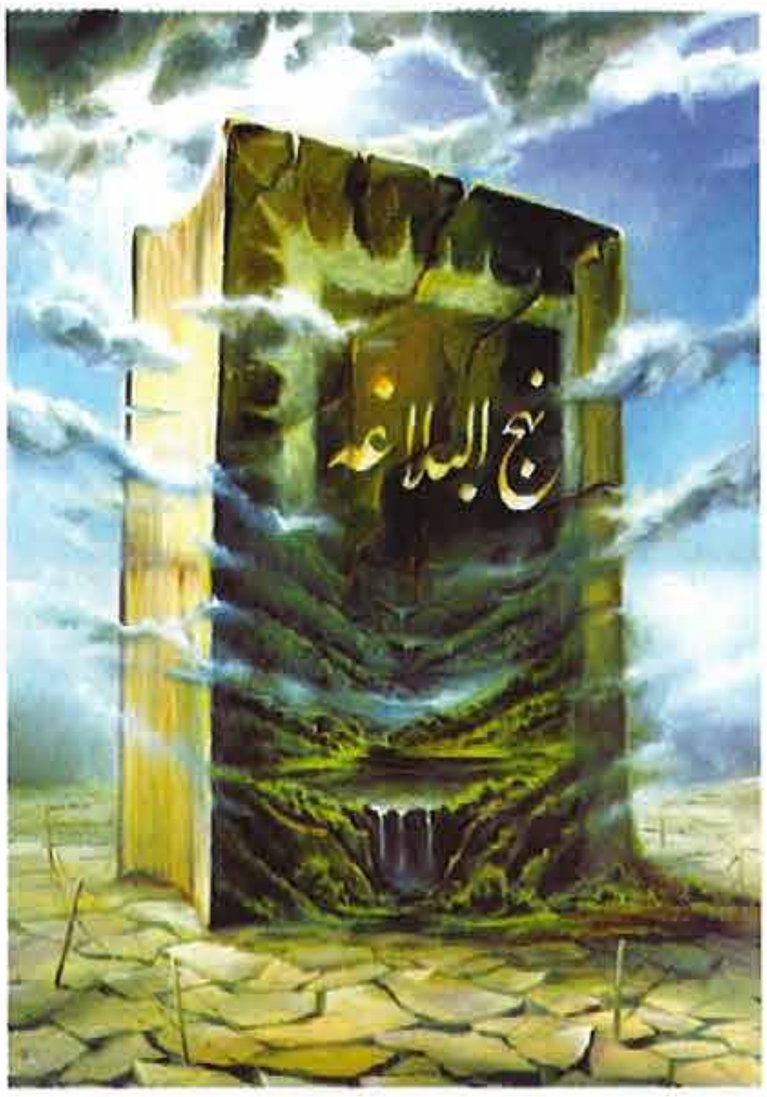

• قال العلامة فضل الله:
اسم علي يتجاوز الزمن،
ويحلّق في الآفاق الواسعة
التي تطلّ بك على المطلق،
ويطوف بك في كل موقع
من مواقع الحياة

ويرعوي عن الغي من لجّ به... إنه شرف المقاتل أيضاً، وإنها البطولة التي تزجيها الرجولة، والرجولة التي صاغها الإسلام في أحسن تقويم).

وقال المستشرق الإنجليزي توماس كارليل (ت١٨٨١م): (أما ذلك الفتى - علي - فلا يسعك إلا أن تحبه، ركب الله في طبعه النبل منذ الحداثة، وتجلّى في خلاله الكرم طوال عمره، ثم طبعه على العمل ونفاذ الهمة وصراحة البأس، وآتاه الفروسية وجرأة الليث، وكل أولئك في رقة قلب وصدق إيمان وكرم فعال تليق بالفروسية المسيحية).

• قال المستشرق كارليل:
ذلك الفتى - علي - لا
يسعك إلا أن تحبه، ركب
الله في طبعه النبل منذ
الحداثة، وتجلّى في خلاله
الكرم طوال عمره

وقال العلامة فضل الله: (هناك مَن إذا ذكرت اسمه شعرت بنفسك تدخل في كهوف التاريخ، لتبحث عنه، لتحمل شمعةً هنا وهناك، حتى تستطيع أن تعرفه وتتعرف على فكره وحياته، وهناك مَن إذا ذكرته شعرت أن اسمه يتجاوز الزمن، ويحلّق في الآفاق الواسعة التي تطلّ بك على المطلق، ويطوف بك في كل موقع من مواقع الحياة، حتى إنك تفتش عن شيء لم يتحدث عنه تصريحاً أو إيحاءً أو إيماءً، فلا تجد هناك شيئاً من ذلك. وعندما تدخل عقله، فإنك ترى العقل الذي كله شروق، خلافاً لكثير من العقول التي إذا دخلتها، فقد تحتاج إلى كثير من العناء لتلمّس قوةٍ لهذا تتلمّس هذا الفكر أو ذاك. هناك أشخاص إذا ذكرتهم تشعر أنهم ينطلقون بك في التجريد، حتى لتحسّ في نفسك معهم أنك تبتعد عن الحياة.. وهناك أناس إذا ذكرتهم شعرت أنهم إذا أمسكوا المجرّد بفكرهم، أعطوه حركيته وأنزلوه إلى الواقع.

• قال الإمام علي لأصحابه:

كرهتُ لكم أن

تكونوا شتّامين لعانين،

ولكن قولوا: اللهم احقن

دماءنا ودماءهم، وأصلِح

ذات بيننا وبينهم،

واهدهم من ضلالتهم

ذلك هو عليٌّ عليه السلام، الذي إذا حاصره التاريخ ليبحث عن بعض الحواجز التي كانت تنتصب أمامه، وعن الدوائر التي أُريد له أن يُحاط بها، وعن الآفاق الصغيرة التي حُشَر اسمه فيها، وعن العصبيات التي أُريد له أن يُكتب في عنوانها.. فإنك لن ترى علياً في كل ذلك، لأن علياً عليه السلام هو الإنسان الذي عاش حياته كلها مع الله تعالى، لا صوفيةً تختزن المشاعر، ولكن انفتاحاً يجعلك تعيش مع عباد الله لتحسّس آلامهم ومشاكلهم، ولتبدع لهم من خلال الله في عقولهم عقلا، ولتُبدع لهم من خلال وحي الله في فكرهم فكراً، وهو الذي عاش كل قلبه مع الله).

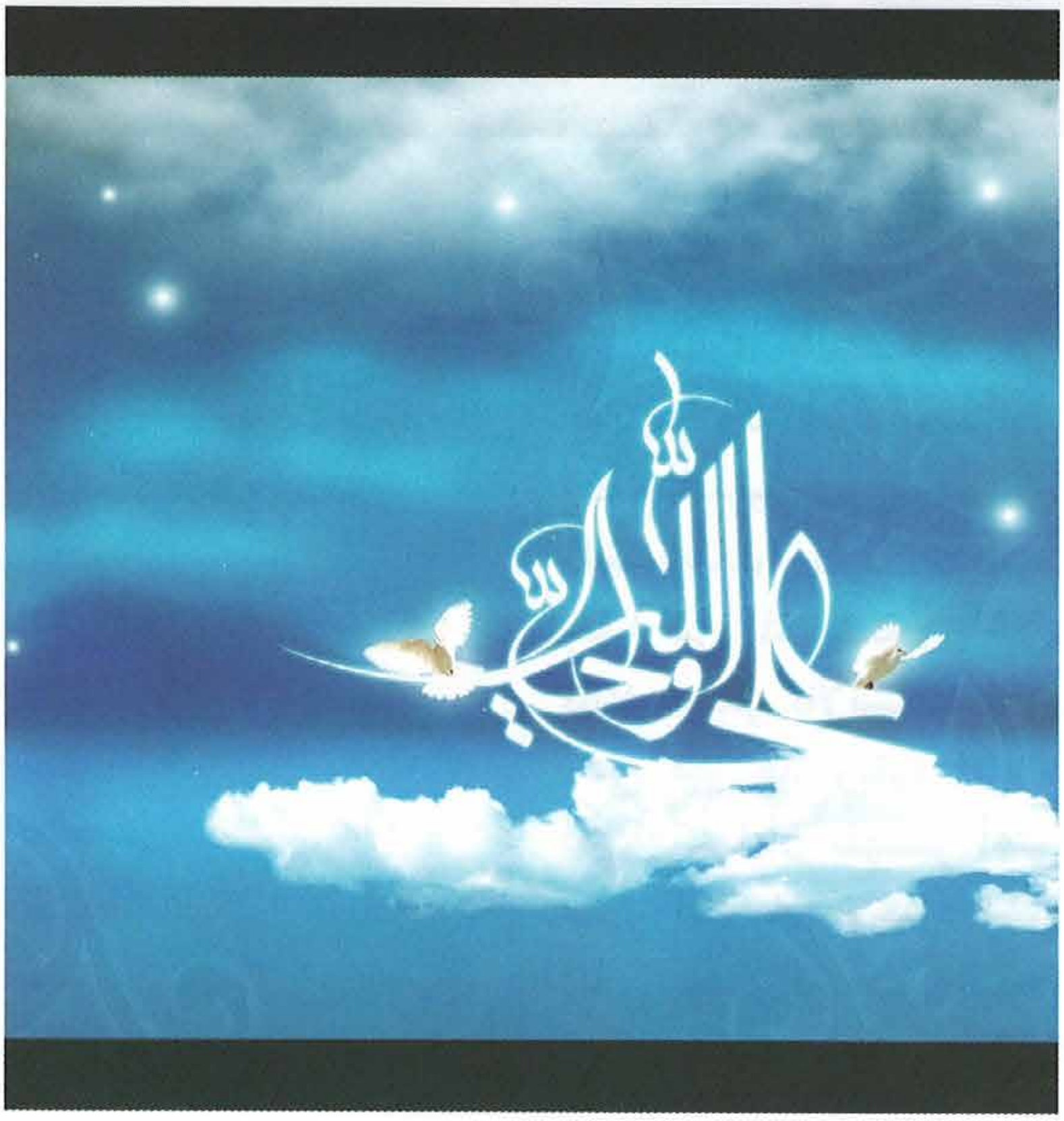

• قال الأديب العقاد:

قلَّ أن سمعنا بعلم من

العلوم الإسلامية أو العلوم

القديمة لم ينسب إليه،

وقَلّ أن تحدّث الناس

بفضل لم ينحلوه إياه

الإمام موسى بن جعفر

٢١ رجب ١٤٢٨ هـ / ٤ أغسطس ٢٠٠٧



• الأحرار يشعرونك بالإنسانية في أسمى صورها وبقوة الروح التي يمكنها قهر أعتى صور الطغيان

عندما تقرأ عن الأحرار الذين لم يخنعـــوا للظلم، ولم يقبلوا بالتنـــازل عن هويتهم وكرامتهم من أجل حطام الدنيا، ولم يستسلموا للضغوطات التي تطالبهم بقليل من المداهنـــة في الحق، فإنك تشعر بالإنسانيـــة في أسمى صورها، وبقوة الروح التي يمكنها أن تقهـــر أعتى صور الطغيان، وبخلود الحق الذي يمحـــو كل صورة قبيحة في كتاب الزمن، أو يعرّيها لتشمئز منها قلوب أصحاب الضمير.

وما أجمل هذه الكلمات التي سطرها الشاعر أحمد مطر: حين وِلدتُ ألفيتُ على مهدي قيداً.. ختموه بوشم الحرية.. وعبارات تفسيرية.. يا عبد العزة كن عبداً.. و كبرت ولم يكبر قيدي.. وهرمت و لم أترك مهدي.. لكن لما تدعو المسئـــولية.. يطلب داعي المـــوت الردة.. فأكون لوحـــدي الأضحيـــة..

ردُّوا الإنسان لأعماقي.. و خذوا من أعماقي القردة.. أعطوني ذاتي كي أفني ذاتي.. ردّوا لي بعض الشخصية..

كيـــف تفـــور النار بصـــدري.. وأنا أشكو البرد.. كيف سيومض برق الثأر بروحي.. ما دمتم تخشون الرعد.. كيف أغني و أنا مشنوق أتدلى.. من تحت حبالي الصوتية.. كي أعرف معنى الحرية.. و أموت فداء

• كان أهل بيت النبي محمد قمماً للأحرار جميعاً بما قدّموه من صور العزة والكرامة وإباء الضيم

• حوّل الإمام الكاظم إقامته في السجن إلى فرصة للعبادة المتواصلة، كما كانت حاله خارج السجن التي يعيش فيها الفرح الروحي مع الله

الحرية.. أعطـــوني بعض الحرية..

وقد قدم لنا التاريخ نماذج صادقة من الرجال الأحرار، من المؤمنين الموحّدين، ومن غيرهم، إلا أن هذه العزة والكرامة متى ما امتزجت بالإيمان الصـــادق المتناغم مع فطرة الله سبحانه، فإنها ستكون ذا لون آخر ورونق خاص.

وقد كان أهل بيت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قمماً للأحرار جميعاً، بما قدّموه من صور العزة والكرامة وإباء الضيم، وسُطّرت بطولاتهم في الكتب، وتغنّى بها الشعراء، وألهمت ذوي الضمائر الحية.

والإمام موسى الكاظم (١٢٨ ـ ١٨٣ هـ) ابن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام يعد إحدى تلك القمم الشامخة، فهو الذي حين زُجّ به في السجن خوفاً من امتداده الشعبي، ولما يمثله من امتداد في ضمائر الناس كسليل لبيت النبوة، هذا البيت الذي قارع الظلم وسعى لتطبيق العدل في الأرض، قال بكمال الرقيّ الروحي والإيماني: [اللهم إنَّك تعلم أنّي كنت أسألك أن تفرّغني لعبادتك، اللهمّ وقد فعلت فلك الحمد].

هكذا يحوّل الإمام الكاظم إقامته في السجن إلى فرصة للعبادة المتواصلة، كما كانت حاله خارج السجن التي يعيش فيها الفرح الروحي مع الله، لما تمثله العلاقة الخالصة بالله من التحرر من قيود المادة والشهوات، لتكون زاد المؤمن في الانطلاقٍ في هذه الحياة علما وعملا، لا بروحية التصوف الداعية إلى الانقطاع لذات الانقطاع، بل بروحية الإنسان القوي الذي يريد أن يغيّر واقعه إلى واقعٍ يُرضي الله سبحانه، انطلاقا من قوله سبحانه: [لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ] الحديد/٢٥.

ومن هنا ترجم الإمام موسى الكاظم تلك العزة في النفس والصلابة في الموقف والشوق إلى الله في مواقف عدة، منها ما رواه رجل دخل على الفضل



• ترجم الإمام موسى الكاظم تلك العزة في النفس والصلابة في الموقف والشوق إلى اللّه في مواقف عدة

ابن الربيع الذي سُجن الإمام عنده ببغداد بأمر الخليفة هارون الرشيد، قال: [دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالسٌ على سطح، فقال لي: أدنُ مني، فدنوت منه حتى حاذيته، ثم قال لي: أشْرِف إلى البيت في الدار، فأشرفَت فقال: ما ترى في البيت؟ قلت: ثوباً مطروحاً، فقال: انظر حسناً، فتأمّلت ونظرت فتيقّنت فقلت: رجلٌ ساجد، فقال لي: تعرفه؟ قلت: لا، قال: هذا مولاك، قلت: ومَنْ مولاي؟ فقال: تتجاهل عليَّ؟ فقلت: ما أتجاهل، ولكني لا أعرف لي مولى. فقال: هذا أبو الحسن موسى بن جعفر، إنِّي أتفقده الليل والنهار، فلم أجده في وقت من الأوقات إلا على الحال التي أخبرك بها، إنَّه يصلّي الفجر فيعقّب ساعة في دُبُر صلاته، إلى أن تطلع الشمس، ثم يسجد سجدةً، فلا يزال ساجداً حتى تزول الشمس، وقد وكّل من يترصّد له الزوال، فلست أدري متى يقول الغلام قد زالت الشمس، إذ يثب فيبتدىء الصلاة من غير أن يجدّد وضوءاً، فأعلم أنَّه لم ينم في سجوده ولا أغفى. فلا يزال كذلك إلى أن يفرغ من صلاة العصر، فإذا صلّى العصر سجد سجدةً، فلا يزال ساجداً إلى أن تغيب الشمس، فإذا غابت الشمس وثب من سجدته فصلّى المغرب من غير

• قال عنه سبحانه: إنِّي أتفقده الليل والنهار، فلم أجده في وقت من الأوقات إلا على الحال التي أُخبرك بها: إنَّه يصلّي الفجر فيعقّب ساعة في دُبُر صلاته، إلى أن تطلع الشمس

• قال سبحانه بعد الذي رآه من الإمام: أرسلوا إليَّ في غير مرّة يأمرونني بقتله، فلم أُجبهم إلى ذلك، وأعلمتهم أنّي لا أفعل ذلك، ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما سألوني

أن يُحدث حَدَثاً، ولا يزال في صلاته وتعقيبه إلى أن يصلّي العتمة، فإذا صلّى العتمة أفطر على شويٍّ (تصغير شواء، أي شواء قليل) يُؤتى به، ثم يجدّد الوضوء، ثم يسجد ثم يرفع رأسه، فينام نومةً خفيفةً، ثم يقوم فيجدِّد الوضوء، ثم يقوم، فلا يزال يصلّي في جوف الليل حتى يطلـــع الفجر، فلستُ أدري متى يقول الغلام إنَّ الفجر قد طلع، إذ قد وثب هو لصلاة الفجر، فهذا دأبُه منذ حُوِّل إليَّ. قال الرجل: فقلت: اتّقِ الله، ولا تُحدثنَّ في أمره حَدَثاً يكون منه زوال النعمة، فقد تعلم أنَّه لم يفعل أحدٌ بأحدٍ منهم سوءاً إلا كانت نعمته زائلة، فقال: قد أرسلوا إليَّ في غير مرّة يأمرونني بقتله، فلم أجبهم إلى ذلك، وأعلمتهم أنّي لا أفعل ذلك، ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما سألوني].

ومثل هذا الشموخ هو الذي دفع المنصفين للحديث عنه بإعجاب.. قال ابن الصبّاغ المالكيّ في كتابه الفصول المهمة: أمّا مناقبه وكراماته الظاهرة، وفضائله وصفاته الباهرة، فتشهد له بأنّه اقترع قبّة الشرف وعَلاها، وسما إلى أوج المزايا فبلغ أعلاها، وذُلّلت له كواهل السيادة وامتطاها، وحكم في غنائم المجد فاختار صفاياها فاصطفاها...

• قال ابن الصباغ المالكي: مناقبه وكراماته الظاهرة، وفضائله وصفاته الباهرة، تشهد له بأنّه اقترع قبّة الشرف وعَلاها، وسما إلى أوج المزايا فبلغ أعلاها

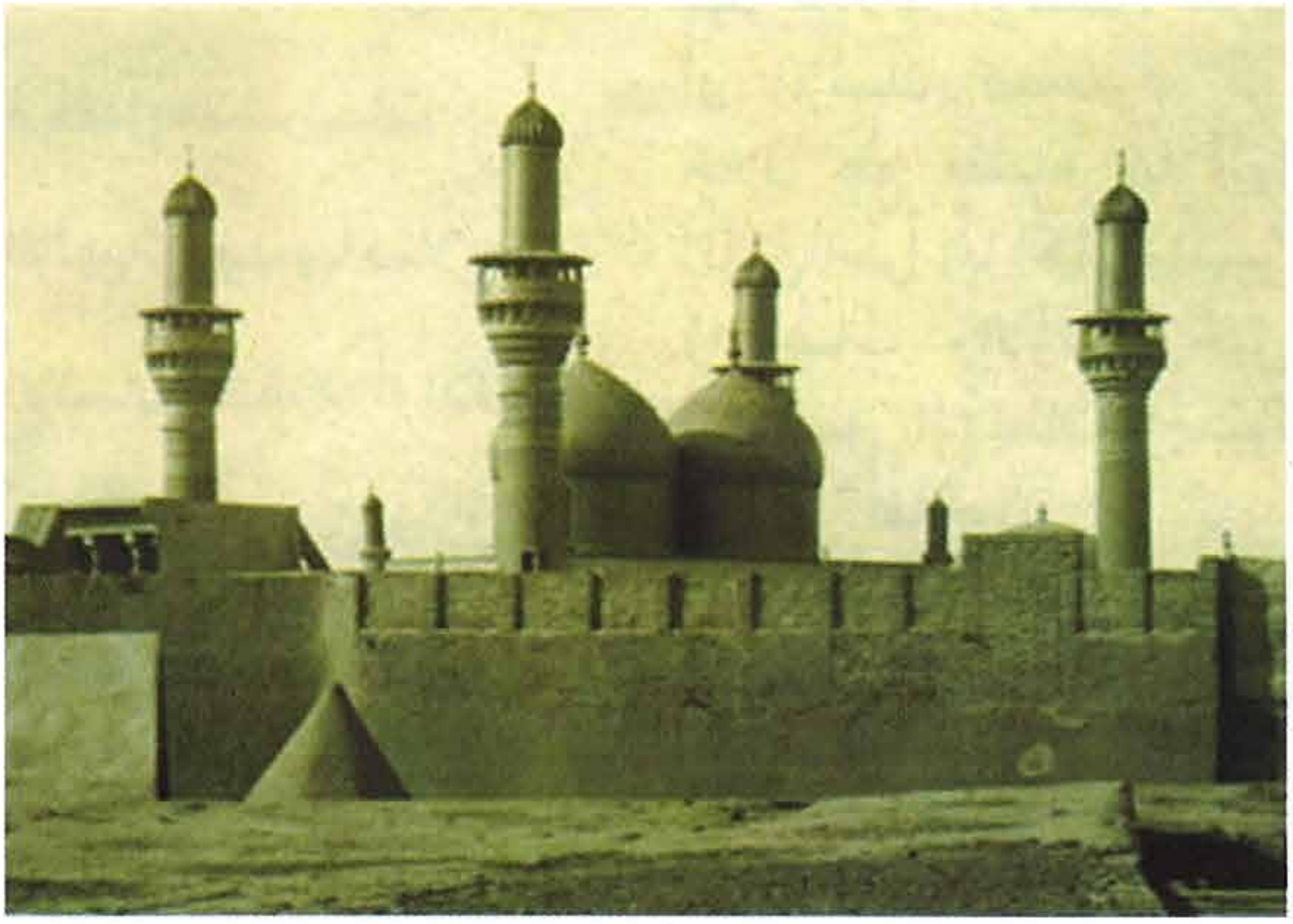

علاقة الأخلاق بالفقه الإسلامي

٢٨ رجب ١٤٢٨ هـ / ١١ أغسطس ٢٠٠٧

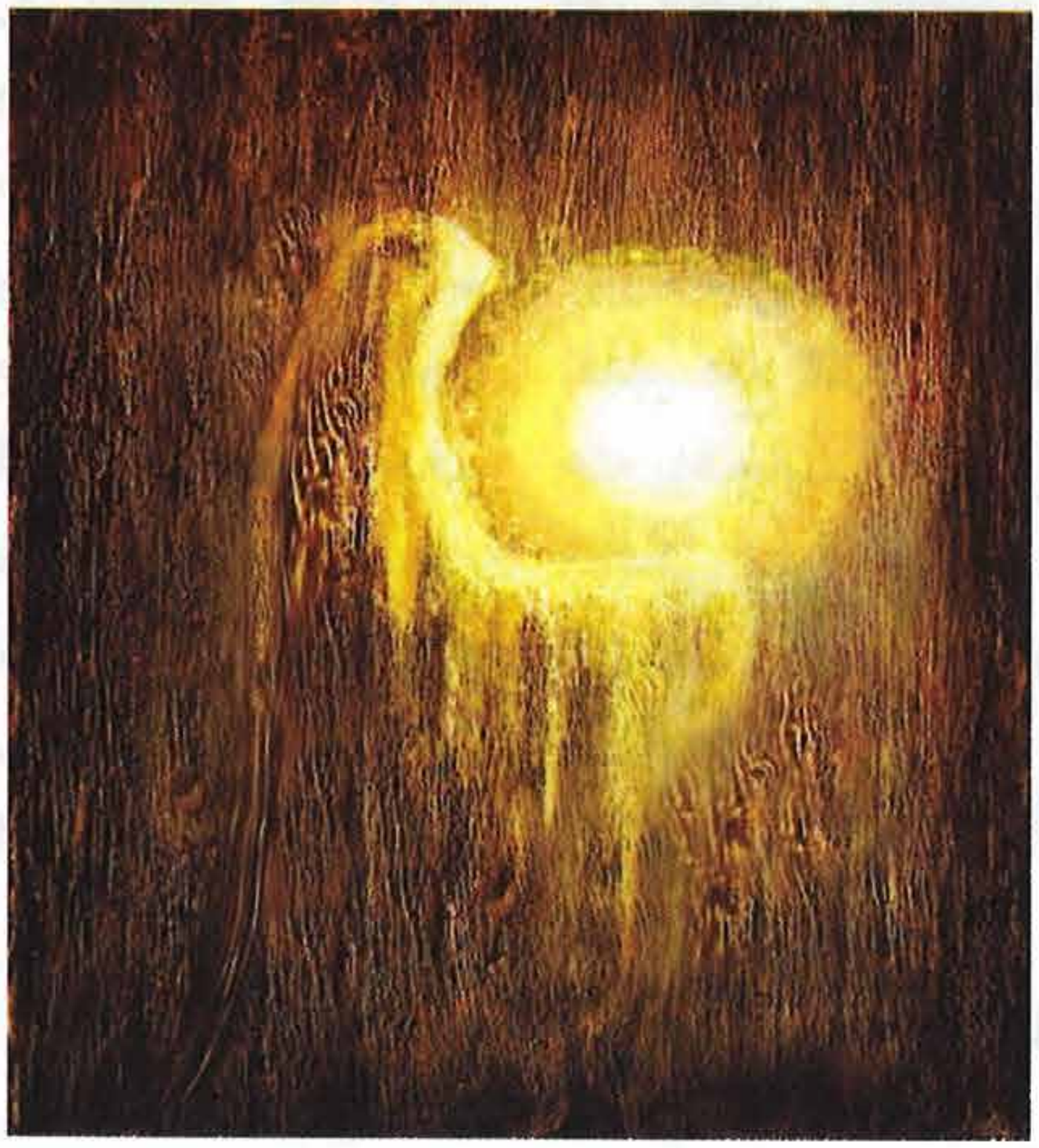

لا يختلف اثنان على أن كل التشريعات الإلهية أريد بها صلاح الإنسان كفرد، أو الإنسان كمجموع، من خلال دفع مفسدة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ) (المائدة:٩٠-٩١)، أو جلب مصلحة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة:١٨٣).

• كل التشريعات الإلهية أريد بها صلاح الإنسان كفرد، أو الإنسان كمجموع، من خلال دفع مفسدة أو جلب مصلحة

وقد تعرضت مجموعة من النصوص الشرعية لبيان هدف (أو أهداف التشريع)، وهو ما يصطلح عليه الفقهاء بـ (مقاصد الشريعة)، وهي تنقسم إلى:

١ـ العلة التامة القطعية للحكم، من قبيل (كل مسكر حرام)، فالإسكار علة قطعية وتامة يعتمد عليها الفقهاء في تحريم كل شراب مسكر.

٢ـ الحكمة التي تبين جانباً من أهداف التشريع، وليست علة تامة له، من قبيل لزوم العدَّة، فقد ذكرت بعض الأحاديث أن الحكمة في ذلك منع اختلاط الأنساب، فهي فترة يتبين من خلالها الحمل من عدمه، إلا أنها ليست العلة التامة لتشريع العدة، ولذا حكموا

• ينحو بعض الفقهاء إلى تأسيس علم جديد بعنوان (فلسفة الفقه) يتضمن في مجالاته (مقاصد الشريعة)، للمساعدة في استنباط الأحكام الشرعية بصورة أقرب إلى الصحة

• غالبية الناس يتعبدون بظاهر الأحكام الشرعية، ولا يولون أهمية لأهداف التشريع التي تعمل على البناء الروحي والأخلاقي والفكري وتأسيس المجتمع الصالح

بلزوم العدة على المطلقة وإن استأصلت رحمها.

فلسفة الفقه:

وينحو بعض الفقهاء مؤخراً إلى تأسيس علم جديد يدرَّس في الحوزات العلمية بعنوان (فلسفة الفقه) يتضمن في مجالاته (مقاصد الشريعة)، بهدف المساعدة في استنباط الأحكام الشرعية بصورة أقرب إلى الصحة، ويضربون على ذلك المثال التالي من كلام الشهيد الفقيه مرتضى المطهري: (أصل العدالة أنها من معايير الإسلام، بحيث أن يُلحظ ما يتطابق معها وما لا يتطابق... فليس ما يقوله الدين هو العدل، بل حيثما يكون العدل ينطق به الدين، وهذا هو معنى كون العدالة معياراً للدين).

التعلق بالظاهر:

ومن المؤسف أن غالبية الناس يتعبدون بظاهر الأحكام الشرعية، ولا يولون أهمية لأهداف التشريع التي تعمل على البناء الروحي والأخلاقي والفكري وتأسيس المجتمع الصالح، والتي هي دوافع تلك التشريعات والمقصد الأساس منها، ولذا تم تفريغ العبادات من روحها، وانشغل الناس بجسمها الظاهري.

والمؤسسة الدينية تتحمل العبء الأكبر في هذه الظاهرة السلبية، بتركيزها في خطاباتها ومؤلفاتها على الممارسة الميكانيكية للعبادات وإهمال الجوانب الأخرى فيها، وهو ما التفت إليه الشهيد الفقيه السيد محمد باقر الصدر، فقد عبّر تلميذه العلامة السيد عبدالله الغريفي بقوله: (وهناك بعد أخر أكدّ عليه هذا المشروع التغييري عند الشهيد الصدر، وهو حالة التزواج بين الفقه والأخلاق، فقد لاحظ الشهيد الصدر ظاهرة انفصال «المسالة الأخلاقية» عن «المضمون الفقهي» في تطبيقات الإنسان المسلم، حيث أنّ المسائل الأخلاقية لا تملك قوة «الإلزام الفقهي» فلا حرج في التخلي عنها. ومما كرّس هذا الفهم عند الفرد المسلم هو الافتراق بين الفقه والأخلاق في «الرسائل العملية» للفقهاء، وفي«الكتب

• أكد الشهيد الصدر على ضرورة التزاوج بين المضمون الفقهي والمضمون الأخلاقي

• الإمام علي الرضا: وإنما أمروا بالإحرام ليخشعوا قبل دخولهم حرم الله وأمنه ولئلا يلهوا وينشغلوا بشيء من أمور الدنيا وزينتها ولذاتها

الأخلاقية». وفي ضوء هذا الرفض لهذين الإتجاهين يؤكد الشهيد الصدر على ضرورة التزاوج بين المضمون الفقهي والمضمون الأخلاقي، وهذا التزاوج يعطي للالتزامية الفقهية مضموناً أخلاقياً، ويعطي للممارسة الأخلاقية إلزامية فقهية).

الحج نموذجاً:

ولتقريب الصورة أكثر فإنه يمكن استعراض بعض النصوص الخاصـــة بالأبعاد التربوية لمناسك الحج، ليقيس من خلاله كل من حج إلى بيت الله الحرام مدى قربه أو ابتعاده عن الممارسة المتكاملة لهذه الشعيرة الهامة:

- الإحرام: (عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: وإنما أمروا بالإحرام ليخشعوا قبل دخولهم حرم الله وأمنه ولئلا يلهوا وينشغلوا بشيء من أمور الدنيا وزينتها ولذاتها، ويكونوا جادين فيما هم فيه، قاصدين نحوه مقبلين عليه بقلبهم، مع ما فيه من التعظيم لله عزوجل ولبيته، والتذلل لأنفسهم عن قصدهم إلى الله عزوجل ووفادتهم إليه راجين ثوابه، راهبين من عقابه، ماضين نحوه، مقبلين إليه بالذل والإستكانه والخضوع).

- السعي: (عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: جعل السعي بين الصفا والمروة مذلة للجبارين).

- الهدي: (وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ... لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ) (الحج:٣٦-٣٧).

الأخلاق أولاً:

ومن ناحية ثانية، فإن بعض الأحكام الشرعية تأتي كحد أدنى في التعامل بين الناس، لاسيما في حال النزاعات، وإلا فإن التصرف الذي يكون أقرب إلى مرضاة الله سبحانه هو الأوفق بالقيم الأخلاقية كقيمة (التعامل بالمعروف)، وهذا لا يعني أن ننظر إلى تلك التشريعات نظر الريبة، بل هي تأتي كقوانين ملزمة لتنظيم الأمور ولفض النزاعات، وكحلول أخيرة في حالات عدم التوافق.

• بعض الأحكام الشرعية تأتي كحد أدنى في التعامل بين الناس، وإلا فإن التصرف الذي يكون أقرب إلى مرضاة الله هو الأوفق بالقيم الأخلاقية

ومن هذا القبيل قوله تعالى (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُواْ آيَاتِ اللّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة:٢٣١)، فمن حق الزوج أن يُرجع زوجته في فترة العدة الرجعية، إلا أن القيمة الأخلاقية تتمثل في عدم استغلال هذا التشريع المقنن بهدف تيسير إعادة العلاقات الزوجية بعد وقوع الخلاف والطلاق، حيث يقوم البعض بانتظار الأيام الأخيرة من نهاية العدة، فيعملِ على إرجاع زوجته، لا حباً فيها، وإنما إمعاناً في أذاها، وهو ما نهت عنه الآية وحذرت منه، واعتبرته مخالفاً للأخلاق والتقوى... والأمثلة على ذلك في القرآن الكريم عديدة.

وخلاصة القول: إن العلاقة بين الأحكام الشرعية وبين الأخلاق وثيقة إلى حد بعيد، بل تأتي بعضها أهدافاً للتشريع ذاته، وهو ما يستدعي العمل على تطوير الجانب العلمي والعملي عند المسلمين في هذا الإطار.

• العلاقة بين الأحكام الشرعية وبين الأخلاق وثيقة إلى حد بعيد، بل تأتي بعضها أهدافاً للتشريع ذاته



حديث الثقلين

٥ شعبان ١٤٢٨ هـ / ١٨ أغسطس ٢٠٠٧

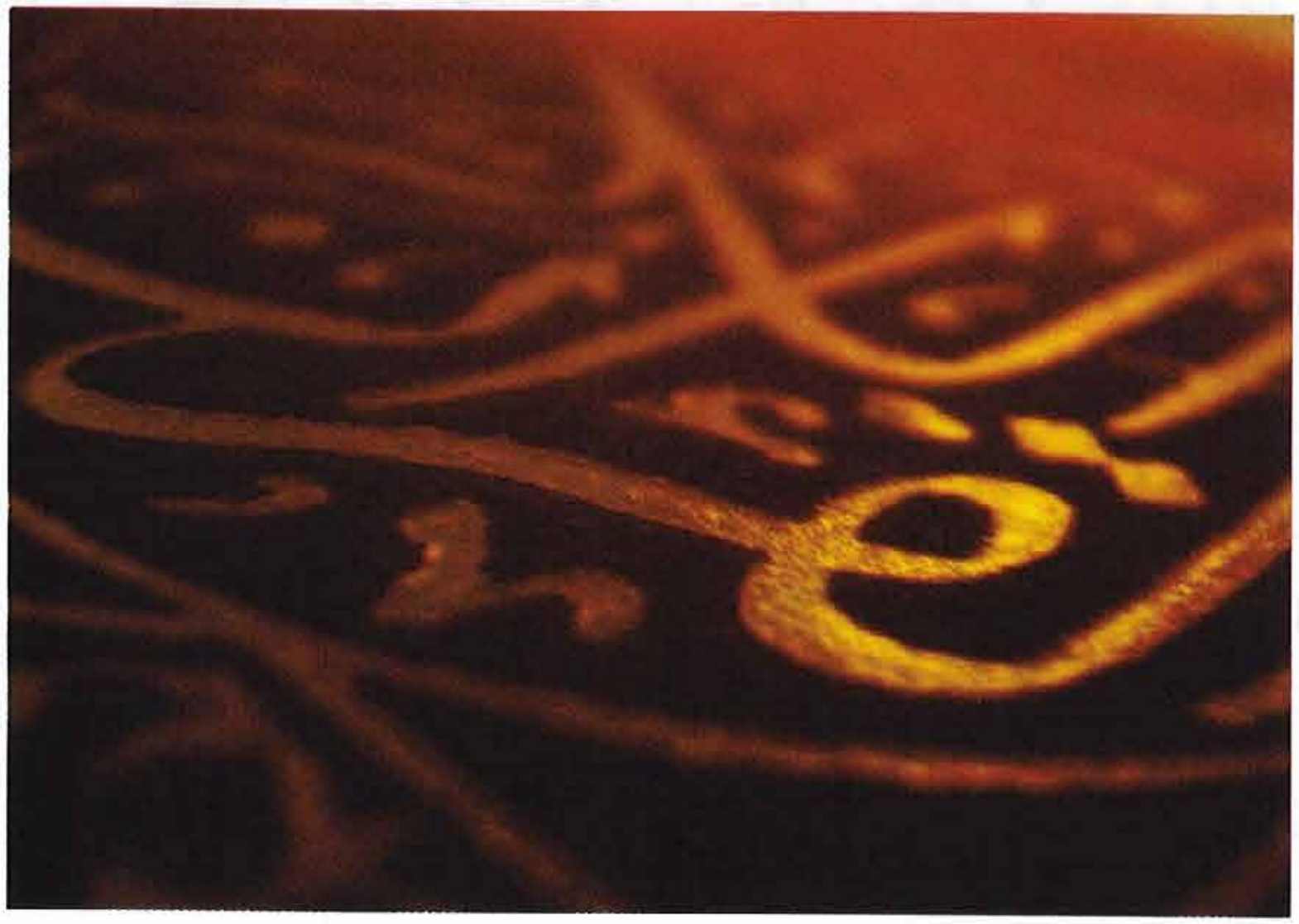

في ذكرى مولد النورين: سيد الشهداء الحسين بن علي بن أبي طالب في الثالث من شعبان، وابنه زين العابدين علي عليهم السلام في الخامس من شعبان، أجد من المناسب أن أتعرض لذكر حديث الثقلين المروي بألفاظ عديدة والمتفق عليه من حيث المضمون عند المسلمين جميعاً برواية الصحابة ونقل أكابر المحدِّثين في أمهات كتب التفسير والحديث والتاريخ والعقيدة وغيرها.

• حديث الثقلين مروي بألفاظ عديدة ومتفق عليه من حيث المضمون عند المسلمين جميعاً برواية الصحابة ونقل أكابر المحدِّثين في أمهات الكتب

ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه، قال: (حدثني زهير بن حرب وشجاع بن مخلد جميعاً، عن ابن علية، قال زهير: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثني أبو حيان حدثني يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفونيه، ثم قال: قام رسول الله صلى الله عليه

• قال زيد:

قام رسول الله خطيباً بماءٍ يدعى خماً فقال: أنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي

• لا تعارض بين حديث الثقلين وبين المروي بأنه أوصى بالقرآن وسنته فسنَّته هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم

وآله وسلم يوماً فينا خطيباً بماءٍ يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغَّب فيه ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي. فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟! قال نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس. قال: كل هؤلاء حُرِم الصدقة؟ قال: نعم).

وأياً كانت شمولية كلمات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يتحدث عن أهل بيته، وقد تحدث زيد بن أرقم رحمه الله عن فهمه الشخصي لمقصود النبي الأكرم، إلا أن أحداً لا يشك في أن علياً وفاطمة والحسن والحسين وزين العابدين عليهم السلام هم على رأس تلك القائمة.

ولا تعارض بين هذا الخبر وبين المروي بأنه أوصى بالقرآن وسنته، فالنبي لم يوصِ بعترته بلحاظ قرابتهم الشخصية، في وصية عاطفية بعيداً عن المسئولية الدعوية التي نهض بها طوال ٢٣ سنة من عمره المبارك، بل إنه لما قرنهم بالقرآن الكريم فإنه يشير إلى التمسك بهم بما هم أسباب هداية للخلق، ودلائل رُشْد، ومنائر عِلم... وكذا فيما يرتبط بروايات (وسنتي)، لأن سنَّته هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم والتي من خلالها نفهم كلمات الله، ونغوص في أعماق الدين، وندرك تفاصيل الشريعة، وقد كان علي عليه السلام على رأس المأتمنين من أهل بيت النبي على هذه السنة الشريفة.

فقد روى الصحابي الجليل عبدالله بن عباس رضي الله عنه عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (أنا

• قال رسول الله:

أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها

• قال أمير المؤمنين عن رسول الله:

ما نزلت عليه آية في ليل ولا نهار ولا سماء ولا أرض ولا دنيا ولا آخرة ولا جنة ولا نار ولا سهل ولا جبل ولا ضياء ولا ظلمة، إلا أقرأنيها

مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين.

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: (كنت إذا سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجابني، وإن فنيت مسائلي ابتدأني، فما نزلت عليه آية في ليل ولا نهار ولا سماء ولا أرض ولا دنيا ولا آخرة ولا جنة ولا نار ولا سهل ولا جبل ولا ضياء ولا ظلمة، إلا أقرأنيها وأملاها عليّ وكتبتُها بيدى وعلمني تأويلها وتفسيرها ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها وكيف نزلت وأين نزلت وفيمن أنزلت إلى يوم القيامة، دعا الله لي أن يعطيني فهماً وحفظاً، فما نسيت آية من كتاب الله ولا على من أنزلت إلا أملاه علي) رواه الكليني في الكافي.

وعلى كل حال فإن التمسك بالقرآن الكريم وبسنة النبي وبأهل بيته هي الوصية التي تكررت على لسانه وفي أكثر من مناسبة، ومن حق النبي على كل مسلم أن يحفظ هذه الوصية ويعمل بها، لا بمعنى أن يعيش أجواء العاطفة المجردة في علاقته بها، بل أن يترجم ذلك التمسك بالقول والعمل.



لماذا غيّب اللّه المسيح ؟!

١٢ شعبان ١٤٢٨ هـ / ٢٥ أغسطس ٢٠٠٧



• استوفى الأنبياء مهامهم إلا السيد المسيح إذ بقيت مهمته غير مكتملة إلى هذه الساعة

• غيّب اللّه المسيح ابن مريم ليؤدي مهمته غير العادية في آخر الزمان

وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى، ومن بعده الأنبياء من بني إسرائيل عليهم السلام، ثم خاتمة النبوات بسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي أدى ما حمّله الله من الكتاب وجاهد فيه حق جهاده، حتى إذا استوفى رسالته توفاه الله.. عدا المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام، إذ بقيت مهمته غير تامة إلى هذه الساعة، فبعد أن حمل أعباء الرسالة، وواجه قومه والمشركين بأنواع التحديات، لم يمت كما مات من قبله وبعده من الرسل والأنبياء، بل غيّبه الله عزوجل وحفظه طوال القرون الماضية، قال تعالى في الرد على الادعاء بقتل المسيح (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا

بعث الله عزوجل نوحا عليه السلام نبياً وصاحب أول شريعة للبشرية، فمكث في قومه قرابة الألف سنة يدعوهم إلى دين الله سبحانه وشريعته، حتى إذا استوفى رسالته توفاه الله... وجاء من بعده إبراهيم الخليل رسولاً بشريعة الله وكتاب من السماء، ودعا إلى عبادة الرحمن، وجاهد في سبيله ما استطاع، ونشر دينه في الآفاق، حتى إذا استوفى رسالته توفاه الله... وهكذا كان إسماعيل

• المهمة غير العادية للسيد المسيح تحتاج إلى إعداد غير عادي ليشهد الحركة التاريخية للبشرية في تجاربها المتنوعة

• قال السيد المسيح: يظهر كثير من الأنبياء الكذابين ويضلون أناساً كثيرين، ويزداد الإثم، فتفتر المحبة في أكثر الناس. والذي يثبت إلى النهاية فذاك الذي يخلص

اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا، وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) (النساء:١٥٧-١٥٩)، وما ذاك إلا ليبقيه لأداء مهمة غير عادية، تتمثل في إقامة دولة العدل على وجه الأرض باتساع رقعتها الجغرافية، دولة تقوم على أساس التوحيد والإيمان بكل أنبياء الله ورسله وباليوم الآخر، وتعمل على إقامة الحق وبَسْطِ العدل، وعمارة الأرض ماديا وروحيا (وسوف يأتي الناس من المشرق والمغرب ومن الشمال والجنوب فيجلسون على المائدة في ملكوت الله) (إنجيل لوقا:الإصحاح١٣).

ويبدو أن هذه المهمة غير العادية تحتاج إلى إعداد غير عادي لهذا النبي الكريم ليشهد الحركة التاريخية للبشرية في تجاربها المتنوعة فكرياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً وأمنياً، في مخاض الإنسانية الذي لن يولّد في نهاية الطريق إلا الفساد والحروب والدمار، وهو ما انعكس في حوار المسيح عليه السلام مع الحواريين كما في النص الإنجيلي التالي: (وما علامة مجيئك ونهاية العالم؟ فأجابهم يسوع: إياكم أن يضلكم أحد. فسوف يأتي كثير من الناس منتحلين اسمي يقولون: أنا هو المسيح ويضلون أناساً كثيرين. وستسمعون بالحروب وبإشاعات عن الحروب فإياكم أن تفزعوا، فلا بد من حدوثها، ولكن لا تكون النهاية عندئذ. فستقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكة، وتحدث مجاعات وزلازل في أماكن كثيرة. وهذا كله بدء المخاض. وستسلمون عندئذ إلى الضيق وتقتلون، ويبغضكم جميع الوثنيين من أجل اسمي. فيغير أناسٍ كثيرون ويسلم بعضهم بعضاً ويتباغضون. ويظهر كثير من الأنبياء الكذابين ويضلون أناساً كثيرين. ويزداد الإثم، فتفتر المحبة في أكثر الناس. والذي يثبت إلى النهاية فذاك الذي يخلص. وستعلن بشارة الملكوت هذه في المعمورة كلها شهادة لدى الوثنيين أجمعين،

• لعل السر في تغييب المسيح دون غيره يكمن في أن المؤمنين به لربما يشكلون في ذلك الزمان نسبة كبيرة من الناس كما هي اليوم

وحينئذ تأتي النهاية) (إنجيل متى: الإصحاح٢٤).

أما لماذا المسيح دون غيره من الأنبياء عليهم السلام، فلعل السر يكمن في أن المؤمنين به (المسيحيين) لربما يشكلون في ذلك الزمان نسبة كبيرة من الناس كما هي اليوم (أكثر من ٢ مليار نسمة)، وهو ما سييسّر مهمة إيمانهم بالحق الذي سيطبَّق في دولة آخر الزمان (ملكوت الله).

إلا أن هذه المهمة لن تقوم على أكتاف هذا النبي الكريم وحده، فقد شاء الله عزوجل أن يكون للعالم في آخر الزمان قائد من أمة الإسلام، إمامٌ من ذرية خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، من ولد فاطمة وعلي والحسين عليهم السلام، وهو الملقب بالمهدي، فعن النبي الأكرم (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟) صحيح البخاري، يقوم بإرساء قواعد الحق فيمحو الباطل ويحارب قوى الظلم ويبسط العدل وينشر كلمة التوحيد ويمهّد لظهور المسيح إبن مريم ليقودا البشرية ـ معاً ـ إلى السلام، و (يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله عزوجل به دينه ولو كره المشركون، فلا يبقى في الأرض خراب إلا عُمِّـر، وينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلي خلفه) الإمام محمد الباقر.

ولما كانت المسئولية الكبرى

• مهمة المسيح لن تقوم على أكتافه وحده، فقد شاء الله أن يكون للعالم في آخر الزمان قائد من أمة الإسلام من ذرية محمد، وهو المهدي المنتظر



• شاء اللّه أن يحقق للمهدي إعداداً مشابهاً لإعداد المسيح، فغيّبه كما غيّب عيسى من قبل

• قال رسول اللّه: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل اللّه ذلك اليوم حتى يأتيهم رجل من أهل بيتي، تكون الملائكة بين يديه

ستقع على عاتق هذا الإمام في تحقيق دولة العدل، فقد شاء الله سبحانه أن يحقق له إعداداً مشابهاً لإعداد المسيح، فغيّبه كما غيّب عيسى من قبل، وجعله يعيش تجارب الإنسانية في تنوعاتها، حتى إذا جاء اليوم الموعود أمره الله بالظهور وإعلان دعوته وإقامة دولته، يقول عز اسمه (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (الأنبياء:١٠٥)، وفي مزامير داود (الصدّيقون يرثون الأرض) (المزمور٣٧).

وهكذا تتكامل المهمتان في تناغم رائع تشهده البشرية جمعاء (ولا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء، ما جئت لأبطل بل لأكمل، الحق أقول لكم: لن يزول حرف أو نقطة من الشريعة حتى يتم كل شئ أو تزول السماء والأرض) (إنجيل متى:الإصحاح ٥)، وكما في الخبر النبوي (فلو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يأتيهم رجل من أهل بيتي، تكون الملائكة بين يديه ويظهر الإسلام) وتنعم الأرض بعد المآسي الرهيبة التي تشهدها، ويحصد الناس خيرات الأرض والسماء كما لم يحصل من قبل (تنعم أمتي في زمن المهدي نعمة لم ينعموا مثلها قط، ترسل السماء عليهم مدراراً، ولاتدع الأرض شيئاً من النبات إلا أخرجته) حديث نبوي.

إنها البشارات العظيمة التي تتعطش لها الأمم اليوم في تحقيق العدل والسلام، وستكون في أمس الحاجة لها حين تمتلئ الأرض ظلما ودماراً في ذلك العصر، فتنشد ظهور المخلّص الذي طالما انتظرت مجيئه.

ـ (اللوحة الأولى تعبّر عن كتابة يوحنا لسفر الرؤيا وهو يحتوي على نبوءات عن آخر الزمان، ومدوّن ضمن العهد الجديد بعد الأناجيل، والصورة الثانية لمنطقة مجدون أو هرمجدون بفلسطين التي يؤمن المسيحيون بأنه ستقع فيها الحرب الأخيرة بين المسيح وأعدائه).

جمال الشباب

١٩ شعبان ١٤٢٨ هـ / ١ سبتمبر ٢٠٠٧

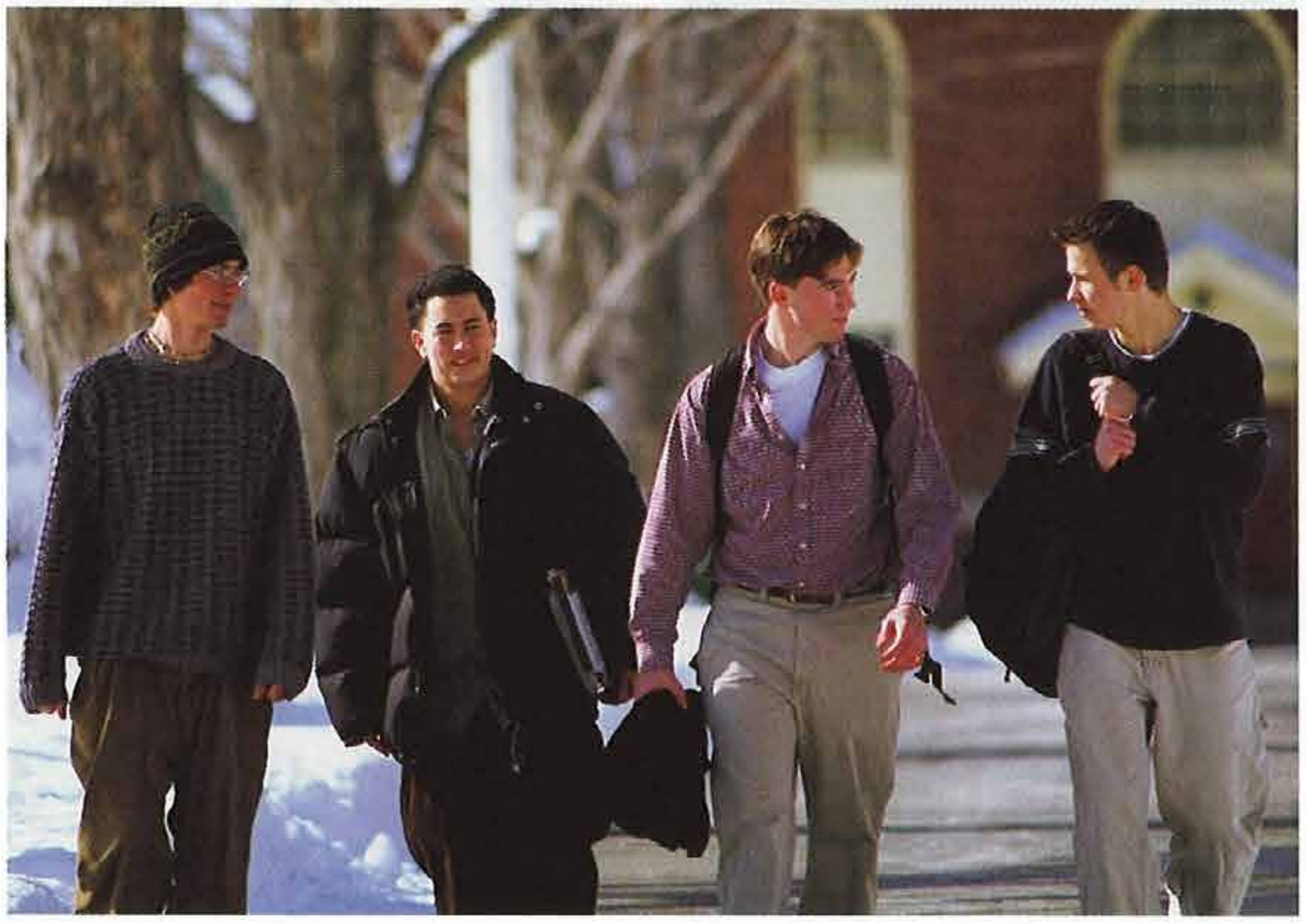

• الجمال الذي أنعم الله به على الشاب قد يتحول إلى وسيلة تدميرية إن جعل منه الهدف الأول والأخير لحياته

جمالك الذاتي ـ أيها الشاب ـ يتمثل جزئياً فيما تبلغه من قوة الجسد وعنفوان النشاط وتفتّح العواطف والمشاعر، وكل ذلك يضفي عليك روعة وحلاوة تحبّبك إلى الناس وتقرّبك إلى قلوبهم، بشرط أن لا تتحول هذه العناصر إلى أسباب لتدمير الشخصية أو طغيان القوة أو التقوقع في دائرة الوهم.

هذا الجمال الذي أنعم الله به عليك قد يتحول إلى وسيلة تدميرية إن جعلت منه الهدف الأول والأخير لحياتك، وكان هو اهتمامك الأوحد في حياتك إرضاءً لغرورك، أو لجلب رضا الآخرين وإعجابهم.. وقد يتحول هذا الجمال إلى عامل نفور أو سخرية في الوقت الذي كان ينبغي فيه أن يكون عامل جذب وإعجاب.

بل إن الوقوف عند هذا الحد في فهم الجمال الإنساني في مرحلة الشباب لا يتوافق مع ما نفهمه من روح الإسلام الذي لا يحصر الجمال بالجمال الطبيعي أو المصطنع ـ أي التجمل ـ بل يتعداه إلى الجمال المعنوي والأخلاقي... لاحظ معي النصوص التالية: (ميزة الرجل عقلُه، وجماله مروَّته) الإمام علي عليه السلام.

(العلم جمالٌ لا يخفى، ونسبٌ لا يجفى) الإمام علي عليه السلام.

(حُسن الصورة جمالٌ ظاهر،

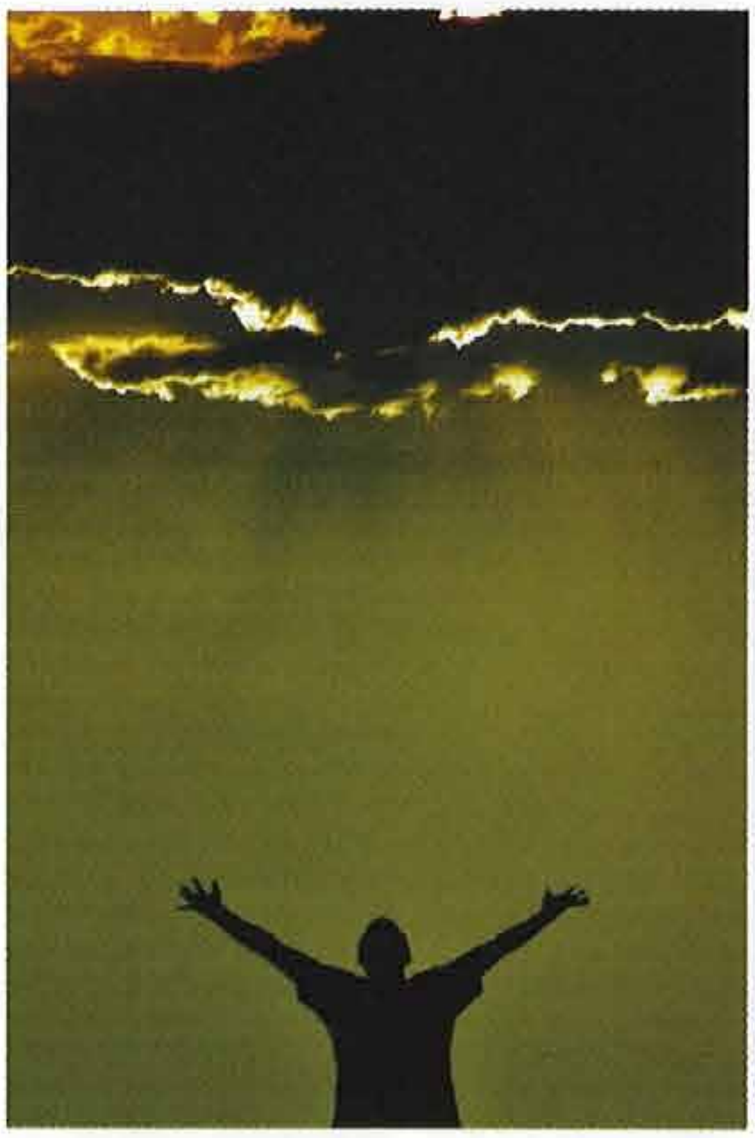

وحُسن العقل جمالٌ باطن) الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

(إن أحسن الزيّ ما خالطك بالناس، وجمّلك بينهم، وكفّ ألسنتهم عنك) الإمام علي عليه السلام.

عزيزي الشاب... إن ميلك إلى جمال الروح والسجايا الأخلاقية أمرٌ تلقائي يولد في ذاتك منذ بدء عهد الشباب، وتتفتح في وجدانك الرغبة في الجمال المعنوي بالضبط كرغبتك في التجمّل والتزين الظاهري... ألم تشعر بالميل إلى الإنفاق والسخاء وأنت تشارك أصدقاءك وجبة طعام في نزهةٍ ما ؟ ألم تدفعك حمية الفتوّة للدفاع عن صديق تعرّض للاعتداء؟ ألا تعشق في عمق وجدانك الصدق والأمانة والوفاء بالعهد والشرف وعزة النفس وخدمة الناس؟

إن طراوة وعذوبة عهد الشباب هي من المظاهر العظيمة للجمال الطبيعي، فحلاوة هذه المرحلة من العمر تزيد من جمال الشباب وتعزز مكانتهم في قلوب الناس... وعندما تعمد - عزيزي - إلى تزيين نفسك بتصفيف الشعر والتطيّب وارتداء أجمل الثياب، وتجمع بين هذا الجمال الظاهري والجمال الروحي، فإن محبتك في قلوب الناس ستتضاعف وتزداد... ولا يتكامل جمالك - عزيزي الشاب - إلا بهذا وذاك.

- **ميل الشاب إلى جمال الروح والسجايا الأخلاقية أمرٌ تلقائي يولد في ذاته منذ بدء عهد الشباب**
- **طراوة وعذوبة عهد الشباب هي من المظاهر العظيمة للجمال الطبيعي، فحلاوة هذه المرحلة من العمر تزيد من جمال الشباب**

اليوم الدولي لمحو الأمية

٢٦ شعبان ١٤٢٨ هـ / ٨ سبتمبر ٢٠٠٧

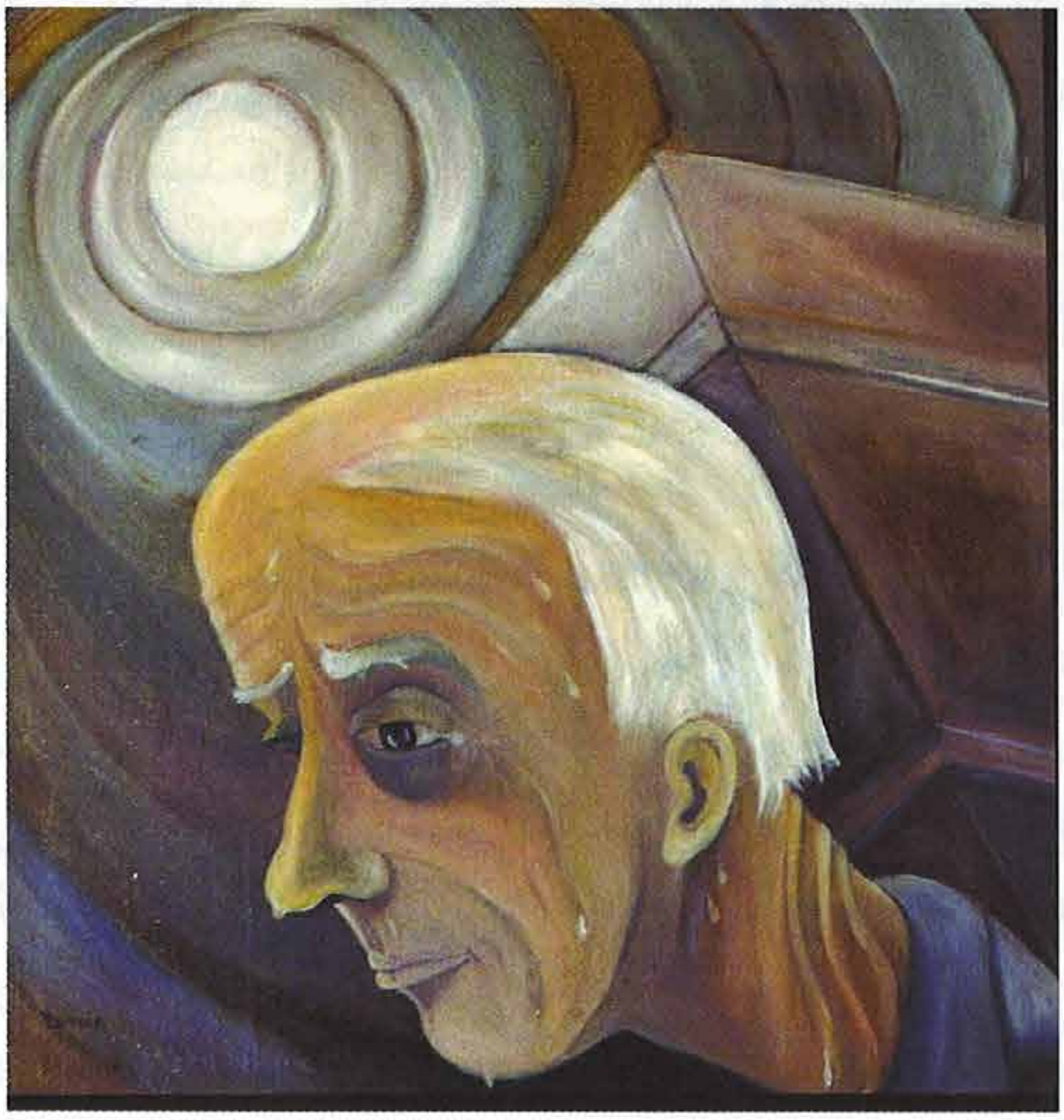

أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة: الأول من كانون الثاني/يناير ٢٠٠٣ بداية عقدِ الأمم المتحدة لمحو الأمية، كما تم تحديد الثامنِ منِ سبتمبر من كل عام يوماً دولياً لمحو الأمية.

وبالنظر إلى الأرقام والحقائق التالية المنشـــورة من قبل اليونسكو وجهات أخرى، فإن أهمية الموضوع بالنسبة إلينا في العالمين العربي والإسلامي أمر لا نقاش فيه:

- أكثر من مليار أمّي بالغ في العالم اليوم يشكلون نسبة ٢٦٪ من مجموع عدد البالغين، وثلثاهم من النسـاء.
- ٩٨ ٪ من الأميين يعيشون في الدول النامية، والتي تشكل الدول العربية والإسلامية نسبة كبيرة منها.
- عدد ساكني الدول العربية ٣٠٠ مليون نسمة تقريباً، أي أنهم يمثلون خُمس سكان الأرض.
- عدد الأميين العرب ٧٠ مليون نسمة، أي بنسبة ٢٥ ٪ من مجموع سكان الدول العربية.

• أكثر من مليار أمّي بالغ في العالم اليوم يشكلون نسبة ٢٦٪ من مجموع عدد البالغين، و ٩٨ ٪ من الأميين يعيشون في الدول النامية

قراءة في التاريخ والحاضر:

لما كانت الأمية من الأسباب التي تؤدي بالفرد والمجتمع إلى التخلف، وتشكل عائقاً رئيساً أمام التنمية بأنواعها، وعدم مواكبة الركب الحضاري، فقد حرص النبي الأكرم صلى

• حرص رسول الله على بعض المشاريع التي تعكس فطنته الميدانية وأسلوبه العملي والفعال في تحقيق التقدم للمسلمين والمجتمع الإسلامي

الله عليه وآله وسلم على محو أمية المسلمين من خلال بعض المشاريع التي تعكس فطنته الميدانية وأسلوبه العملي والفعال في تحقيق التقدم للمسلمين والمجتمع الإسلامي، والاستفادة من الإمكانات المتاحة ولو كانت بسيطة، ومثال على ذلك القرار الذي أصدره صلى الله عليه وآله وسلم بإمكانية أسرى معركة بدر أن يفدوا أنفسهم من خلال تعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة.

• تقاعس بعض الجهات الرسمية في الدول العربية والإسلامية عن محو الأمية بشكل جاد لا يعفي أفراد المجتمع من القيام بوظيفتهم في هذا الإطار من خلال جهود شخصية أو جماعية

وإذا كانت بعض الجهات الرسمية في الدول العربية والإسلامية تعمل اليوم في نطاق محو الأمية بشكل جاد، إلا أن هذا لا يعفي أفراد المجتمع من القيام بوظيفتهم في هذا الإطار من خلال جهود شخصية أو جماعية، والاستفادة من الإمكانات المتاحة ولو كانت بسيطة، لاسيما مع ملاحظة الرقم المخيف الذي وصل إليه عدد الأميين في العالم العربي: ٧٠ مليون أمّي!!

من بين الإمكانات المتاحة: توفر المعلمين المتقاعدين أو الأفراد الذين يملكون حس المسئولية الاجتماعية أو الدينية وبإمكانهم عقد جلسات فردية أو جماعية مبسطة لمحو الأمية، ثم إن المساجد المنتشرة في كافة المناطق يمكنها أن تهيئ المكان المناسب للتعليم، ومصارف الزكاة والخمس والصدقات يمكنها أن تخدم في تمويل هذا المشروع، كما أن الاستفادة من أوقات حضور المصلين في المساجد تساعد على تنظيم الدروس في أوقات محددة لا تزعج المعلم والمتلقّي.

وإذا كانت الدافعية مشكلة متصورة في بعض المجتمعات، فإن الحافز الأخروي بترتب الثواب من خلال خدمة المجتمع وقضاء حوائج الناس، والبركات والتوفيقات الإلهية المتوخاة من وراء ذلك من جهة، وأهمية تلقّي العلم من جهة أخرى هي من بديهيات ديننا وأول أبجدياته.

ومن نماذج ذلك ما في الخبر عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (الله

• قال رسول اللّه:

مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها

وملائكته وأهل السموات والأرضين، حتى النملة في جحرها وحتى الحوت، ليصلّون على معلّم الناس الخير)، وفي خبر آخر عن صفوان بن عسال أنه قال للنبي: (إني جئت أطلب العلم. فقال النبي: مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها).

نعم لا يمكن إنكار غياب (أو ضعف) تنمية حس المسئولية الاجتماعية في تربيتنا الدينية المعاصرة، وضيق أفق الخطاب الإسلامي عموماً وتطبيقاته الخارجية، إلا أن التعطش إلى الثواب الأخروي أمر ملموس وحاضر في الوجدان مما يعوّض الخلل في الدافعية التلقائية الناشئة من الإحساس بالمسئولية بعيداً عن حسابات الثواب والعقاب عند الفرد المسلم.

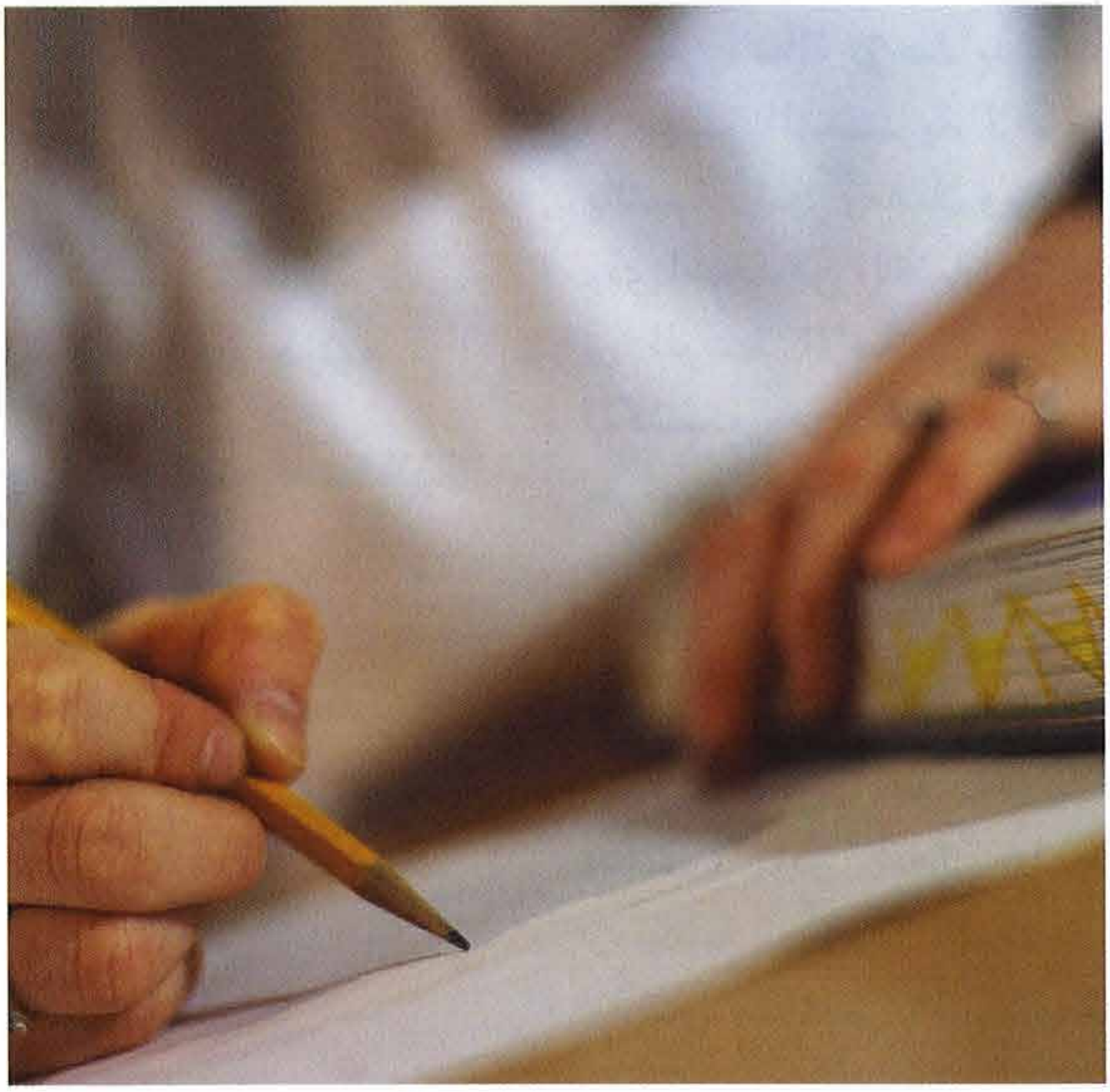

• إذا كانت الدافعية مشكلة متصورة في بعض المجتمعات، فإن الحافز الأخروي بترتب الثواب من خلال خدمة المجتمع يعوّض ذلك في مجتمعاتنا الإسلامية

إشكاليات تحديد بدايات الأشهر

٣ رمضان ١٤٢٨ هـ / ١٥ سبتمبر ٢٠٠٧



العلمي فقط لأبيّن بعضاً من أهم الاختلافات الفقهية بين المذاهب الإسلامية من جهة، وبين فقهاء المذهب الواحد من جهة أخرى، ليتضح للقارئ الكريم ما وراء هذا الانقسام، ومن ثم سأعرج لذكر بعض المقترحات العملية برجاء أن تخفف من وطأة هذا الانقسام وتقرب وجهات النظر وفتاوى الفقهاء وتكامل الجهود.

تبقى مسألة توحيد بدايات الأشهر القمرية، لاسيما بالنسبة لأشهر رمضان وشوال وذي الحجة، من القضايا الملحّة في الوسط الإسلامي، ويعبّر الكثير من المسلمين عن حزنهم وتأثرهم لعدم إمكانية توحيد الأمة على قول واحد في هذا الإطار، والحديث عن العوامل المؤثرة في الانقسام الحاصل كل عام حديث متشعب وذو أبعاد علمية وسياسية وأحياناً شخصية، ولكنني سأقتصر على البعد من أهم العوامل الفقهية:

١ـ يبدأ الشهر القمري طبيعياً من حين ولادة الهلال، وذلك عندما يغيب قرص القمر في الظل ما بين الشمسٍ والأرض، وعندها يكون محاقاً لا ينعكس منه ضوء الشمس، وتوقيت الولادة يُعرف بالدقة بالحسابات الفلكية لمئات الأعوام القادمة والماضية شهراً بشهر، ويسميه البعض (الشهر القمري الطبيعي). ويفتي بعض الفقهاء بكفاية تحقق هذه الولادة لكي نقول

• عبّر الكثير من المسلمين عن حزنهم وتأثرهم لعدم إمكانية توحيد الأمة على قول واحد في إطار تحديد بدايات الأشهر القمرية

• العوامل المؤثرة في الانقسام الحاصل كل عام حديث متشعب وذو أبعاد علمية وسياسية وأحياناً شخصية

• يفتي بعض الفقهاء بكفاية الحسابات الفلكية والفيزيائية الدقيقة لتحديد بداية الشهر القمري

• يفتي آخرون بكفاية الرؤية بالأجهزة المقرّبة كالتلسكوب وإن لم يُر الهلال بالعين المجردة

بدء الشهر في اليوم التالي منه، ولكل الكرة الأرضية. بينما يشترط فقهاء آخرون مرور فترة زمنية كافية يكتسب خلالها القمر كمية من الضوء تكون كافية لكي تُشاهد على الأرض بصورة هلال، مهما كان ضئيلاً. ويطلق البعض على ذلك (الشهر القمري الشرعي).

٢ـ يفتي بعض الفقهاء بكفاية الحسابات الفلكية والفيزيائية الدقيقة لتحديد بداية الشهر القمري بشرط أن تؤدي إلى تحديد الولادة الطبيعية علاوة على إمكانية الرؤية بالعين، وإن لم يُر فعلاً بسبب العوامل الجوية أو التلوث أو عدم الاستهلال وغير ذلك. بينما يشترط فقهاء آخرون حصول الرؤية بالعين وعدم الاكتفاء بالنتائج العلمية مهما كانت دقيقة.

٣ـ يفتي بعض الفقهاء بكفاية الرؤية بالأجهزة المقرِّبة كالتلسكوب وإن لم يُر الهلال بالعين المجردة، بينما يخالفهم آخرون فيشترطون الرؤية بالعين المجردة.

٤ـ يفتي بعض الفقهاء بكفاية الرؤية الثابتة في أي مكان على وجه الأرض للقول ببدء الشهر لكل الكرة الأرضية، بينما يشترط آخرون أن تكون الرؤية ضمن دائرة المناطق التي تشترك في الليل فقط، ويذهب فريق ثالث إلى اشتراط الرؤية المحلية أو في المناطق ذات الأفق القريب.

٥ـ يفتي بعض الفقهاء برد شهادة الشهود إذا كانت متعارضة مع المعطيات العلمية الدقيقة، فلو توصلنا علمياً إلى استحالة رؤية الهلال لأنه لم يولد مثلاً، أو كان عمره صغيراً جداً، وشهد البعض بالرؤية، فإن شهادتهم تُرد، وإن كانوا عدولاً يوثق بهم.

عوامل التوحيد أو التقريب:

بعد الاطلاع على الاختلافات الفقهية الحادة في طرق تحديد بدايات الأشهر القمرية، يصعب ادعاء إمكانية توحيد كل المسلمين ليصوموا ويفطروا في يوم واحد، إلا أنه يمكن السعي لتقليل عوامل الاختلاف من خلال المقترحات التالية:

• لابد من عقد اجتماعات جادة ومطولة بين الفلكيين والفيزيائيين من جهة، وبين فقهاء المسلمين من جهة ثانية

• لابد من عقد اجتماعات بين المراجع الدينيين والفقهاء في المذهب الواحد، ومن ثم بين المذاهب المختلفة

١ـ عقد اجتماعات جادة ومطولة بين الفلكيين والفيزيائيين من جهة، وبين فقهاء المسلمين من جهة ثانية لإطلاعهم على أهم المستجدات العلمية الكفيلة باحتمالية اعتماد الحسابات العلمية لتحديد بدايات الأشهر.

٢ـ عقد اجتماعات بين المراجع الدينيين والفقهاء في المذهب الواحد، ومن ثم بين المذاهب المختلفة، تكون ذات صبغة علمية حوارية جادة، ومن منطلق تحمل مسئولية الأمة، وتهدف لمناقشة نقاط الاختلاف الفقهي في كيفية تحديدٍ بدايات الأشهر القمرية شرعاً، ولربما الخلوص إلى آراء أقل اختلافاً أو أكثر تقارباً، مما ينقص من احتمالية الاختلاف في تحديد بدايات الأشهر عملياً.

٣ـ تنظيم عمليات الرصد للأهلة بصورة علمية دقيقة، وبالاستعانة بالوسائل الحديثة، والارتباط بالمراصد العالمية، وتنسيق الجهود المبعثرة في هذا الإطار.

إذا كان العالم الإسلامي في قرون مضت لا يشعر بوطأة هذا الاختلاف، فإن هذا الشعور يتعاظم بتزايد الترابط المعلوماتي بين أرجاء الكرة الأرضية، ويحمّل أصحاب القرار مسئولية معالجة هذه الحالة و التخفيف من وطأتها.



أعظم الناس حسرة

١٠ رمضان ١٤٢٨ هـ / ٢٢ سبتمبر ٢٠٠٧



للعرب في إطلاق اللفظ على المعنى التفاتات لطيفة وتخريجات طريفة، ومن ذلك كلمة (الحسرة)، فالحسير من الدواب هو ما لا منفعة فيه، وقد أخذوا هذا المعنى وأطلقوا على الندم في أشد صوره مصطلح: الحسرة، إذ لا مجال لفعل شئ بعد أن تتكشف الأمور وتُغلّق الأبواب.

• من صفات وأسماء يوم القيامة: يوم الحسرة، لأنه يمثل الندم في أشد صوره

ومن هنا كان من صفات وأسماء يوم القيامة: يوم الحسرة، قال الله سبحانه وتعالى (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ) (مريم:٣٩)، فما أكثر الندم في ذلك اليوم وشدته، ولات حين مناص!!

وللقرآن الكريم تصوير حي لحالة الإنسان الذي يعيش أشد حالات الحسرة في موقف القيامة الذي تتجلى فيه الحقائق، ويرى الإنسان ما كان يُنكره من الغيب الذي أخبر به الله وبشّر به وأنذر منه المرسلون، قال سبحانه (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الأِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي) (الفجر:٢٣-٢٤) هذه التي أعيش فيها هذا الجوّ الجديد الذي لن يرتفع بالإنسان إلا من خلال ما قدّمه من أعمال الخير التي تمثل رأس ماله في الآخرة، التي هي الحياة

• للقرآن الكريم تصوير حي لحالة الإنسان الذي يعيش أشد حالات الحسرة في موقف القيامة الذي تتجلى فيه الحقائق

الحقيقية، لأنها الحياة الخالدة، بينما لا تمثل الدنيا إلا اللهو واللعب. وتلك هي الحسرة التي يشعر بها الإنسان الذي ضيّع كل فرص الخير في الدنيا فتحولت إلى حسرات يوم القيامة (فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذابَهُ أَحَدٌ* وَلا يُوثِقُ وَثاقَهُ أَحَدٌ) (الفجر:٢٥-٢٦).

وللأحاديث الشريفة دور في بيان نماذج من الحسرات الأليمة في ذلك الموقف العصيب، ونستعرض منها نموذجين:

تفويت فرص التعلم والتطبيق:

عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (أَشَدُّ الناسِ حَسرةً يومَ القِيامَةِ رجلٌ أمكَنهُ طلبُ العِلمَ في الدُّنيا فلم يطلبْه، ورجلٌ عَلِم علماً فانْتَفعَ به مَن سَمِعَه مِنه دونَه).

وإلى هذه الحقيقة أشار الإمام جعفر الصادق عليه السلام بقوله: (إنَّ مِن أعظمَ النَّاس حسرةً يومَ القيامة مَن وَصف عَدلاً ثم خالفَه إلى غَيْره).

ولا ينتهي تأثير تلك الحسرة عند هذا الحد، فإن التعارض بين القول والعمل من موجبات المقت الإلهي، قال سبحانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ) (الصف:٢-٣).

الحسرة على المال:

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (إنَّ أعْظَمَ الحَسَراتِ يومَ القِيامةِ، حَسرةُ رجُل كَسَبَ مالاً في غَيرِ طاعَةِ اللّه، فورِثَه رجُل، فأنفَقَه في طاعةِ الله سُبحانَه، فدَخلَ بهِ الجنَّة، ودخَلَ به الأول النارَ).

• قال رسول اللّه: أشَدُّ الناسِ حَسرةً يومَ القِيامَةِ رجلٌ أمكَنهُ طلبُ العِلمِ في الدُّنيا فلم يطلبْه، ورجلٌ عَلِم علماً فانْتَفعَ به مَن سَمِعَه مِنه دونَه

وهذه الحسرة تتجلى في موقف يسبق مشهد يوم القيامة، وذلك في اللحظات الأخيرة عند تسليم الروح لباريها، حين تنكشف حقيقة الموت، وأن لا مردّ إلى الحياة من جديد، وأن الإنسان لا يملك حينها أن يقدّم إلا ما قدّمت يداه في سالف أيامه. وقد روي عن الإمام علي عليه السلام في وصف تلك اللحظات قوله: (فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ، اِجتَمَعَت عَلَيْهِم سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَ حَسْرَةُ الْفَوْتِ،

فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وَ تَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُم، ثُمَّ ازْدَادَ اَلْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَ بَيْنَ مَنْطِقِهِ، وَ إِنَّهُ لَبَيْنَ أَهلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ وَ يَسْمَعُ بِأُذُنِهِ، عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ وَ بَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ، يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمْرَهُ، وَ فِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ، وَ يَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً جَمَعَهَا أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا وَ أَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَ مُشْتَبِهَاتِهَا، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا، وَ أَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا، تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يُنَعَّمُونَ يَنْعَمُونَ فِيهَا وَ يَتَمَتَّعُونَ بِهَا، فَيَكُونُ اَلْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ وَ اَلْعِبْءُ عَلَى ظَهْرِهِ، وَ اَلْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا، فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ اَلْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ، وَ يَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمْرِهِ، وَ يَتَمَنَّى أَنَّ اَلَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَ يَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ).

• تتجلى الحسرة في موقف يسبق يوم القيامة، وذلك في اللحظات الأخيرة عند تسليم الروح، حين تنكشف حقيقة الموت، وأن لا مردّ إلى الحياة

وللمرحوم الشريف الرضي أبيات من الشعر في التنبيه من الوقوع في هذا المأزق، قال فيها:

يا آمِن الأيام بادر صرفها
واعلم بأن الطالبين حُثاثُ
خذ من ثرائك ما استطعت
فإنما شركاؤك الأيام والورّاثُ
ما كان منه فاضلاً عن قوتك
فلتعلمن بأنه ميراثُ

وكل هذه النماذج تعود إلى حقيقة واحدة مفادها أن الفرصة مواتية مادام الإنسان يمتلك مقوّمات التزوّد للآخرة، ومتى ما جاء الذي لابد منه، أصبح الإنسان رهينة ما قدّم في خوالي أيامه، وسيبدو له شريط العمر قصيراً.. قصيراً جداً.

• الفرصة مواتية مادام الإنسان يمتلك مقوّمات التزوّد للآخرة، ومتى ما جاء الموت، أصبح الإنسان رهينة ما قدّم



فزت و رب الكعبة

١٧ رمضان ١٤٢٨ هـ / ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٧



• حين تلقى أمير المؤمنين الضربة على رأسه في محرابه نادى:

فزتُ ورب الكعبة

عندما هوى سيف الغدر على رأس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في التاسع عشر من شهر رمضان من العام ٤٠ للهجرة، نادى في محرابه حيث أصيب: فزتُ ورب الكعبة... هذا النداء مثّل خلاصة حياة علي وعنوانها الأبرز... الفوز.

وعندما تحـــدث القرآن الكريم عن الفــوز الحقيقي عبّر عنه بـ (الفوز العظيم ـ المبين ـ الكبير)، وربط ذلك بعدة عناوين:

١ـ الصدق في الإيمان والموقف والكلمة: (قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (المائدة:١١٩).

٢ـ الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة:١١١).

٣ـ طاعة الله ورسوله: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (النساء:١٣).

• إذا تمثّلنا سيرة أمير المؤمنين وجدناه المصداق الأكبر والنموذج الأمثل للصدق والتقوى والجهاد والطاعة لله ورسوله

• كان علي المجاهد في سبيل الله بنفسه حتى شهدت له ساحات الوغى بما لم تشهد لأحد من قبل

• لم يسجل له موقف معارضة أو احتجاج أو تقدّم على قول النبي وإرادته

٤ـ التقوى: (الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (يونس:٦٣-٦٤).

وإذا تمثّلنا سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام، وجدناه المصداق الأكبر والنموذج الأمثل لكل العناوين السابقة، فهو الذي لم يعبد في حياته كلها إلا الله ولم يسجد لصنم قط، وأعلن تصديقه بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل كل الناس، وسجّل ذلك بقوله: (قد علمتم أني أوّلكم أيماناً بالله ورسوله).

وهو المجاهد في سبيل الله بنفسه حتى شهدت له ساحات الوغى بما لم تشهد لأحد من قبل ومن بعد، وصار مضرب المثل في البطولة والشجاعة، وقال في شأنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (... فعلي أشجع الناس قلباً)، وقال: (علي أشجع العرب).

وهو المجاهد في سبيل الله بماله حتى آثر الكل على نفسه، ونزلت آيات من سورة الإنسان تمدح تلك الحقيقة فيه، قال تعالى (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا) (الإنسان:٨-٩).

وقال الإمام علي تعبيراً عن ذلك: (ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دُنياه بطمريه، ومن طُعمه بقُرصيه[١]).

وهو الذي لم يسجل التاريخ له موقف معارضة أو احتجاج أو تقدّم على قول النبي وإرادته، فكان يرى نفسه بين يدي حبيبه النبي في مقام الابن مع أبيه والتلميذ مع أستاذه، وهو القائل: (وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد يضمني إلى صدره ويكنفني في فراشه ويمسّني جسده ويشمّني عُرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل. ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله وسلم من لدن أن كان فطيماً أعظم ملَك من ملائكته

• قال رسول اللّه:

يا علي، انك سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجّلين

• كان استشهاد علي الخسارة العظمى للمسلمين بعد رحيل رسول اللّه، والفوز العظيم له

يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه[٢]، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما ويأمرني بالاقتداء به).

وأما التقـــوى فهو إمام المتقين، وقد شهد له النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك إذ قال: (يا علي انك سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجّلين[٣]).

ومما سبق وغيره كثير، تتجلى الصورة ذات الحقيقة التي لا تقبل التشكيك، أن استشهاد علي عليه السلام كان الخسارة العظمى للمسلمين بعد رحيل رسولِ الله، والفوز العظيم له، خاتمةً لمسيرة حياته الحافلة بالعطاء الخالص والتضحيات الكبيرة، حياة لم يذق فيها حلاوةً إلا حلاوة القرب من الله وطاعة الحبيب محمد.

توضيح:

[١] الطمر: الثوب البالي.

[٢] الفصيل: ابن الناقة.

[٣] قائد الغر المحجلين: الغر من البياض في جبين الحصان: والخيل المحجل هو من كان البياض في آخر يديه ورجليه، وهو إشارة لمواضع النور في المؤمنين وهي أماكن الوضوء.

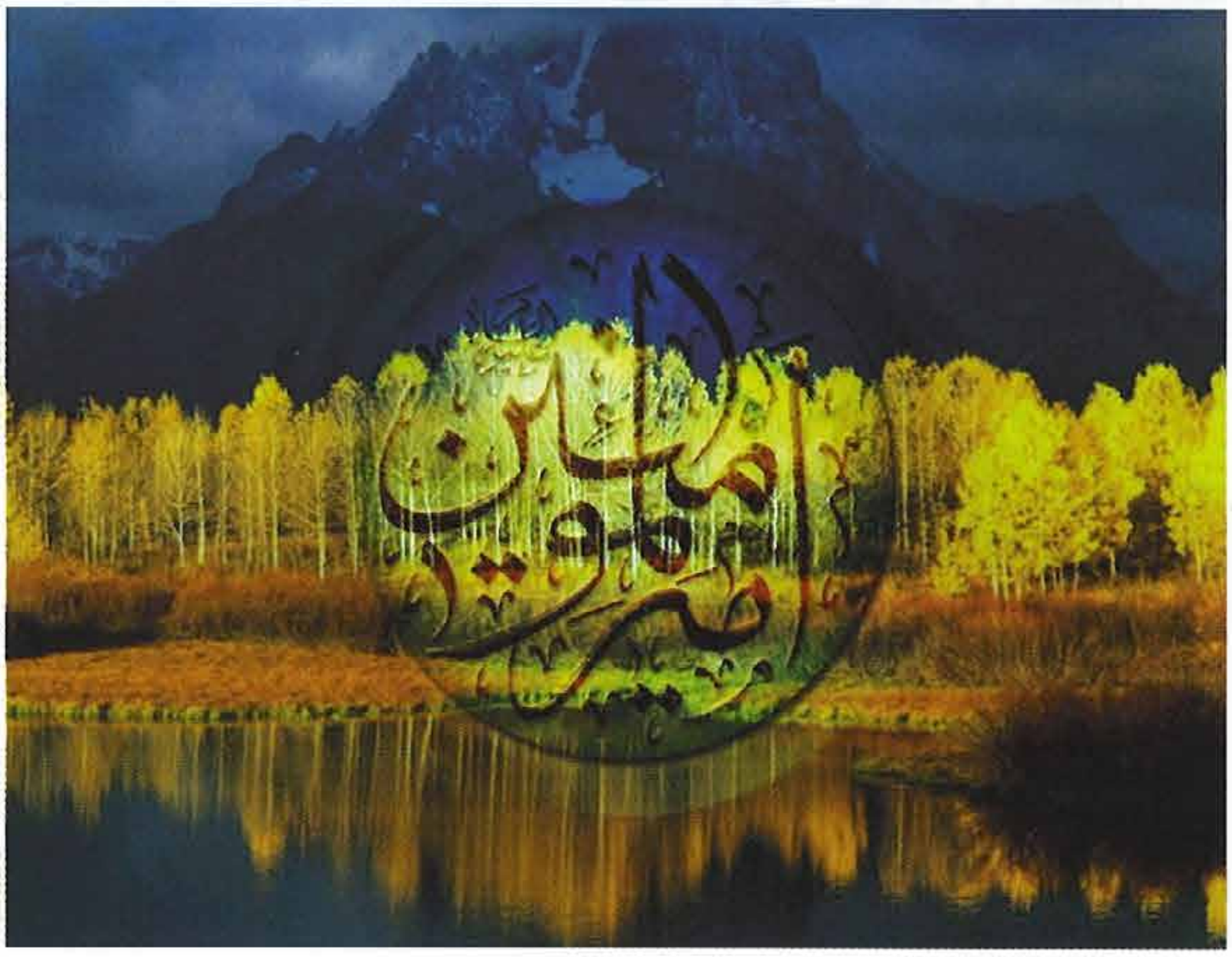

لمن القدس اليوم ؟

٢٤ رمضان ١٤٢٨ هـ / ٦ أكتوبر ٢٠٠٧



لمن القـــدس اليوم؟ يقول اليهود بأنها كانـــت تحت حكمهم منذ عهـــد النبي يوشع بن نون عليه السلام، أي قبل أكثر من ثلاثة آلاف سنة، فحقهم التاريخـــي في هذه الأرض ثابت، ويقول العرب أن هذه الأرض كانت محكومة من قبل الكنعانيين واليبوسيين قبل أن يسقـــط حكمهم على يد النبي يوشع، والكنعانيون واليبوسيون من القبائل التي هاجرت من شبه جزيرة العرب واستوطنت هذه الأرض وتمدنت فيها، فهم بالتالي من العرب، فتاريخ حكم العرب للقدس يسبق بقرون حكم بني إسرائيل. وهناك من يدعـــو إلى كون القدس من حق المسلمين، باعتبار أنها كانت تحت حكم المسلمين إلى عهد قريب جداً، كما يريد البعض تدويلها أو جعلها تحت إدارة الأديان السماوية الثلاثـــة... فلمن القدس اليوم وفق المنظور القرآني؟

• يدعي اليهود أن حقهم التاريخي في هذه الأرض ثابت منذ عهـــد النبي يوشع بن نون

المعيار القرآني:

اعتبر القرآن الكريم أن هذه الأرض أرض مقدسة، قال الله سبحانه وتعالى (ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ) (المائدة: منَ الآية٢١)، والتقديس يعني التطهير، فالله تعالى يريد لها أن تكون أرضاً مطهرة من مظاهـــر الشرك

• الكنعانيون واليبوسيون من القبائل العربية التي هاجرت من شبه جزيرة العرب واستوطنت هذه الأرض وتمدنت فيها قبل اليهود بزمن طويل

• وفق المعيار القرآني سيكون الحق في هذه الأرض مع مَن يمثّل دين الله على الأرض في زمانه، وعلى المؤمنين باختلاف انتماءاتهم العرقية والقومية أن ينصروهم

والكفر العملي والمعنوي، فلا أصنام فيها ولا عبادة للأصنام ولا أي مظهر آخر من مظاهر النجاسة الروحية والفكرية.

ولذا تعرض القرآن الكريم بصورة إيجابية للحديث عن فتح القدس على يد بني إسرائيل، وتخليصها من براثن العرب الوثنيين آنذاك، قال تعالى على لسان موسى عليه السلام (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ) (المائدة:٢١)، ولم يتحقق ذلك لعناد بني إسرائيل، وتأجل الفتح لعدة عقود حتى بعث الله عليهم يوشع بن نون الذي فتح القدس، وطهّر تلك الأرض من عبادة الأوثان.

وتحدث القرآن الكريم عن مواجهة أخرى بين المؤمنين من بني إسرائيل آنذاك بقيادة الملك طالوت، وبين العرب الوثنيين بقيادة الملك جالوت، وكان الموقف القرآني مع المؤمنين (وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء) (البقرة:٢٥٠-٢٥١).

وعلى أساس ما سبق فإنه وفق المعيار القرآني سيكون الحق مع مَن يمثّل دين الله على الأرض في زمانه، وعلى المؤمنين باختلاف انتماءاتهم العرقية والقومية أن ينصروهم بأنفسهم وأموالهم. ولو كنّا نعيش في تلك الحقبة من الزمان لكان لزاماً علينا نصرة بني إسرائيل الخاضعين لقيادة الأنبياء عليهم السلام كموسى ويوشع وداود، ولدعونا إلى أن تكون القدس تحت حكمهم لا تحت حكم الوثنيين أياً كانت قوميتهم.

خطأ فادح:

ومن المؤسف أن وقع البعض من الكتّاب العرب في خطأ فادح حين تعرضوا للقضية الفلسطينية من منظور قومي، فكالوا التهم لأنبياء بني إسرائيل كيوشع وداود عليهما السلام، وقذفوهم بأبشع الصفات،

• وقع بعض الكتّاب العرب في خطأ فادح حين تعرضوا للقضية الفلسطينية من منظور قومي، فكالوا التهم لأنبياء بني إسرائيل

• الحاكمية الحقيقية هي لله، فهو الذي يضع الموازين التي من خلالها يتحدد لمن تكون الحاكمية على نحو خلافة الله في الأرض

انطلاقاً من أنهم مثّلوا القوى التي قهرت جيوش العرب في ذلك الزمان، معتبرين إياهم قوى احتلال غاشم لأراضٍ عربية.

موقفنا اليوم:

أما اليـــوم، فإن شريعة محمـــد صلى الله عليه وآله وسلم تمثل خاتمة الشرائع، وأتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم يمثلون الحق وفق المنظور القرآني، ويجب أن تكون لهم السيادة والحاكمية على الأرض المقدسة التي يريد الله سبحانـــه وتعالى أن يطهرها من كل دَنَـس، لاسيما إذا أضفنا إلى ما سبـــق الحقيقة القرآنية التي تنص على (إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (لأعراف: من الآية١٢٨)، بمعنى أن الحاكمية الحقيقية هي لله سبحانه، فهو الذي يضع المـــوازين التي من خلالها يتحدد لمن تكون الحاكمية على نحو خلافة الله في الأرض، والعاقبة للمتقين.

وهذا لا يعني أن يتم طرد غير المسلمين من هذه الأرض أو منعهم من ممارسة شعائرهم، بل يكون التعايش السلمـــي هو الإطار الذي يجمعهم جميعاً، ولهم حقوق المواطنة ماداموا يحافظون ويساهمون في تحقيق الأمن والأمان لهذه الأرض، مع الاحتفاظ بالمسألة الأساس وهي الحاكمية للمسلمين.



أعيادنا منطلقات للمسئولية

٢ شوال ١٤٢٨ هـ / ١٣ أكتوبر ٢٠٠٧



يقرّب الإنسان إلى ربه خطوة للأمام، ويحقق الغاية من تشريع العيد بعد شهرٍ من الصيام. فهذا اليوم يعتبر محطة يتمازج فيها الشعور بالسعادة المادية من خلال التجديد في المظاهر العامة والفردية، مع الإحساس بالسعادة الروحية، وذلك للتوفيق الحاصل للإنسان المسلم بصيام شهر رمضان، والارتقاء الروحي الناتج من الانغماس في أجواء النوافل وقراءة القرآن والدعاء، مع ما حققه الصيام من سمو روحي ارتقى بالإنسان عن التعلق التام بالمادة إلى حالة من التمازج المادي الروحي، وإن كان بمستويات تختلف من فرد إلى آخر، ولو لسويعات في كل يوم، علاوة على كرامة النزول في ضيافة الله عزوجل ونيل رحماته وعطاءاته وفيوضاته العظيمة، ولذا نجد أن الإمام علياً عليه السلام يقول: (إنّما

• الاستغراق في الجانب المادي في تعبيرات المحتفلين بها لا يمثل الحقيقة الكاملة لتشريع الأعياد

لا ينفك الإنسان عن تحمل المسئولية - في المنظور العقلي والإسلامي - حتى في اللحظات التي يعيش فيها الاحتفال بعيدٍ من الأعياد، وما نلحظه من استغراق في الجانب المادي في تعبيرات المحتفلين بها لا يمثل الحقيقة الكاملة لتشريع الأعياد في الإسلام.

لا نريد هنا أن نكون نكديين، ونُفسد فرحة الناس بعيد الفطر الذي يتطلعون إلى قدومه ويتوقون إلى لحظاته، ولكن إدراك الحقيقة السابقة

• عيد الفطر يعتبر محطة يتمازج فيها الشعور بالسعادة المادية من خلال التجديد في المظاهر العامة والفردية، مع الإحساس بالسعادة الروحية للتوفيق للصيام والارتقاء الروحي

هو عيد لمن قَبِل الله صيامه وشكَر قيامه، وكل يوم لا يُعصى الله فيه فهو عيد).

ومن جهة أخرى فإن روح المسئولية تبرز مع بزوغ فجر ذلك اليوم، إذ يبدأ المسلم يومه هذا بإخراج زكاة الفطرة، ومن ثم أداء صلاة العيد، كمظهرين عباديين يعلن من خلالهما أنه يبدأ محطة جديدة في حياته من خلال مواطن طاعة الله سبحانه، ويؤكد في وجدانه رسوخ مفهوم الآية الكريمة (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) (البقرة:من الآية ١٥٦)، كما يتواصل ويتفاعل مادياً وروحياً مع غيره من أفراد المجتمع باختلاف طبقاته، فيشعر بالطمأنينة في نطاق خدمته للبشرية وقيامه بالدور المطلوب منه بلحاظ إمكاناته وطاقاته، وهو ما يجسّد تأكيد الإسلام الدائم على البعد الاجتماعي البنّاء في شخصية الإنسان المسلم، لا سيما مع الأخذ بعين الاعتبار حركة التواصل الاجتماعي التي يشهدها هذا اليوم، بما يرسّخ أسس الأمن في المجتمع.

وما ذكرناه في خصوص عيد الفطر يتطابق مع منطلقات الاحتفال بعيد الأضحى، الذي يمثل للحاج احتفالاً مادياً وروحياً مع غيره من بإنهاء جانب مهم من عبادة

• أكد الإسلام على البعد الاجتماعي البنّاء في شخصية الإنسان المسلم، لا سيما مع الأخذ بعين الاعتبار حركة التواصل الاجتماعي التي يشهدها عيد الفطر



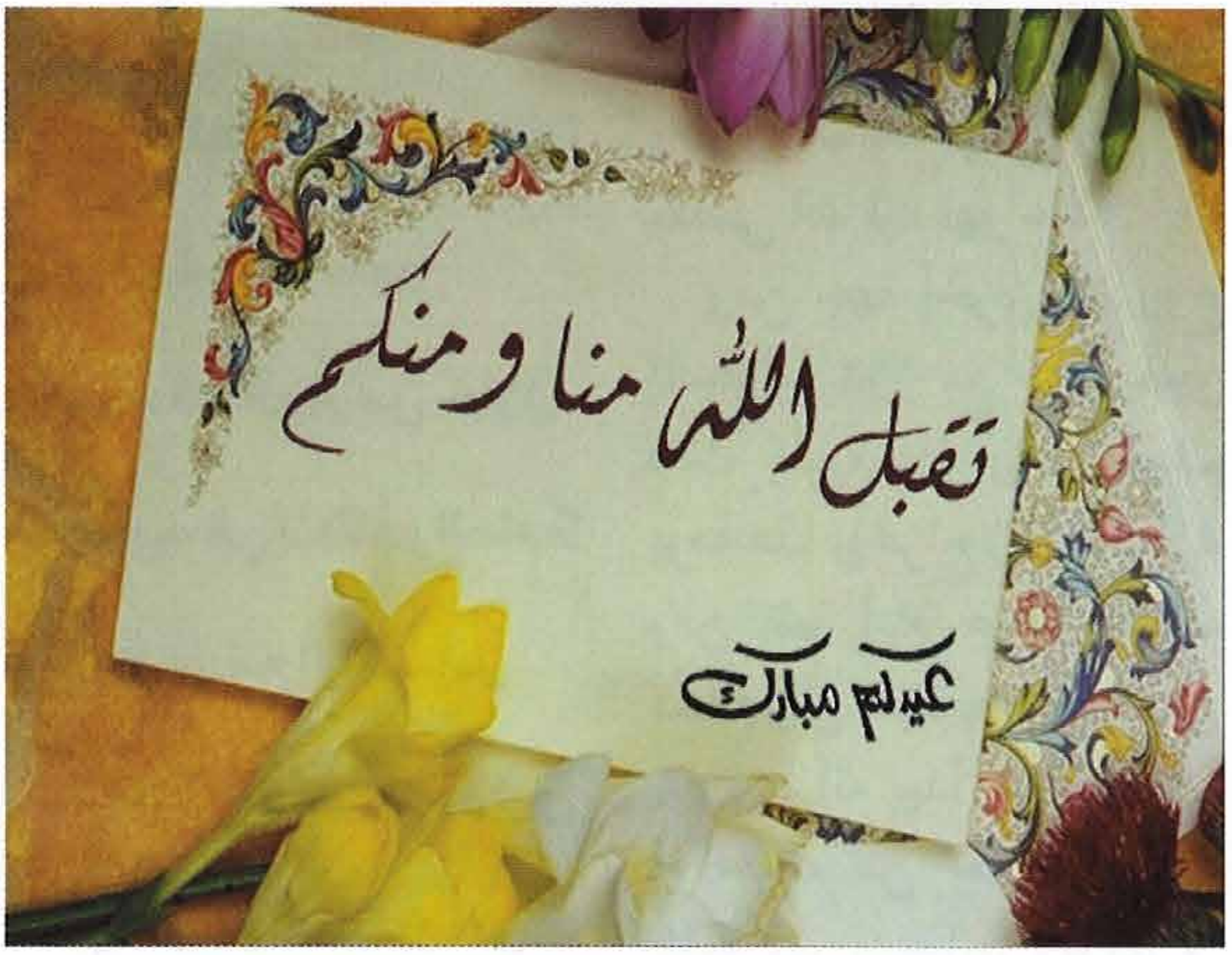

• الاحتفال بعيد الأضحى يمثل للحاج احتفالاً بإنهاء جانب مهم من عبادة الحج، ونيل التوبة من الله، وبدء حياته طاهراً كيوم ولدته أمه، وقبول القربان

الحج، ونيل التوبة من الله، وبدء حياته طاهراً كيوم ولدته أمه، وقبول القربان الذي قدّمه لربه سبحانه تماماً كما تقبل الله قربان إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو ما يمثّل ـ بالتالي ـ السير على خطا ذلك النبي الكريم الذي عظّم الله منهاجه في القرآن الكريم وخلّد ذكراه للبشرية عبر القرون، وجعل مناسكه باقية إلى يوم الدين.

• معنى الاحتفال بالأعياد عموماً هو أن ننطلق لنجعل مجتمعاتنا تعيش التخطيط لمستقبلها في حركة واعية، لتجاوز السلبيات وتحقيق الإيجابيات

وأخيراً فإن معنى الاحتفال بالأعياد عموماً ـ دينية كانت أم وضعية ـ هو أن ننطلق لنجعل مجتمعاتنا تعيش التخطيط لمستقبلها في حركة واعية، ولتجاوز ما أمكن من السلبيات، وتحقيق ما أمكن من الإيجابيات، ولترتقي في محطات هذه الذكريات العظيمة والإنجازات الكبيرة التي تتحقق على المستوى الفردي والجماعي، لا أن تبرز من خلالها جوانب العبثية اللاهية والتخلف الحضاري الذي نشهده للأسف في بعض التصرفات اللامسئولة تحت عنوان التعبير عن السعادة وإن كان على حساب مشاعر الآخرين وإلحاق الأذى بهم وبممتلكاتهم.

البُهـــرة

٩ شوال ١٤٢٨ هـ / ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٧

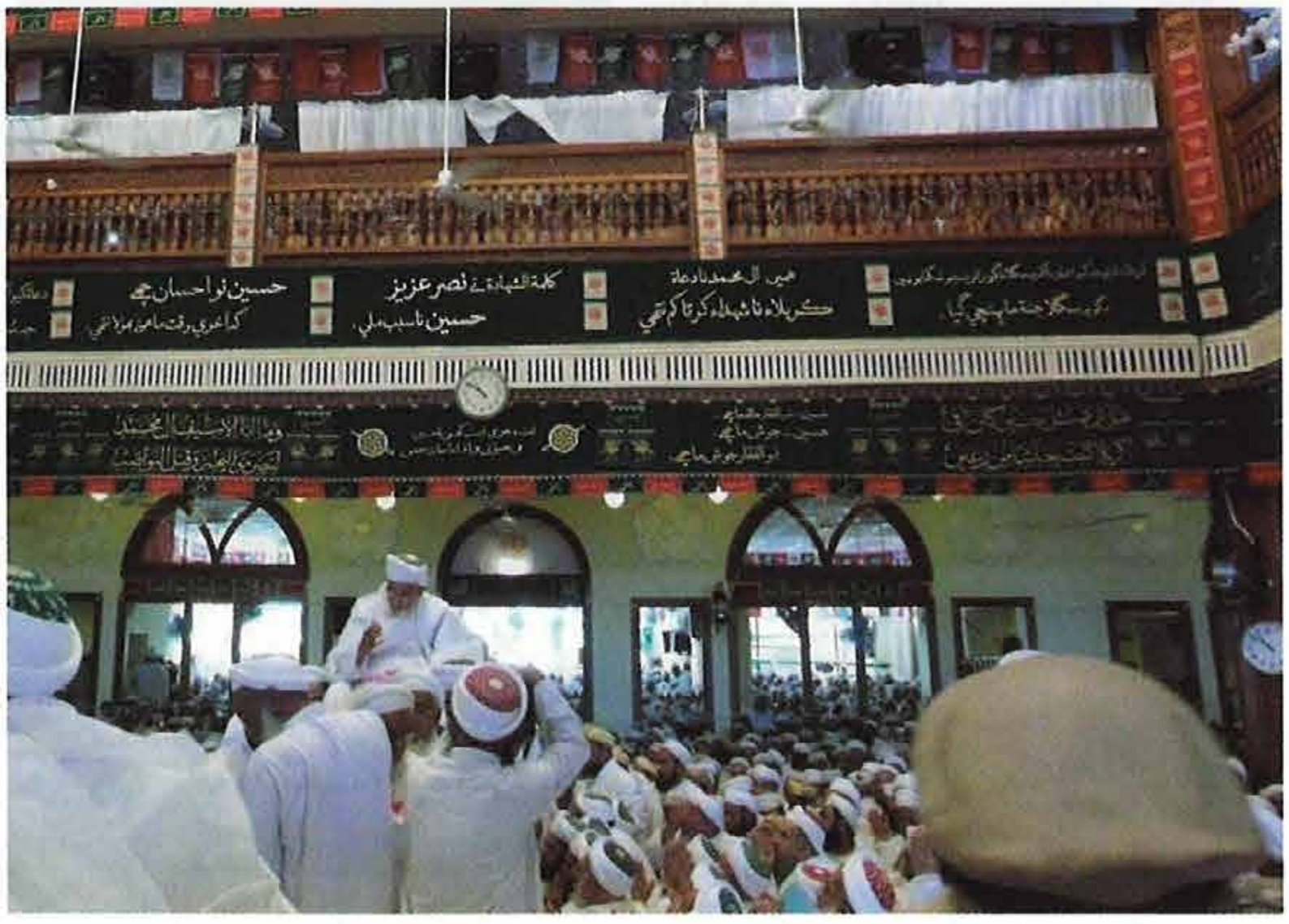

أثيرت في الكويت مؤخراً قضية المسجد المراد تخصيص أرض له لطائفـــة البهـــرة، وقدً تحدث البعض عن هذه الطائفة بما يُخرجهم عن الملة تماماً، حتى عُـبِّر عن المسجد بـ (المعبد)، وهذا مما يؤسف له ويثير الأشجان، لأنه لا تصح مصادرة الحقائـــق من خلال الأفكار المغلوطة والآراء التي لا تبتني على أسس واضحة بيّنة، كما لا يحق لأحد مصادرة المسميات ولاسيما إذا كانت متطابقة مع الواقع، فما يريد أبناء هذه الطائفة بناؤه عبارة عن مسجد بكل ما للمسجد من معنى وحُرمة، كما أنهم سيقيمون فيه الصلاة كما يقيم سائر المسلمين صلاتهم في المساجد، وإن اختلفت الخصوصيات الفقهية.

ولا ننسى أن هذه الطائفة هي امتداد للدولة الفاطمية التي أسست مدينة القاهرة العظيمة وما سواها، وجامعة الأزهر بمختلف مؤسساتها بما في ذلك المسجد الجامع، وعدد آخر من مساجد مصر والمغرب العربي.

ولست هنا في معرض الدفاع عن مذهبهم والأسس العقدية والفكـــرية التي يتبنـــونها، لاسيمـــا بلحاظ الاختـــلاف الواسع بين مفردات العقيدة بيننا كمسلمين إثناعشريين، وبين المسلمين الإسماعيليين، إلا أن هذا لا يعني القفز على الحقائق واتهام الآخرين بما هم منه براء، قال تعالى

• لا تصح مصادرة الحقائق من خلال الأفكار المغلوطة والآراء التي لا تبتني على أسس واضحة

• هذه الطائفة هي امتداد للدولة الفاطمية التي أسست مدينة القاهرة وجامعة الأزهر والمسجد الجامع، وعدد آخر من مساجد مصر والمغرب العربي

• لست في معرض الدفاع عن مذهبهم والأسس العقدية والفكرية التي يتبنونها، لاسيما بلحاظ الاختلاف الواسع بين مفردات العقيدة بيننا وبينهم، ولكن...

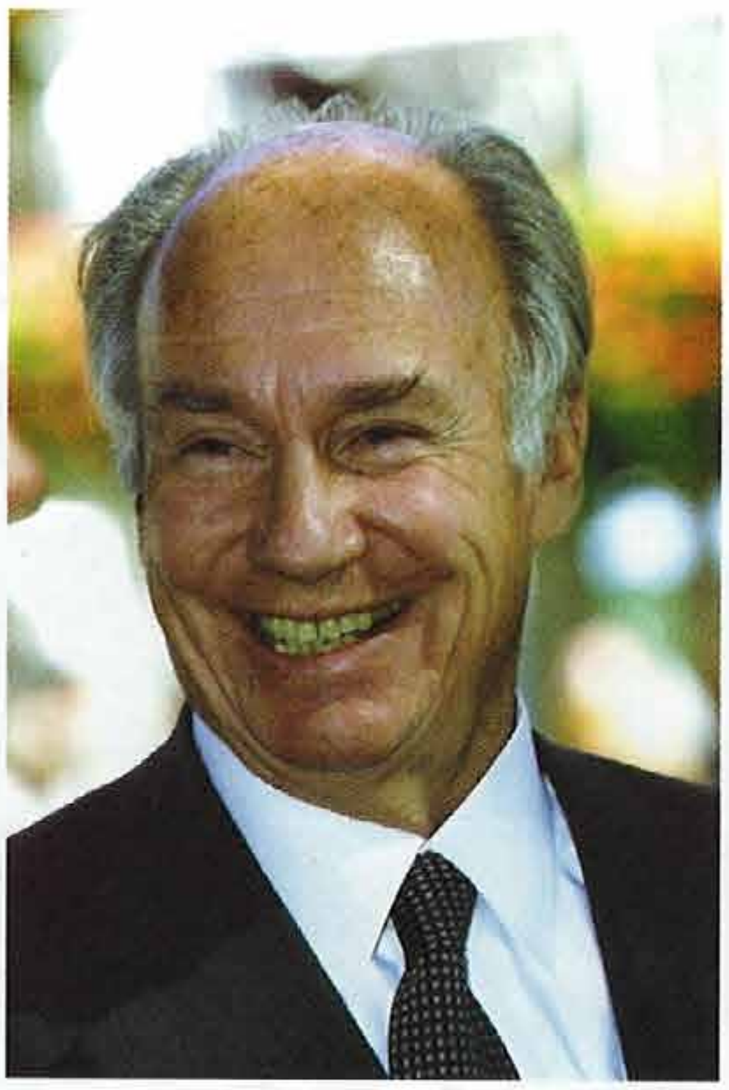

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المائدة:٨).

الآغاخانية والبهرة:

الإسماعيلية اليوم فرقتان، إحداهما الآغاخانية: ويسوقون الإمامة في ذرية إسماعيل، ويعدّون فيهم جملة من خلفاء مصر، وآخر أئمتهم هو الآغاخان الرابع كريم شاه علي (ولد ١٩٥٧).

والفرقة الثانية، البُهرة: وهي كلمة كجراتية هندية تعني الجدّ والعمل، وهم يسوقون الإمامة في ولد إسماعيل، ويتوقفون عند الإمام الحادي والعشرين من أئمتهم وهو الإمام الطيب ويقولون إنّه المهدي المنتظر، وإنّه غائب. أمّا الذي يطلقون عليه اسم (سلطان البهرة) فهو الداعي المطلق وفق تصنيفهم، وهو من قبيل المرجع الديني الأعلى والنائب عن الإمام الغائب، والمعاصر منهم اليوم هو الدكتور محمد برهان الدين ويبلغ من العمر ٩٦ سنة، ومقره في بومباي ـ الهند.

البهرة مسلمون:

الصلاة إلى قبلة المسلمين وصيام شهر رمضان وحج بيت الله الحرام من أهم المظاهر العبادية التي يمكن الرجوع إليها في الحكم بإسلام أية طائفة، وإذا أضفنا إلى ذلك التصريح بالشهادتين، فإن الأمر يكون أشد وضوحاً وأقوى حجة علينا لئلا نحكم على هذه الطائفة أو تلك بالخروج عن دائرة الإسلام.

والحق أنه بالرجوع إلى الممارسات العبادية لطائفة البهرة فإننا نجدهم ملتزمون بصلاتهم، محافظون على صيام

شهر رمضان، ويحجون إلى بيت الله الحرام كل عام مع سائر المسلمين، وهو ما يشهده الناس في كل عام، ولا يمكن إنكاره أبداً، علاوة على أنهم يتشهدون الشهادتين، ولذا فإن الحكم بإسلامهم أمر مفروغ منه ولا يصح التشكيك فيه، وفق ما جاء في الحديث النبوي (كفّوا عن أهل لا إله إلاّ الله، لا تكفّروهم بذنب، فمن أكفر أهل لا إله إلاّ الله فهو إلى الكفر أقرب)، وفي الحادثة المعروفة أنه لما خاطب ذو الخويصرة النبيَّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: اعدل، ثارت ثورة من كان في المجلس منهم خالد بن الوليد، قال: يارسول الله، ألا أضرب عنقه؟ فقال رسول الله: فلعله يكون يصلّي. فقال خالد: إنّه رُبَّ مصلّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه. فقال رسول الله: إنّي لم أؤمَر أن أنقِّب عن قلوب الناس ولا أشقَّ بطونهم... انظر صحيح مسلم وكتب أخرى.

- الصورتان الأولى والثالثة لسلطان البهرة في جمع من مريديه.
- الصورة الثانية للآغا خان الرابع

• الحكم بإسلامهم أمر مفروغ منه ولا يصح التشكيك فيه، وتبعاً لما جاء في الحديث النبوي

• قال رسول اللّه: إنّي لم أؤمَر أن أنقِّب عن قلوب الناس ولا أشقَّ بطونهم

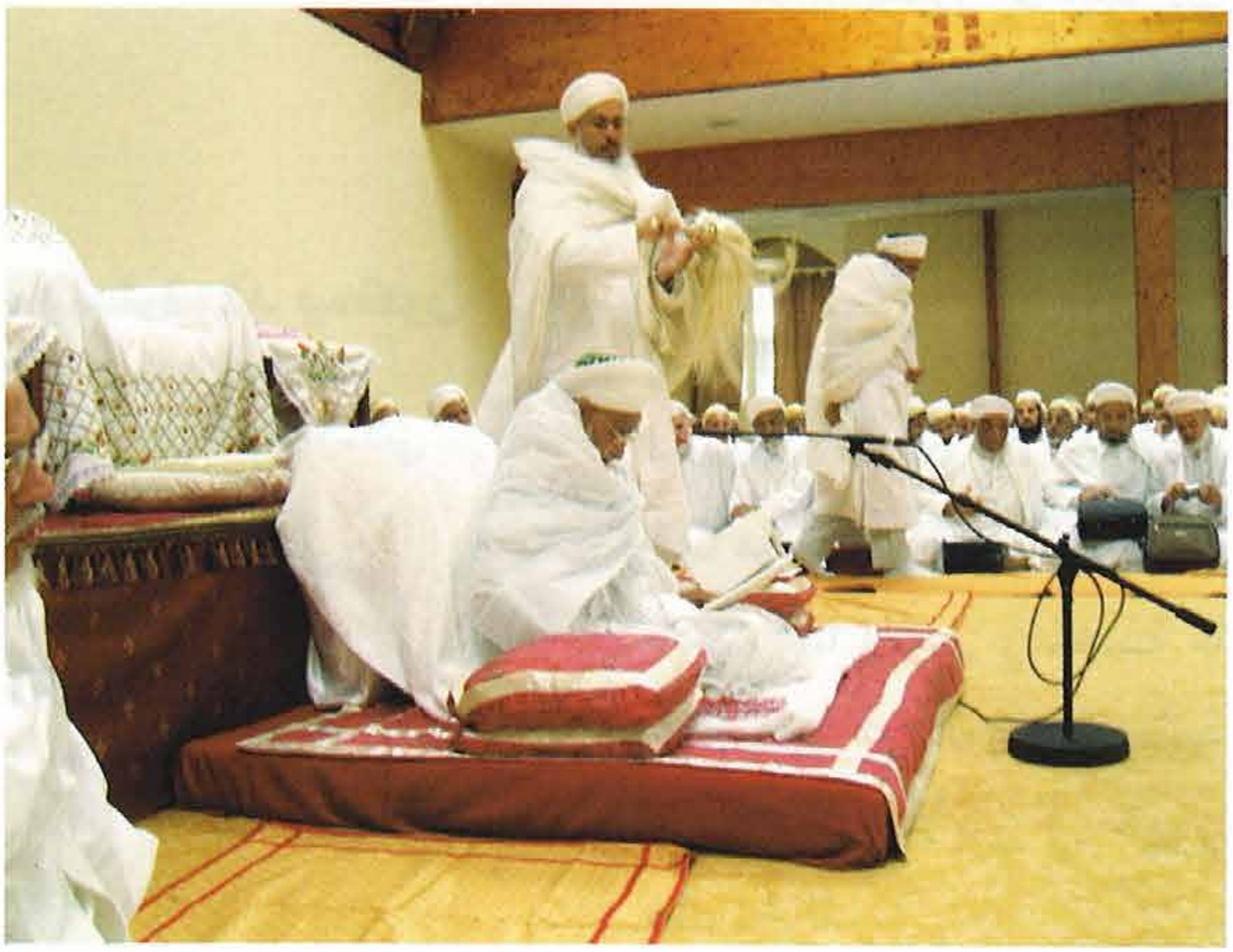

قفوهم.. إنهم متطرفون

١٦ شوال ١٤٢٨ هـ / ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٧

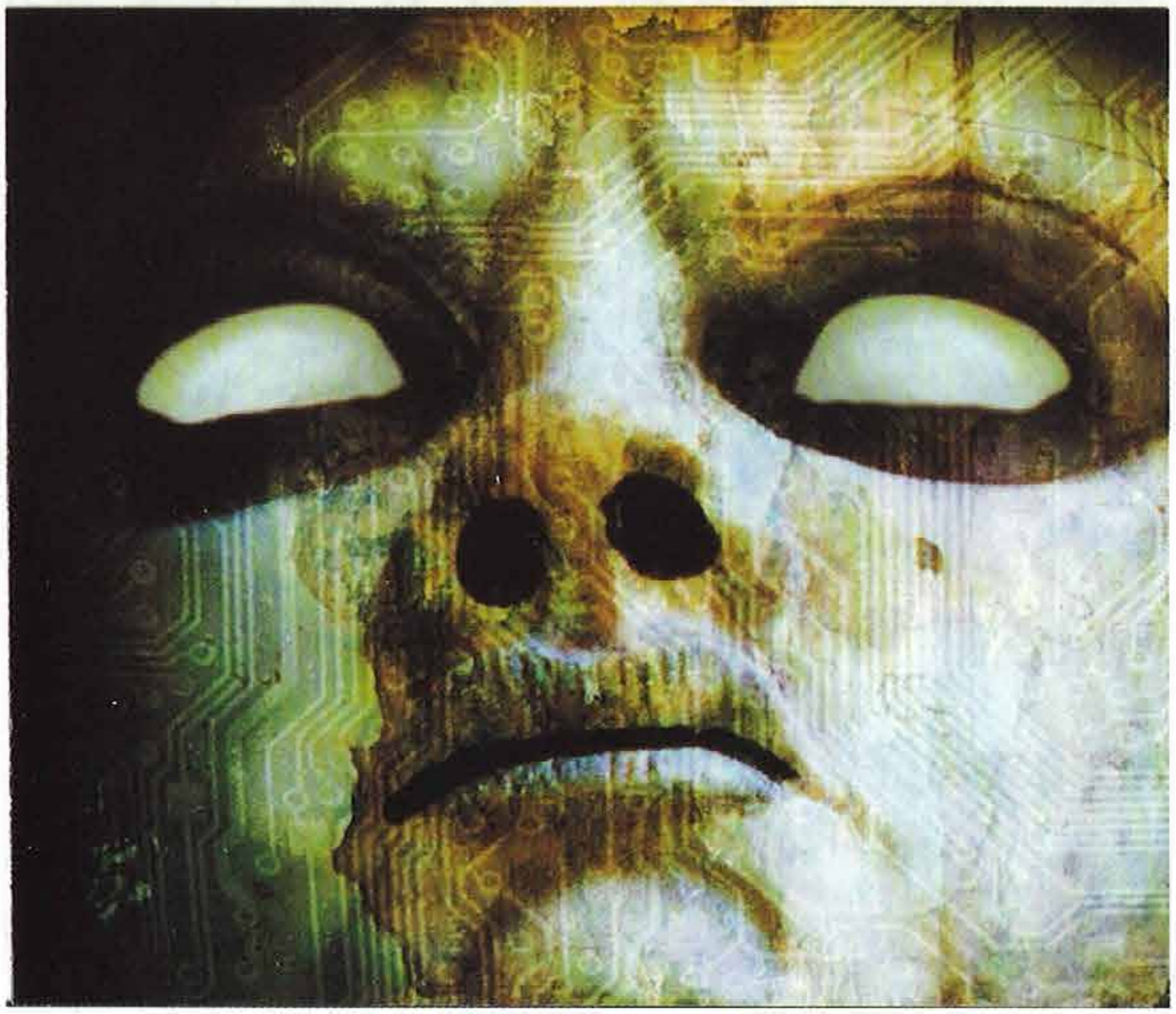

عندما يصل الإنسان إلى قناعة جديدة مختلفة تماماً عن متبناه السابق، فإنه يكون عُرضة في كثير من الأحيان إلى التطـــرف في تبنّي هذا الجديد، وكأنه يريد أن يكفّر عما مضى، أو يُـبرّر للآخرين سبب هذا التغير وصحـــة ما أقدم عليه، أي أن الشخصانية هي العامل الأبرز في ظهور هذه الحالة.

• التطرف قد يكون ناتجاً عن الرغبة في تكفير الفرد عن ماضيه الأسود

ومثل هذا التطرف يفرز ثلاثة أمور: كراهية الآخر.. الجمود الذهني.. التعصب. ومن يمتلك ثقافة قرآنية يدرك بوضوح أن هذه المفرزات لا تتلاءم مع الشخصـــية الإسلامية.

الكراهية:

فالكراهيـــة تعني إغلاق منافذ القلب، ولا يمكن أن تنفذ إلى قلوب الآخرين إن لم يستشعروا فيك ما تكنّه من حب حقيقي لهم.. حب يبتني على احترام إنسانية الآخر والرغبة في أن يشمله الخير. ومن المعلوم أن الشخصية الإسلامية يفترض فيها أن تكون شخصية جاذبة لكي تؤثر في الاتجاه الصحيح، وهذه الجاذبية ستكون مفقودة حتماً إن شعر الآخرون أنك لا تحمل شيئاً من الحب تجاههم،

• الكراهية تعني إغلاق منافذ القلب، ولا يمكن أن تنفذ إلى قلوب الآخرين إن لم يستشعروا فيك ما تكنّه لهم من حب حقيقي

• العقلانية سمة أساسية في الشخصية الإسلامية، والجمود الذهني يعني فقدان أحد أهم مقوّمات البناء الفكري، وتهديد المسار الحضاري للأمة

بل وربما تكن لهم الكراهية.

قال عز اسمه (وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر:٩).

وبمثل هذه الروحية استطاع المسلمون أن يحققوا التوأمة الروحية والعملية في مجتمع المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وإذا كان البعض من هؤلاء يحمل مشاعر الحب تجاه من يتفق معه فيما تطرّف له، فإن مثل هذه المشاعر يجب أن تنطلق إلى دوائر أرحب، لأن النجاح الحقيقي يتمثل في أن تكسب قلب من يختلف معك لتبدّل سلبياته إيجابيات، لا أن تدور في فلك من يتفق معك، لتبقى رهين أفكارٍ محدودة وعلاقاتٍ ذات طابعٍ واحد.

الجمود الذهني:

العقلانية سمة أساسية في الشخصية الإسلامية، والجمود الذهني يعني فقدان أحد أهم مقوّمات البناء الفكري، بل ويعني تهديد المسار الحضاري للأمة وتعريضها لخطر الانحراف، إذ يقف حاجزاً أمام الحيوية والإبداع، ويعمل على تحويل العادات والتقاليد إلى مقدسات، ويُبقي الأمة في حالة من الدوران في فلك الماضي.

وقد ابتلي بهذا المرض أتباع الأديان السماوية عندما وقفوا على الظواهر وحوّلوا الدين إلى طقوس شكلية لا مضمون ولا فاعلية لها، ما جعل الدين يتجمد في أطر ضيقة، ولا ينطلق في الساحات العلمية الرحبة، لأننا عندما نجعل الدين في مواجهة حركة العلم والحياة، فإن الخاسر الأكبر في هذا الميدان وفي هذا الصراع سيكون الدين نفسه، حيث أن سنن التاريخ برهنت على أن المنتمين للدين عندما

• المنهج القرآني يعمل على بناء شخصية قادرة على التلاقي مع الآخرين، ويتسع صدرها للحوار، وتستمع إلى أصوات المخالفين

• على العاملين في طريق التغيير أن يزرعوا في نفوس المتأثرين بهم روحَ التسامح والانفتاح وشرحَ الصدر

يكفّون عن التحرّك في أجواء العلم والعطاء، يتجمد الدين في نفوسهم، وينكفىء عن حركة الصراع والإبداع على مستوى العالم.

قال تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران:١٩٠-١٩١).

التعصب:

عندما تتحرك الشخصية في إطار الجمود الفكري والانفعال الذاتي وتقديس الماضي لماضويته، فإن التعصب يأتي لا محالة، لأنه قرين هذه السمات، أما المنهج القرآني فإنه يعمل على بناء شخصية قادرة على التلاقي مع الآخرين، يتسع صدرها للحوار، وتستمع إلى أصوات المخالفين، وتبحث عن نقاط الالتقاء، وهو منطلق الثناء على شخصية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران:١٥٩).

إن تغيير القناعات أمر مقبول - بل ولربما يصل إلى حد الوجوب - ما دام يبتني على أسس سليمة، ولكن الحذر من الوقوع في فخ التطرف أمر أكثر أهمية، وهو ما ينبغي الالتفات إليه من قبل العاملين في طريق التغيير، ليزرعوا في نفوس المتأثرين بهم روحَ التسامح والانفتاح وشرحَ الصدر.

الإمام الذي دان له العالم

٢٣ شوال ١٤٢٨ هـ / ٣ نوفمبر ٢٠٠٧



• المستشار عبدالحليم الجندي ألّف كتاباً في الإمام الصادق اعتذر في مقدمته عن تأخره في إعداد هذا المؤلَّف لأهميته

في أثناء بحثي عن موضوع أكتبه حول الإمام جعفر ابن محمد الصادق، وهو سادس أئمة أهل البيت عليهم السلام، اطلعت على كتاب بعنوان (الإمام جعفر الصادق) لمؤلفه المستشار عبدالحليم الجندي، ووجدت له على شبكة الإنترنت تعريفاً بأنه الرئيس السابق لإداراة قضايا الحكومة في مصر، ورئيس لجنة تجلية مبادئ الشريعة الإسلامية بالمجلس الأعلى للشئون الدينية، عضو مجمع البحوث الإسلامية بالإزهر، وعضو لجنة الشريعة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب.

والكتاب صادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر عام ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م، قال المؤلف في مقدمته مبينا اعتذاره للتأخر في تأليف هذا الكتاب: (كان من المنطق أن يظهر هذا الكتاب قبل - أو مع - كتابنا: أبي حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام، سنة ١٩٤٥م، أو كتاب مالك ابن أنس، فلقد تتلمذ أبو حنيفة ومالك للإمام الصادق، وتأثرا كثيراً به، سواء في الفقه أو في الطريقة. ومالك شيخ الشافعي، والشافعي يدلي إلى أبناء النبي صلى الله عليه

• المستشار الجندي:
الفقه الشيعي واحدٌ من
النهرين اللذين تُسقى
منهما حضارة أهل الإسلام،
وإليه لجأ الشارع المصري
في هذا القرن لإجراء
إصلاحات ذات بال في
نظم الأسرة المصرية

• استمر مجلس الإمام
أكثر من ثلث قرن دون أن
يمد عينيه إلى السلطة في
أيدي الملوك. وسلّم الأمة
مفاتح العلم النبوي، ومنه
يبدأ التأصيل الواضح
لمنهج علمي عام للفكر
الإسلامي

وسلم بأسباب من العلم والدم، وقد تتلمذ له أحمد بن حنبل سنوات عشرة. فهؤلاء أئمة أهل السنة الأربعة، تلاميذ مباشرون أو غير مباشرين للإمام الصادق).

الفقه الجعفري ووحدة الأمة:

وأردف المؤلف لبيان أهمية تحقيق الوحدة في الأمة وسبيل ذلك قائلاً: (تأكد في كتابنا: توحيد الأمة العربية، سنة ١٩٦٥، أن وحدة القاعدة القانونية هي الطريقة المثلى لربط المسلمين، في شتى أقطارهم، بتشريع إسلامي شامل، تضؤل دونه التشريعات المعاصرة في الغرب أو في الشرق. والفقه الشيعي واحدٌ من النهرين اللذين تُسقى منهما حضارة أهل الإسلام، وإليه لجأ الشارع المصري في هذا القرن لإجراء إصلاحات ذات بال في نظم الأسرة المصرية).

ثم أوضح مركزية مدرسة الإمام جعفر الصادق عليه السلام فيما وصل إلينا من فقه أهل البيت عليهم السلام حيث قال: (والإمام جعفر الصادق يقف شامخاً في قمة فقه أهل بيت النبي عليه الصلاة والسلام، هو في الفقه إمام، وحياته للمسلمين إمام، والمسلمون اليوم يلتمسون في كنوزهم الذاتية مصادر أصيلة للنهضة، مسلمة غير مخلطة ولا مستوردة. هو الإمام الوحيد من أهل البيت الذي أتيحت له إمامة دامت أكثر من ثلث قرن، تمحض فيها مجلسه للعلم، دون أن يمد عينيه إلى السلطة في أيدي الملوك. وبهذا التخصص سلّم الأمة مفاتح العلم النبوي، ومنه يبدأ التأصيل الواضح لمنهج علمي عام للفكر الإسلامي، نقلته أمم الغرب فبلغت به مبالغها الحالية، وعُمل به بين يديه، ثم أعلنه، تلميذه جابر ابن حيان أول كيمائي كما تُبايع له أوروبة الحديثة، وهو منهج التجربة والاستخلاص،

• الإمام الصادق هو فاتح العالم الفكري الجديد بالمنهج العقلاني والتجريبي، كأصحاب الكشوف الذين فتحوا أرض اللّه لعباده فدخلوها آمنين

• الإمام الصادق هو الإمام الوحيد في التاريخ الإسلامي، والعالِم الوحيد في التاريخ العالمي، الذي قامت على أسس مبادئه الدينية والفقهية والاجتماعية والاقتصادية دول عظمى

أي الاعتبار بالواقع وتحكيم العقل، مع النزاهة العلمية، فالإمام الصـــادق هو فاتح العالم الفكـــري الجديد، بالمنهج العقلاني والتجريبي، كأصحاب الكشوف الذين فتحـــوا أرض الله لعباده فدخلوها آمنين).

الإمام الصادق يؤسس فكرياً لدول عظمى:

وحول تأثير مدرسة الإمام الصـــادق على واقع الأمة الإسلامية في حاكميتها قال: (والإمام الصادق هو الإمام الوحيد في التاريخ الإسلامي، والعالم الوحيـــد في التاريخ العالميَ، الذي قامت على أسس مبادئه الدينية والفقهية والاجتماعية والاقتصادية دول عظمى، ومصر تذكـــر منها أكبر دولة عرفها التاريخ فيها من عهد الفراعنة ـ الدولة الفاطمية ـ التي امتد سلطانها من المحيـــط الأطلسي إلى برزخ السويس، ولولا هزيمة جيوشها أمام الأتراك لخفقت أعلامها على جبال الهملايا في وسط آسيا، والعالم كله مدين لها بمدينة القاهرة، والمسلمون يدينون لها بالجامع الأزهر، الذي حفظ القرآن والسنة واللغة العربية وعلومها كافة، ويدينون لتعاليم الإمام بقيام دولة كبيرة في إيران، ومجتمع عظيم بالعراق، ومعاهد علمية يتصدرها النجف الأشرف، وشعـــوب قويـــة في الهند وباكستان واليمن وأفغانستان ووسط آسيا ولبنان وسورية كثير سواها).

الإمام الصادق يرسي مبادئ الحياة العزيزة:

قال المستشـــار الجندي في ذلك: (وهو الإمام الذي علّم بالمواقف التي وقفها، قدر ما علم بالمبادئ التي أرساها، فالمواقف أعمال، وهي أعلى صوتا من الأقـــوال، ولقد يعدل الموقف الواحد جهاد عمر كامـــل، أو مهمة حياة رجـــل. وهو ـ بمكانه من أهل البيت وحقه في الخلافة

• المستقبليون والسياسيون بحاجة إلى أن يظهروا على حياة الإمام الصادق، ليروا مقدار ما تفلح الدعوة الصادقة بالمبادئ الصحيحة والخطط المنجحة، في إقامة دول ومجتمعات قوامها الدين والعلم والعدل والاقتصاد العصري

• شيخ الأزهر: إن كل إصلاح لا يقوم على أساس تقوية الروح الديني في الأمة لا بقاء له ولا خير فيه

وإمامته للفقهاء بلا استثناء ـ كان غرضاً يطلبه أعظم خلفاء بنى العباس ليضيفه إلى قوائم القتلى من صناديد القواد، أو الشهداء من أهل البيت. وكان درساً من السماء أن يسيطر الإمام على الميزان إذ يلتقيان، فيضعف الطالب عن المطلوب، ويرتفع الإمام الصادق بالخليفة القاتل إلى مستوى الحاكم العادل.

والمستقبليون الذين يتكلمون اليوم عن الأخذ بأسباب النهضة العلمية، كمثل السياسيين الذين لا يرون النهضة بالغة شأوها إلا أن تكون شاملة لأمور الدين والدنيا ـ هؤلاء وأولاء ـ بحاجة إلى أن يظهروا على حياة الإمام الصادق، ليروا مقدار ما تفلح الدعوة الصادقة بالمبادئ الصحيحة والخطط المنجحة، في إقامة دول ومجتمعات قوامها الدين والعلم والعدل والاقتصاد العصري، وكمثلهم دعاة الإصلاح الذين يمثلهم الشيخ عبدالمجيد سليم شيخ الأزهر في النصف الأول من هذا القرن عندما قال: [إن الأمم ليست بكثرة أفرادها وعديدها ولكن بروحها وإيمانها وخلقها، ولعمري إن سبيل ذلك لهو العلم]، وقال [إن كل إصلاح لا يقوم على أساس تقوية الروح الديني في الأمة لا بقاء له ولا خير فيه، وإذا قلت الروح الديني فإنما أريد الأخذ العملي بالشريعة عن إيمان وثقة، لا أن نكتفي بما ينص عليه الدستور من أن دين الدولة هو الإسلام، ثم نكون في أكثر أحوالنا وتشريعاتنا و أخلاقنا على خلاف ما يأمر به الإسلام وينهى عنه الإسلام]).

وأخيراً يشير المؤلف إلى معيار تحقق الفائدة من كتابه بقوله: (فالكتاب الحالي يبلغ غرضه إذا كان صوتاً يدعو إلى الوحدة، والمسلمون تجمعهم أصول فكرية واحدة، وإن اختلفت الفروع أو تعددت

• المسلمون تجمعهم أصول فكرية واحدة، ولا صلاح لهم اليوم في مواجهة التحدي العالمي إلا بالوحدة

• العالم الغربي بحاجة إلى مبادئ الإسلام، وعرض شريعته علمياً، كهيئةِ ما عرضها الإمام الصادق على الملاحدة، وكمثل ما علم تلاميذه ومعاصريه قواعد العلم والفقه والاقتصاد



الآراء، وفي تعدد الآراء ثراء. ولما عرض تلميذ لأحمد بن حنبل تسمية كتاب له: كتاب الاختلاف، قال له: سمّه كتاب السعة. ألا وإنه لا صلاح للمسلمين والعرب اليوم في مواجهة التحدي العالمي إلا بالوحدة، والعالم الغربي الذي تهز الأفكار المادية والإلحادية عقائده، ويزعزع الرعب النووي اطمئنانه، بحاجة إلى مبادئ الإسلام، وعرض شريعته علمياً، كهيئةِ ما عرضها الإمام الصادق على الملاحدة في عصره فكانوا يسلِمون، وكمثل ما علّم تلاميذه ومعاصريه قواعد العلم والفقه والاقتصاد التي تكفل للمسلمين النماء الفكري والاجتماعي والاقتصادي).

بتصوري أن المؤلف درس بعمق شخصية الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فتوصل إلى حقائق رائعة لا يحجبها عن العقول إلا التعصب الأعمى، وهو ما نجح في تجاوزه بامتياز وهو يكتب عن إمام يدين له العالم فكراً وعلماً وعملاً وخلُقاً.

- الصورة الأولى لمرقد الإمام جعفر الصادق في مقبرة البقيع الواقعة في المدينة المنورة
- الصورة الثانية للمرحوم الشيخ عبدالمجيد سليم

عندما غرقت التايتنك

٣٠ شوال ١٤٢٨ هـ / ١٠ نوفمبر ٢٠٠٧



ماذا يمكن للعلم أن يقول عن معتقداتنا؟ بهذا التساؤل بدأ الباحث مارك بلوندو (Marc Blondeau) وزملاؤه المقالَ المنشور في مجلة العلم والحياة (Science & Vie)، ومن ثم أخذوا يطرحون مضامين ونتائج بعض الدراسات الحديثة في مجال علم الأعصاب، والتي تؤكد وجود مركز خاص في دماغ الإنسان خاص بالإيمان بالمعتقدات، وهو ما كان ينفيه مجموعة من العلماء القائلين بخرافية الدين، وأن نزوع الإنسان للإيمان بالقوة المطلقة (الله) لا يعدو أن يكون أوهاماً ناتجة عن خوفه مما حوله ومحاولته للجوء إلى قوة تحميه مما يخاف، وأن منطلق تكوّن الأديان كان بهذه الصورة.

قال الباحثون: (لم تشهد الدراسات في العلوم التي تتناول الجهاز العصبي ـ بعامة ـ قيام باحث يؤيد فكرة وجود مركز مخي خاص بالإيمان، ولكن منذ بضع سنوات بدأ الاهتمام بدراسة مختلف أنواع المعتقدات ـ منها الدينية والخرافية والتطيّرية ـ من منظار علم الأعصاب، وهو بحث يهدف بصورة خاصة إلى كشف النقاب عن هذا الميل

• تؤكد الدراسات الحديثة وجود مركز خاص في دماغ الإنسان خاص بالإيمان بالمعتقدات

• أظهرت الدراسات أن العقل يُظهر قابلية خاصة لاستقبال المعتقدات والأفكار الدينية، وهو استعداد فكري مذهل يعود بمفهوم القداسة إلى بدايات البشرية

• طلب الباحثون ممن أجريت عليهم التجربة أن يتخيلوا كيف يمكن للتدخل الإلهي أن يخلّص جماعة من الناس تتعرض إلى كارثة التايتنك

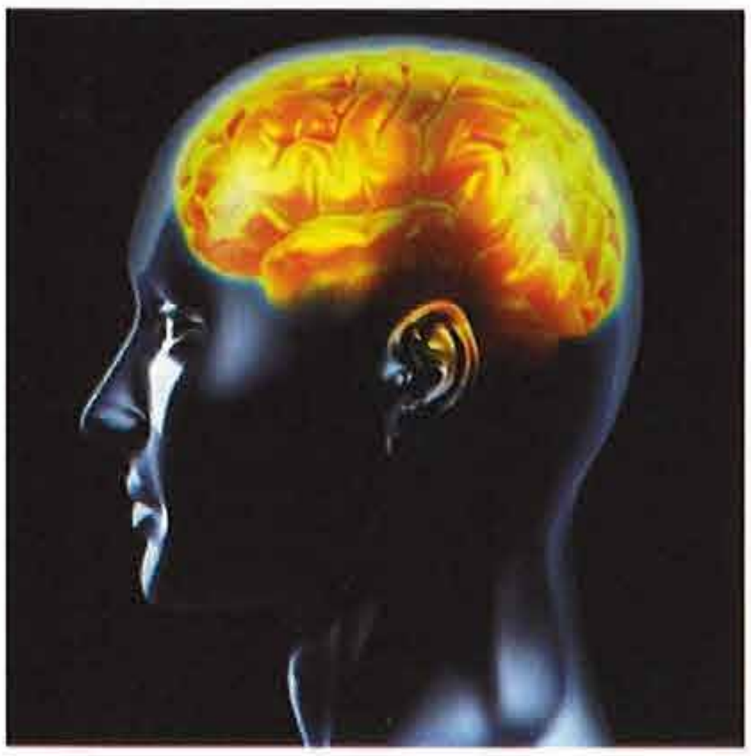

الواضح الذي يظهره الجنس البشري نحو كل ما هو خارج عن المألوف... وقد أظهرت الدراسات أن العقل يُظهر فيها قابلية خاصة لاستقبال المعتقدات والأفكار الدينية، وهو استعداد فكري مذهل يعود بمفهوم القداسة إلى بدايات البشرية)... فهل هذا المركز الدماغي هو ما تشير إليه النصوص الدينية من قبيل قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) الأعراف/١٧٢، وما يشير إليه علماء الدين من أن الإيمان بالله أمر فطري؟

تجربة باريت:

ومن التجارب الطريفة التي نشرت في المقالة تجربة الدكتور جاستين باريت (Justin Barrett) رئيس مركز علم الإنسان والعقل التابع لجامعة أكسفورد ومؤلف كتاب لماذا يؤمن أحدُنا بالله (Why would Anyone Believe in God)، حيث أجرى تجربة على عدد خاص من المسيحيين الذين طلب منهم أن يتخيلوا كيف يمكن للتدخل الإلهي أن يخلّص جماعة من الناس تتعرض إلى كارثة شبيهة بتلك التي حلّت بسفينة التايتنك (Titanic)، وقد خلصوا إلى تفضيل إحدى الحلول الثلاثة التي عُرضت عليهم، مستنتجاً أنها كانت الأقرب إلى الإيمان بالتدخل الإلهي دون اللجوء إلى تشويه قوانين الفيزياء وعلم الأحياء. وقد ذكّرتني هذه التجربة

• اعتبر الإمام الصادق أن ما يتعلق به القلب كقوة مطلقة قادرة على الإنجاء حيث لا منجى: هو الله

• قرر الباحثون أن في ترسانتنا الذهنية نظام "الحدس الأخلاقي" الذي يتصل جزء منه بمفاهيم الخير والشر التي لا غنى عنها في عملية التفاعل الاجتماعي

بموقف للإمام جعفر الصادق عليه السلام وقد سأله أحدهم: يا ابن رسول الله، دلّني على الله ما هو، فقد أكثر عليَّ المجادلون وحيّروني؟ فقال له: يا عبد الله؛ هل ركبت سفينةً قطّ؟

قال: نعم.

قال: فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك، ولا سباحة تغنيك؟

قال: نعم.

قال: فهل تعلّق قلبك هنالك أنَّ شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟

قال: نعم.

قال الإمام الصادق: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث.

قال سبحانه: (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا) (الإسراء:٦٧).

كما خلُصت الدراسة إلى أن (في ترسانتنا الذهنية لدينا أيضاً نظام "الحدس الأخلاقي" الذي يتصل جزء منه بمفاهيم الخير والشر التي لا غنى عنها في عملية التفاعل الاجتماعي، وهكذا فإن ازدهار المفاهيم الدينية التي نحتفظ بها يعود في صورة خاصة إلى أنها أجهزة الاستدلال الأهم لدينا).

لقد قرّر علماؤنا في بحوثهم: أن لا تعارض حقيقي بين العلم والوحي مطلقاً، وإذا لوحظ نوع من ذلك أحياناً فإنه ناشئ من أحد أمرين: إما أن يكون استنباطنا من الدين في هذا الموضع استنباطاً خاطئاً، وإما أن العلم لم يصل في هذا الموضوع إلى المرحلة القطعية.

---

* (Science & Vie) مجلة علمية شهرية تصدر بفرنسا منذ عام ١٩١٣

علم الأئمة

٧ ذوالقعدة ١٤٢٨ هـ / ١٧ نوفمبر ٢٠٠٧



• كان تأثير الإمام الرضا في الحياة الإسلاميّة كلّها والواقع الإسلاميّ كلّه، حيث يرد الناس إليه ليتعلّموا منه، وكان يواجه كلّ القضايا الفكرية والدينية

وُلد ثامن أئمة أهل البيت الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عام ١٤٨ هـ، وامتدَّت حياته المباركة إلى سنة ٢٠٣ هـ، فكان تأثيره في الحياة الإسلاميّة كلِّها والواقع الإسلاميّ كلّه، حيث يرد الناس إليه ليتعلّموا منه، وكان يواجه كلَّ القضايا الفكرية والدينية التي تتفاعل في عهده.. فتلك هي المهمة الأولى لأهل البيت عليهم السلام، بأن يرصدوا الواقع الثقافي والفكري ليصحّحوا الكثير مما أخطأ فيه الناس أو انحرفوا من خلاله عن جادة الدين أو عرضت لهم فيه الشبهات، وليرصدوا الواقع الاجتماعي ليصحّحوا مسار الطريق عندما ينحرف الناس عن الطريق المستقيم.

إحاطته بعلوم الدين:

وهذا الدور يستدعي إحاطة الإمام بعلوم الدين إحاطة تامة، وهي من أهم مقومات الإمامة، وبتعبير الخليل بن أحمد الفراهيدي وقد سُئِل: (لِمَ قدّمت علياً على الآخرين؟ فقال: احتياج الكل إليه واستغناؤه عن الكل دليل أنه إمام الكل).

وعلى هذا، كان الإمام الرضا عليه السلام يجلس إلى النصارى واليهود والصابئة

• كان محاورو الإمام الرضا لا يملكون جواباً أمامه، بل يسكتون سكوت الإنسان الذي لا يجد لديه حجّة في الردِّ عليه

• اتفق المسلمون من أتباع مدرسة أهل البيت على أن علم الغيب من صفات اللّه الذاتية

• لا يجوز إطلاق القول على الأئمة بأنهم يعلمون الغيب، أو أن علمهم بالأشياء علم إحاطة وحضور

والملاحدة ليحاورهم وليدخل معهم في حديث الإسلام، مناقشاً أديانهم وأفكارهم، وكانوا ـ حسب شهادة الناس الذين عاصروا تلك الحوارات ـ لا يملكون جواباً أمامه، بل يسكتون سكوت الإنسان الذي لا يجد لديه حجّة في الردِّ عليه.

وقد روى الحاكم أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن الفضل بن العباس عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهرويّ قال: (ما رأيت أعلم من عليّ ابن موسى الرضا، ولا رآه عالمٌ إلاَّ شهد له بمثل شهادتي، ولقد جمع المأمون في مجالس له ذوات عدد علماء الأديان وفقهاء الشريعة والمتكلمين، فغلبهم عن آخرهم، حتى ما بقي أحدٌ منهم إلا أقرَّ له بالفضل وأقرَّ على نفسه بالقصور.. ولقد سمعت عليَّ بن موسى الرضا عليه السلام يقول: كنت أجلس في الروضة ـ أي الروضة النبوية الشريفة بجوار مرقده الطاهر ـ والعلماء بالمدينة متوافرون، فإذا أعيا الواحد منهم عن مسألةٍ أشاروا إليَّ بأجمعهم وبعثوا إليَّ بالمسائل فأجيب عنها).

مصدر علم الإمام ومداه:

اتفق المسلمون من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام على أن علم الغيب من صفات الله الذاتية، وهي صفة مختصة به سبحانه، ولذا لا يجوز إطلاق القول على الأئمة عليهم السلام بأنهم يعلمون الغيب، أو أن علمهم بالأشياء علم لدنّي أو علم إحاطة وحضور، بل علمهم علم إخبار وحصول، قال الله سبحانه وتعالى في حق نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: (وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) (الأعراف:١٨٨)، وسئل الإمام الرضا عليه السلام: (إنهم يزعمون أنك تعلم الغيب.

• نفى الإمام الرضا أن يكون يعلم الغيب وقال: والله، ما هي إلا رواية عن رسول الله

• قال المفيد: إطلاق القول عليهم بأنهم يعلمون الغيب فهو منكَر بَيِّن الفساد، لأن الوصف بذلك إنما يستحقه الله

فقال: سبحان الله! ضع يدك على رأسي، فوالله ما بقيت في جسدي شعرة ولا في رأسي إلا قامت! قال: ثم قال: لا والله، ما هي إلا رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم). رجال الكشي ص٣٥٢ .

وهذا ما أكده الشيخ المفيد رحمه الله حيث قال: (فأما إطلاق القول عليهم بأنهم يعلمون الغيب فهو منكَر بَيِّن الفساد، لأن الوصف بذلك إنما يستحقه مَن علِم الأشياء بنفسه لا بعلم مستفاد، وهذا لا يكون إلا لله عزوجل) كتاب أوائل المقالات ص٧٥.

وقال رحمه الله: (وليس من شرط الأنبياء عليهم السلام أن يحيطوا بكل علم، ولا أن يقفوا على باطن كل ظاهر، وقد كان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أفضل النبيين وأعلم المرسلين، ولم يكن محيطاً بعلم النجوم ولا متعرضاً لذلك، ولا يأتي منه قول الشعر ولا ينبغي له، وكان أمياً بنص التنزيل، ولم يتعاطَ معرفة الصنائعِ، ولما أراد المدينة استأجر دليلاً على سنن الطريق، وكان يسأل عن الأخبار ويخفى عليه منها ما لم يأتِ به إليه صادق من الناس) المسائل العكبرية ص٣٤.

كما أن علم النبي والأئمة في الأساس يرتبط بما فيه هداية للناس، وهو ما أكده ابن شهراشوب حيث قال: (النبي والإمام يجب أن يعلما علوم الدين والشريعة، ولا يجب أن يعلما الغيب وما كان وما يكون، لأن ذلك يؤدي إلى أنهما مشاركان للقديم تعالى في جميع معلوماته، ومعلوماته لا تتناهى.. ويجوز أن يعلما الغائبات والكاينات الماضيات والمستقبلات بإعلام الله تعالى لهما شيئاً منها) متشابه القرآن ومختلفه ج١ ص١١، وابن شهراشوب هو رشيد الدين محمّد بن علي المازندراني المعروف بابن شهراشوب وكان من الفقهاء،



• عِـلْـمُ النبي بأحداث من المستقبل بتعليمٍ من اللّه أمرٌ قال به كل المسلمين، وابن كثير عقد في تاريخه باباً لذلك

• ورث أهل البيت هذا العلم بأصنافه عن رسول اللّه عن الإمام علي

• أكّد الأئمة على أنهم لا يعلمون تفاصيل بعض الأمور التي لا علاقة لها بأمور الدين والشريعة

وله مصنّفات عديدة منها: معالم العلماء، وكتاب أنساب آل أبي طالب، وكتاب مناقب آل أبي طالب.

ابن كثير يتحدث عن علم النبي بالأمور المستقبلية:

وعِـلْـمُ النبي بأحداث من المستقبل بتعليم من الله تعالى أمرٌ قال به كلّ المسلمين، وقد عقد ابن كثير الدمشقي في تاريخه ـ الجزء السادس ـ باباً لإخبارات النبي المستقبلية (باب ما أخبر به (ص) من الكائنات المستقبلة في حياته وبعده: وهذا باب عظيم لا يمكن استقصاء جميع ما فيه لكثرتها، ولكن نحن نشير إلى طرف منها).

والأئمة ورثوا هذا العلم بأصنافه عن رسول الله عن علي عليهم السلام، ففي الخبر عن جابر الجعفي: قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: (يا جابر، واللّه لو كنّا نحدّث الناس أو حدّثناهم برأينا لكُنّا من الهالكين، ولكنّا نحدّثهم بآثارٍ عندنا من رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يتوارثها كابرٌ عن كابرٍ، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضّتهم).

• ورث أهل البيت هذا العلم بأصنافه عن رسول الله عن الإمام علي

• نفى الإمام الصادق أن يكون عنده علم قطر المطر وعدد النجوم وورق الشجر وقال: سبحان الله سبحان الله ! لا والله ما يعلم هذا إلا الله

• قال الباقر: يُبسَط لنا العلم فنعلم، ويُقبَض عنا فلا نعلم

بصائر الدرجات ص ٢٩٩، ومؤلف الكتاب هو محمد بن الحسن الصفار من أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وله عدة مؤلفات.

وقد أكّد الأئمة عليهم السلام على أنهم لا يعلمون تفاصيل بعض الأمور التي لا علاقة لها بأمور الدين والشريعة، ومن ذلك ما رواه أبوبصير قال: (قلت لأبي عبدالله عليه السلام ـ أي الإمام الصادق ـ: إنهم يقولون.

قال: وما يقولون؟

قلت: يقولون تعلم قطر المطر وعدد النجوم وورق الشجر ووزن ما في البحر وعدد التراب!

فرفع يده إلى السماء وقال: سبحان الله سبحان الله ! لا والله ما يعلم هذا إلا الله).

المجلسي: بحار الأنوار ج٢٥ ص٢٩٤.

وخلاصة القول أن الأئمة عليهم السلام كانوا أعلم الناس في زمانهم بما يرتبط بأمور الدين والشريعة، وهو مناط أساسي في ثبوت الإمامة لهم، وقد توارثوا هذا العلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما كانت لهم علوم أخرى كتلك التي نقلها جابر بن حيان عن الإمام جعفر الصادق في علم الكيمياء، إلا أنهم لم يحيطوا بعلم كل شئ، ولم يدّعوا ذلك لأنفسهم، بل كما قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: (يُبسَط لنا العلم فنعلم، ويُقبَض عنا فلا نعلم).

الكليني: الكافي ج١ ص١٤٧.

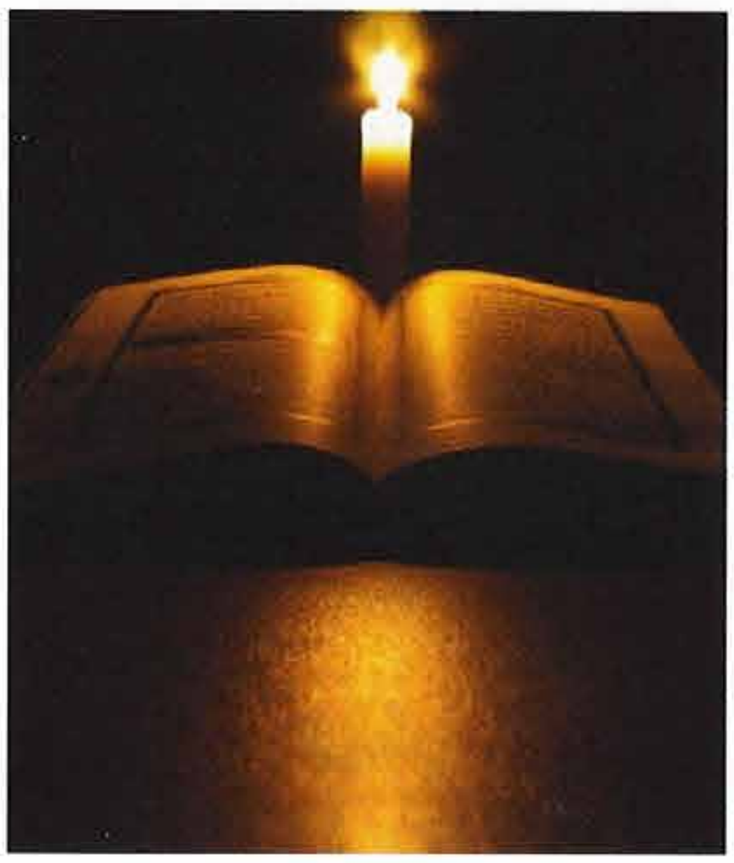

في مسجد الشجرة

١٤ ذوالقعدة ١٤٢٨ هـ / ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٧



دقائق معدودة في هذا المسجد تعدل الدهر كله... أفواجٌ من الناس يؤمّون هذا المكان الذي لم يعرف السكـــون منذ أن وطأت قدما رسول الله أرضه.. تماماً عند الشجرة.. حيث صلى الظهر ركعتين.. ثم يمّـم وجهه المبارك إلى الله سبحانه: أحْـرَم لك شعري وبشَري ولحمي ودمي وعظامي ومخّي وعصبي من النسـاء والثياب والطِّيب، ابتغي بذلك وجهـــك والدار الأخرة..

يا لســـرّ هذا المكان.. في ذاكرته.. في هيبته.. في خشوعه.. وفي بساطة من يؤمُّـه.. بساطة فيما يرتدون.. فلا يمكن لأحد أن ينطلق من هناك ليحج أو يعتمر إلا إذا تخلّى عن ثيابه.. وكأنـــه يتخلـــى عن كل ما يربطه بالدنايا.. وبالفروقات الزائفة.. والحواجز المصطنعة.. ليعيش مســـاواة الإنسانيـة.. وقيمة الأخـــوة الإيمانيـــة.. وطهـــارة الـــروح.. وصفاء القلب.. وإخـــلاص العمل.. ونقاء الســـريرة.. تماماً كردائه الأبيـــض.. فلا ألـــوان.. ولا زخارف.. ولا زخـرف.. فكلهم لآدم.. وآدم من تراب..ترابيون كأبي تراب..

لا تفتأ تذكر مسجد النبي عند هذه الشجرة حتى تذكر

• يا لســـرّ هذا المكان.. في ذاكرته.. في هيبته.. في خشوعه.. وفي بساطة من يؤمُّـه

• لاتفتأ تذكر مسجد النبي عند هذه الشجرة حتى تذكر (أبيـــار علي).. عليّ الذي تعلّق قلبه بمواطئ قدمي حبيبه رسول اللّه

(أبيـــار علي).. عليّ الذي تعلّق قلبه بمواطـــئ قدمي حبيبه رســـول الله.. وراحٍ سليل عبدالمطلب يحفر آباراً.. كبئر زمزم.. فأنبع الله له الملء.. وشـــرب وارتوى منه الحجيج والفقراء.. وامتزجت ترابيـــة عليّ بعطائه الذي لا ينضب.. كآباره الفيّاضة طهارةً ونقاءً.. المتجرّدة عن كل دغل**.. يا لسرّ هذا المكان في رحابة آفاقه.. في شموخه.. وفي تجرُّد مَن يَؤمُّـه..

تجرُّدٌ عـــن (الأنا) التي تسري في مســـارب الروح كالســـم الزعـــاف.. وتجيش في كل موقف.. وكل كلمة.. وكل رأي وفكـــرة.. (أنا) استعبدتنا.. فأنْستـــنا حقيقة الوجـــود وماوراء الخلـق.. (وما خلقتُ الجـــن والإنس إلا ليعبدون).. مَن المخاطِب ومَن المخاطَب؟ كيف ضاعت الحقيقة في مخاض الحياة؟ ومن ألبسها جميل الثياب.. وزوّقها الأباطيل.. وقمّصها الأوهام؟

(أنا) ظلمَت نفسها قبل أن تظلم الآخرين.. فعُجنت بالنفاق والغش والكبرياء الزائفة.. وتعذّبت في متاهات الحسد ومهاوي الحقد الدفين.. وصارت تبحث عن خلاصها في المال والشهرة والجاه.. فلم تجد ـ مهما ذاقت من حلاوة دنياها ـ سوى الدنـيّة والألم..

• يبدأ الخلاص حين تطأ قدماك هذا المكان.. حيث تتجرّد عن كل معصية.. وتغتسل من أدران (الأنا).. وترتدي الطُّهر في بساطة الثياب

ويبدأ الخلاص حين تطأ قدماك هذا المكان.. حيث تتجرّد عن كل معصية.. وتغتسل من أدران (الأنا).. وترتدي الطُّهر في بساطة الثيـــاب.. لتذوب فيمن حولك.. فلا (أنا) تمتاز بها عن الآخـــرين.. ولا (أنا) تُـلقي بك في مهاوي المعصية.. بل تعيش في هذا المكان دقائق تعدل الدهر كله.. إيماناً وطاعةً وصفاءً وطُهراً.

---

* مسجد الشجرة: ميقات من يريد مكة المكرمة عن طريق المدينة المنورة

** دغل: فساد

معرض الكتاب بين حرية الرأي وكتب الضلال

٢١ ذوالقعدة ١٤٢٨ هـ / ١ ديسمبر ٢٠٠٧

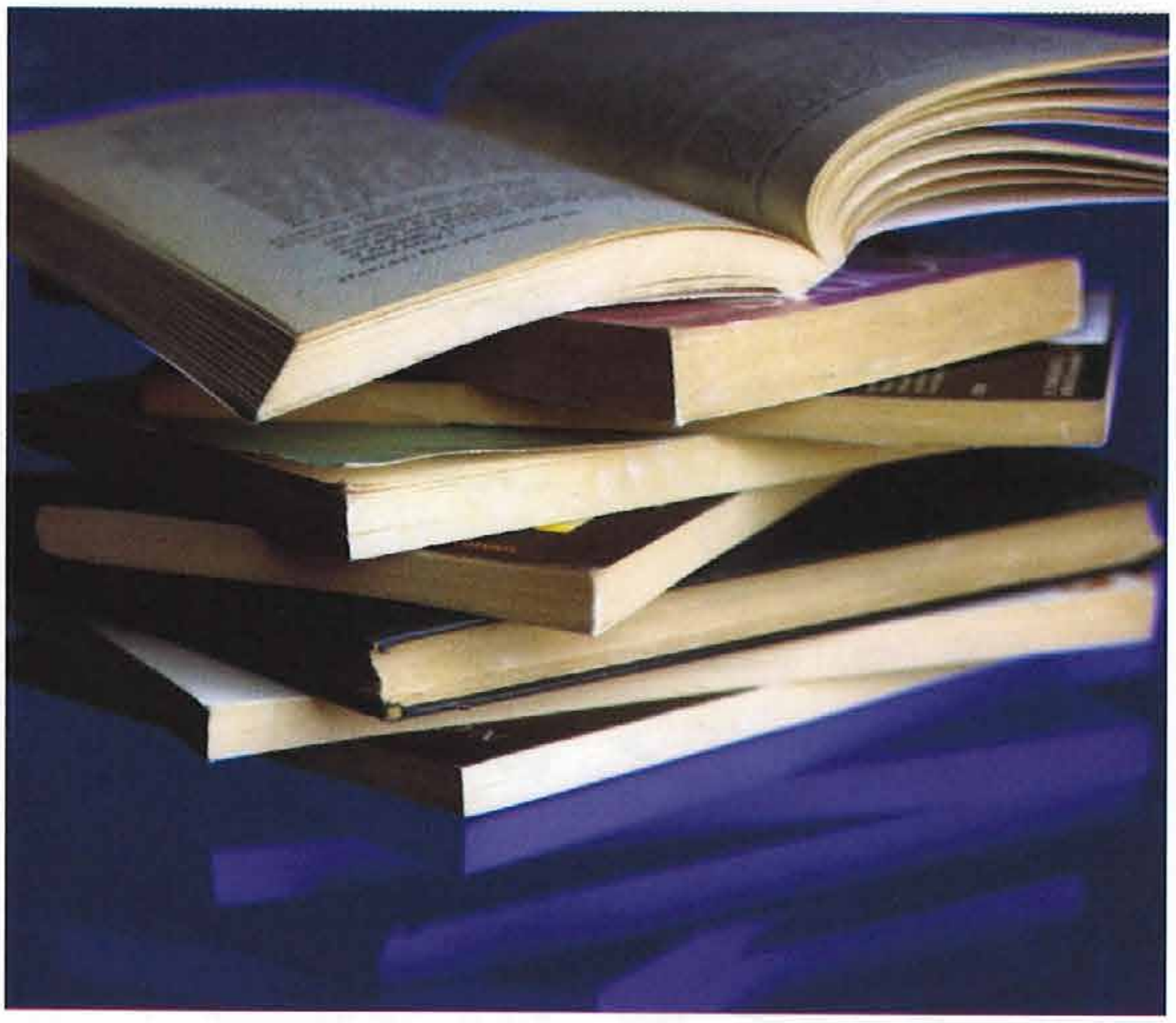

يعد معرض الكتاب الذي يقام في كل عام معلَماً حضارياً تفخر به الكويت، ومن الملاحظ أن مسألة حرية التعبير من خلال السماح بكتب تُثار حولها الشبهات، أو ذات مضمون مخالف للفكر الإسلامي هي قضية فاعلة في السنوات الأخيرة، بل شهدنا اعتصاماً لبعض المهتمين بهذا الموضوع خلال فترة المعرض،

• تفخر الكويت بإقامة معرض للكتاب في كل عام، ومؤخراً باتت قضية حرية التعبير تثار معها

كما أن من الإسلاميين من يصر على رأيه بالمنع بذرائع مختلفة، بعضها ذات طابع طائفي، ويتجلى ذلك في منع نهج البلاغة ذلك السِّفر العظيم الذي أقرّ البعيد قبل القريب بقيمته الفكرية والروحية والتاريخية، وإذا به ينضم إلى قائمة الكتب الممنوعة! والقائمة تطول.

ولست هنا في معرض الحديث عن الكتب ذات اللغة الهابطة أو المليئة بالاستهزاء والتحقير والسباب، أو الكتب التي تثير الغرائز الجنسية بالكلمة أو الصورة، بل إنني أعني الكتب الممنوعة باللحاظ الطائفي، علاوة على الكتب ذات المضمون الفكري والثقافي التي تختلف في ما تقدّمه مع النتاج الفقهي والفكري والثقافي لعلماء

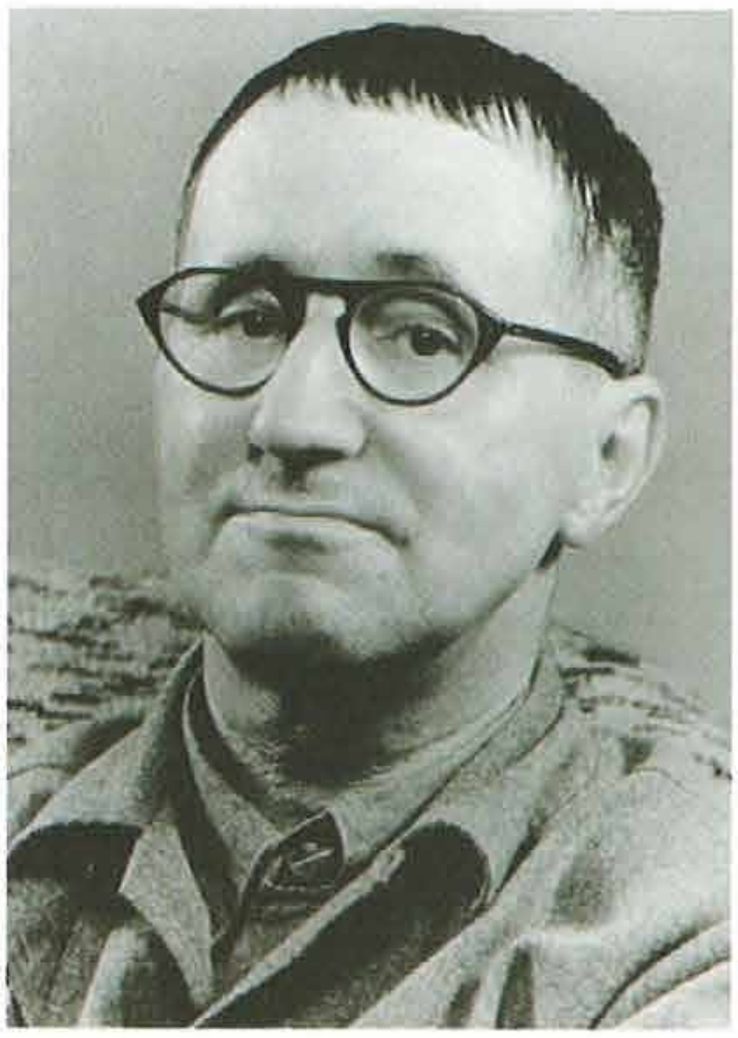

معترضاً: احرقوني احرقوني.. والريش يتطاير من قلمه.. اعدلوا لا تظلموني.. ويكاد يبكي من ألمه.. ألم أقل في شعري.. الحقيقة دون نفاق؟ لماذا أعامَل مثل غيري.. شاعرُ كذب وارتزاق؟ أعيدوا لي حقي وأحرقوني.. إني آمركم أن تحرقوني!!

كتب الضلال:

ينطلق البعض في اتخاذ الموقف المعارض من خلال العنوان الفقهي (حرمة حفظ كتب الضلال)، ولعل أشهر فتوى فقهية في هذا الإطار ما ورد في كتاب المكاسب المحرمة

• ما نشهده اليوم من منع للكتاب (الآخر) ليس بدعاً في التاريخ، إذ شهدت الإنسانية حالات مشابهة

• كتب الشاعر بريخت: احرقوني احرقوني.. والريش يتطاير من قلمه.. اعدلوا لا تظلموني.. أعيدوا لي حقي وأحرقوني.. إني آمركم أن تحرقوني!!

الإسلام ومفكريه، أو لربما تكون ذات أطروحات جديدة أو حتى غريبة.

صور من التاريخ:

لابد أولاً من التأكيد على أن ما نشهده اليوم من منع للكتاب (الآخر) ليس بدعاً في التاريخ، إذ شهدت الإنسانية حالات مشابهة، فقد أُحرقت مكتبة الإسكندرية عمداً على يد أحد قياصرة الروم، وأحرق السلاجقة بعض مكتبات بغداد حين أسقطوا الدولة البويهية، وأحرق الكاردينال (خمنيس) مجموعة مكتبات تحتوي على مائة ألف مجلد من التراث الإسلامي في ميدان غرناطة بالأندلس، وهكذا فعل المغول مع المكتبات الإسلامية. ومن طريف ما قرأت في هذا المجال أنه صدر أمر بإحراق الكتب الثقافية (الضارة) في ألمانيا، فاكتشف الشاعر (بريخت) أن أسماء المؤلفين الذي ستُحرق كتبهم خالية من اسمه، فكتب



للعلامـــة الشيـــخ مرتضى الأنصاري رحمه الله (ت ١٢٨١ هـ) حيث قال في ضمن بحثه: [حفظ كتب الضلال حرام في الجملة بلا خلاف... ثم الحفظ يراد به الأعم من الحفظ بظهر القلب والنسخ والمذاكرة وجميع ما له دخل في بقاء المطالب المضلة] ثم بيّن نتيجة البحث بقوله: [وقد تحصّل من ذلك: أن حفظ كتب الضلال لا يحرم إلا من حيث ترتب مفسدة الضلالة قطعاً أو احتمالاً قريباً، فإن لم يكن كذلك، أو كانت المفسدة المحقَّقة معارَضة بمصلحة أقوى، أو عارضت المفسدة المتوقعة مصلحة أقوى أو أقرب وقوعاً منها، فلا دليل على الحرمة، إلا أن يثبت إجماع أو يُلتزَم بإطلاق عنوان معقد نفي الخلاف الذي لا يقصر عن نقل الإجماع].

ومن كلامه نستنتج أن:

١ـ الحرمة مبتنية على ترتب المفسدة القطعية أو شبه القطعية، لا أنها حرمة مطلقة.

٢ـ لابد من دراسة الواقع من أجل أن تتضح حسابات المصالح والمفاسد في المنع أو السماح، وعلى أساس ذلك يتخذ القرار المناسب مع الظروف الموضوعية.

ألم تختلف الظروف؟

ثم لو افترضنا أن الفتوى كانت مطلقة بحرمة الحفظ، أليس من الجديـــر بالباحث أن يتســـاءل عن مدى انطباق الظروف التي صـــدرت فيها الفتوى قبل ١٥٠ عاماً، مع ما نعيشه اليوم من ظروف مغايرة لتلك من نواحٍ عديدة

• العلامة الأنصاري: حفظ كتب الضلال لا يحرم إلا من حيث ترتب مفسدة الضلالة قطعا أو احتمالاً قريباً

• لابد من دراسة الواقع من أجل أن تتضح حسابات المصالح والمفاسد في المنع أو السماح

• د. نوال السعداوي قالت وهي ترفع قرص (CD) يحتوي على كتاب لها، وهي فرحة: الآن لا أحد يستطيع أن يحرق كتبي

• ألّف الفقيه الكبير النائيني كتابَه (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) فأثيرت الجماهير ضده، ووطئ كتابه بالأقدام وجُمعت نسخه فأحرقت

ترتبط بنشر الكتب؟ لا بل ألم تتغير ظروف اليوم والعناوين الثانوية التي يمكن أن تؤثر في تطبيق الفتوى عما كانت عليه قبل ٣٠ عاما، حيث لم تتوفر أجهزة الفاكس الشخصية ولا الهاتف المحمول المزود بوسائل نقل المعلومات، ولا الحاسوب الشخصي ولا الإنترنت ولا الكتاب الإلكتروني ولا الفضائيات... والقائمة طويلة.

ولعل أقصر عبارة تدل على ذلك ما قالته الدكتورة نوال السعداوي وهي ترفع قرص (CD) يحتوي على كتابٍ لها، وهي فرحة: [الآن لا أحدٌ يستطيع أن يحرق كتبي].

تهييج الشارع العام لمصلحة من؟

ما مدى إيجابية تهييج الرأي العام الذي لا يمتلك دراية كافية لتقييم القضايا الفكرية والاختلافات الفقهية والاجتهادات المتنوعة، كما لا يدرك أبعاد المواقف المتخذة وردود الأفعال المترتبة عليها؟

في العقود الأولى من القرن العشرين نشب خلاف في إيران بين مؤيد لتأسيس دولة دستورية وبين مخالف لذلك، وانقسم الفقهاء حول هذا الموضوع، ولما ألّف الفقيه الكبير الميرزا محمد حسين النائيني (أستاذ السيد أبوالقاسم الخوئي) رحمهما الله تعالى كتابَه (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) في تأييد متبنيات الفريق الأول، أثيرت الجماهير ضده، فوطئ كتابه بالأقدام وجُمعت نسخه فأحرقت! وأما اليوم فإن هذا الكتاب يعد دراسة فقهية سياسية رائعة ومعاصرة، صدرت في وقت مبكر من



• لدينا شواهد عديدة على أن لمنع الكتاب (الآخر) نتائج معكوسة تماماً لما يريده القائمون على المنع

• كانت كتب الشهيد الصدر والشهيد المطهري والسيد موسى الصدر ـ قد تعرضت حال حياتهم للتسفيه والحظر والتحريم ثم تبيّن لاحقاً مدى الخطأ في تلك الأحكام

المخاض السياسي الحديث في العالم الإسلامي.

ويمكننا أن نقدم شواهد عديدة على أن لمنع الكتاب (الآخر) نتائج معكوسة تماماً لما يريده القائمون على المنع، فكتُب نصر حامد أبوزيد وصادق جلال العظم وعبدالكريم سروش ونوال السعداوي ومحمد أركون وغيرهم قد طبعت مراراً وتكراراً لعظم الإقبال عليها بعد أن صدرت بحق مؤلفيها أحكام الإعدام أو تهم الكفر أو الارتداد وما شابه، واعتبرت كتب ضلال، بينما كان بعضها يشكو من ندرة الإقبال حتى كانت في طريقها إلى النسيان. ولعل أنسب ما قيل في المقام: إن التحريم يجعل المؤلِّف شهيداً، والناس يحبون الشهداء!!

الاستعجال في إصدار أحكام الإعدام: فقد كانت كتب المفكرين الإسلاميين الشهيد السيد محمد باقر الصدر والشهيد الشيخ مرتضى المطهري والسيد المغيَّب موسى الصدر ـ بل وأشخاصهم ـ قد تعرضت حال حياتهم للتسفيه والحظر والتحريم، وتسرّع كثيرون في إصدار الأحكام العنيفة ضدها، ولم تُمهَل بعض الوقت لتُقرأ وتُناقَش، ولم يُفسَح المجال لأصحابها بعرض كل ما لديهم من حُجج وقناعات قد تبرِّر ما كتبوا، ولم تنعقد المحافل العلمية والمؤتمرات لدراسة ما هو جديد في ساحة الفكر الإسلامي، بل جاءت الأحكام القاسية في محاولة لفرض سياج يحمي الناس من الأفكار التي اعتُبرت هدَّامة، ثم تبيّن بمرور الزمان مدى الخطأ في تلك الأحكام المتسرعة، وأضحت نفس الكتب تعد من أمهات المصادر والإبداعات الفكرية التي سبقت أوانها، وأضحى أصحابها من أبرز أعلام ومفكّري الأمة الإسلامية في الزمن المعاصر.

• من الذي يحدد أن المضمون مخالف للفكر أو التشريع الإسلامي كي يكون من كتب الضلال؟

ما معايير تحديد كتب الضلال؟ فقد اعتبر العلامة مرتضى الأنصاري أن كتب الضلال هي التي تضل الناس، لا مجرد احتوائها على الضلال، وهذا يعني أن كتاباً كالتوراة المحرفة لو وُزِّع بين المسلمين فلن يكون ذلك محرماً، لأنه لن يضل المسلمين، بل لربما يكشف لهم عظمة الإسلام حين نقارن النص التوراتي المحرَّف بنص القرآن العظيم. وهذا يستدعي دراسة التأثير السلبي لأي كتاب كي يعتبر من كتب الضلال، بشرط أن نصل إلى حد اليقين أو الاطمئنان في ترتب ذلك الأثر السلبي.

• عالج الإمام الحسن العسكري مشكلة تأليف الكندي لكتاب تهافت القرآن بكل حكمة، فأحرق المؤلف كتابه بنفسه

بل يحق لنا أن نتساءل: من الذي يحدد أن المضمون مخالف للفكر أو التشريع الإسلامي كي يكون من كتب الضلال؟ فعندما ألّف المرحوم السيد محسن الأمين كتاباً في تصحيح النظرة للشعائر الحسينية أيّده في ذلك المرجع الأكثر شهرة في زمانه وهو السيد أبوالحسن الأصفهاني رحمه الله، بينما عارضته ـ بعنف ـ مجموعة من الفقهاء واعتبروا كتابه من كتب الضلال!!

وفي سيرة أهل البيت عليهم السلام نماذج رائعة وحضارية للتعامل مع الكتاب والرأي (الآخر)، ومن ذلك موقف الإمام الحادي عشر الحسن بن علي العسكري عليه السلام، حين علم بمشروع الفيلسوف الكندي لتأليف كتاب يثبت فيه التَّهافت والتعارض الموجود في القرآن الكريم! فما كان من الإمام إلا أن أرسل أحد أصحابه ليدرس عند الكندي ويتقرّب إليه، حتى إذا تحقق ذلك طلب الإمام من صاحبه أن يسأل الكندي ما إذا كان يحتمل أن يكون للآيات معنى آخر غير الذي فهمه... ووجدت الفكرة طريقها إلى عقل الكندي، فما كان منه إلا أن أحرق كتابه بنفسه!!

إننا بحاجة إلى أن نقدم جرعات من اللقاح المشتمل على عينات المـــرض نفسه لنوجـــد حالة من التحصين الذاتي عند الناس، وليتمكنوا من الاعتيـــاد على مشاهدة مظاهر التنوع الفكري، وعلى ممارسة الاختيار الواعي للفكر الديني، ومن خلال ذلك نخلق جيلاً قوياً لا يهتز مع أدنى صدمة فكرية أو طرح جديد.. أما اللجوء إلى التحريـــم وتهييج المشاعـــر فلن يخلق سوى متدينين انهزاميين أمام ما يدليه الآخرون من حجج على آرائهم.

لقد أبدى بعض المشايخ في البحرين امتعاضهم من حيازة الشباب لكتب المفكر التونسي محمد أركـــون بعد زيارته للبحرين والفتنة التي اشتعلت فيها على أثر تحريم كتبه والأمر بحـــرقها، ولكنني أقول: ماذا قدمنا نحن للشباب من نتاج فكري وثقافي إسلامي يخاطب العقل ويبتني على قوة الحجة ويحاكي اهتماماتهم ويتناسب مع لغة العصر؟!

إن على لجنة الرقابة أن توفّر جهودها في التركيز على ما يهدِم القيم الأخلاقية في المجتمع، ويزرع الخرافة ويسفّه عقول الناس، بدلاً من مطاردة الكنوز الفكـــرية لرجالات الأمة الإسلامـــية، والنتاج الثقافي لأصحـــاب العقول والأقلام التي قد نختلف معها إلا أنها تكون جادة فيما تقدّم، وحريصـــة على أن توصل صوتها بطريقة هادئة، لنرتقي في أسلوب التعامل بدلاً من أن نعيش بعقليـــة القرون الوسطى.

الصورة بالترتيب: بريخت - العلامة مرتضى الأنصاري - الميرزا النائيني.

• لابد أن نقدم جرعات من اللقاح المشتمل على عينات المرض نفسه لنوجد حالة من التحصين الذاتي عند الناس

• لنرتقي في أسلوب التعامل بدلاً من أن نعيش بعقلية القرون الوسطى

أبعاد الحج ـ ١

٢٨ ذوالقعدة ١٤٢٨ هـ / ٨ ديسمبر ٢٠٠٧

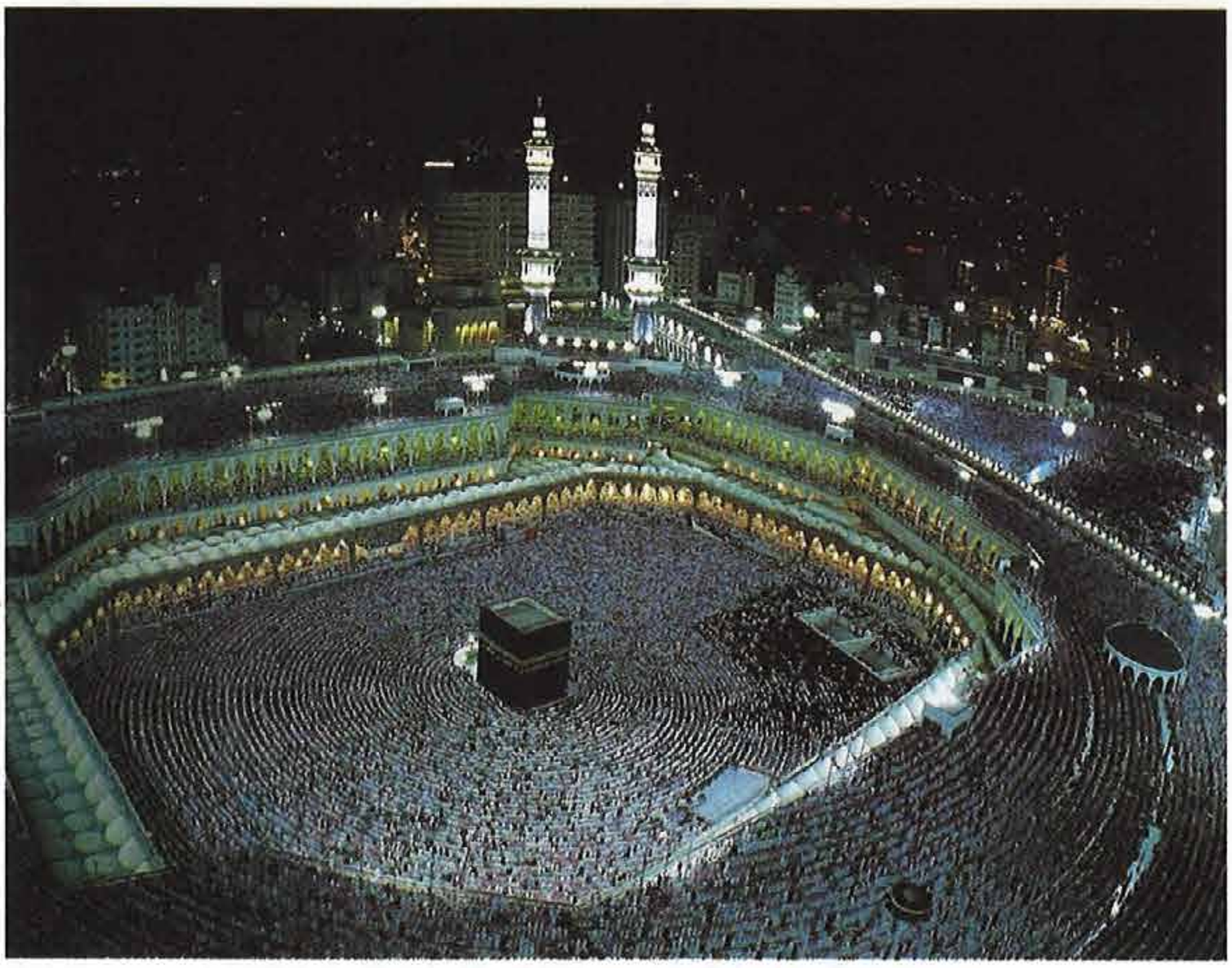

على خمسة أشياء: على الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، والولاية). ونحاول فيما يلي أن نلخص بعضاً من هذه الأبعاد وفق العناوين التالية:

البعد الولائي:

يمثل الحج حركة لتأصيل حقيقة التوحيد في نفس الإنسان المسلم، بما يمثله المسجد الحرام من مركزية في التوحيد والعبادة، ليعي الإنسان من خلال ذلك معنى العبودية الحقة الخالصة لله، بإزالة كل ما من شأنه أن يسيء إلى النفس ويمنعها من التحليق في آفاق الطهارة الروحية والإخلاص لله التي تختزنها روحية العبادة وتخلقها داخل الإنسان.

• يمثل الحج حركة لتأصيل حقيقة التوحيد في نفس الإنسان المسلم

للحج أبعاد إيمانية ومعرفية عظيمة، ويمثل حركة سنوية في الوجود الإنساني ذات آفاق روحية وسلوكية متميزة، وبمستوى ذلك اعتبرت الشريعة الإسلامية أن الحج من أعظم الشعائر، وركناً وثيقاً من أركان الدين، وقد جاء في الأخبار المروية عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وعن أهل بيته عليهم السلام: (بُني الإسلام

كما يمثل الحج حركة نحو تعميق الارتباط بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وبآله الطاهرين عليهم

• الكتاب والعترة هما صماما الأمان وعلائم الطريق، وبالتمسك بهما يتمسك المسلم بحبل اللّه

• أراد اللّه للإنسان أن يعيش حالة العبودية انطلاقاً من إيمانه بأن خالقه لا يريد له ـ من خلال تشريعاته ـ إلا ما يعود عليه بالمصلحة الأكيدة

السلام الذين أكّد قبيل ارتحاله إلى بارئه على أهمية الارتباط الإيماني والروحي والأخلاقي والسلوكي بهم وبالكتاب العزيز إذ قال: (وأنا تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي) رواه مسلم في صحيحه. فالكتاب والعترة هما صماما الأمان وعلائم الطريق، وبالتمسك بهما يتمسك المسلم بحبل الله (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا) (آل عمران: من الآية١٠٣)، ومن هنا كانت الدعوة لتجديد العهد بأهل بيت النبوة في موسم الحج، فهم معدن العلم وحملته ومبلّغي رسالة السماء عن رسول الله، وعنهم يأخذ المؤمنون مفاهيم القرآن وأحكامه. عن جابر الجعفي عن الإمام محمد الباقر: (تمام الحج لقاء الإمام).

البعد التعبدي:

والله سبحانه وتعالى أراد

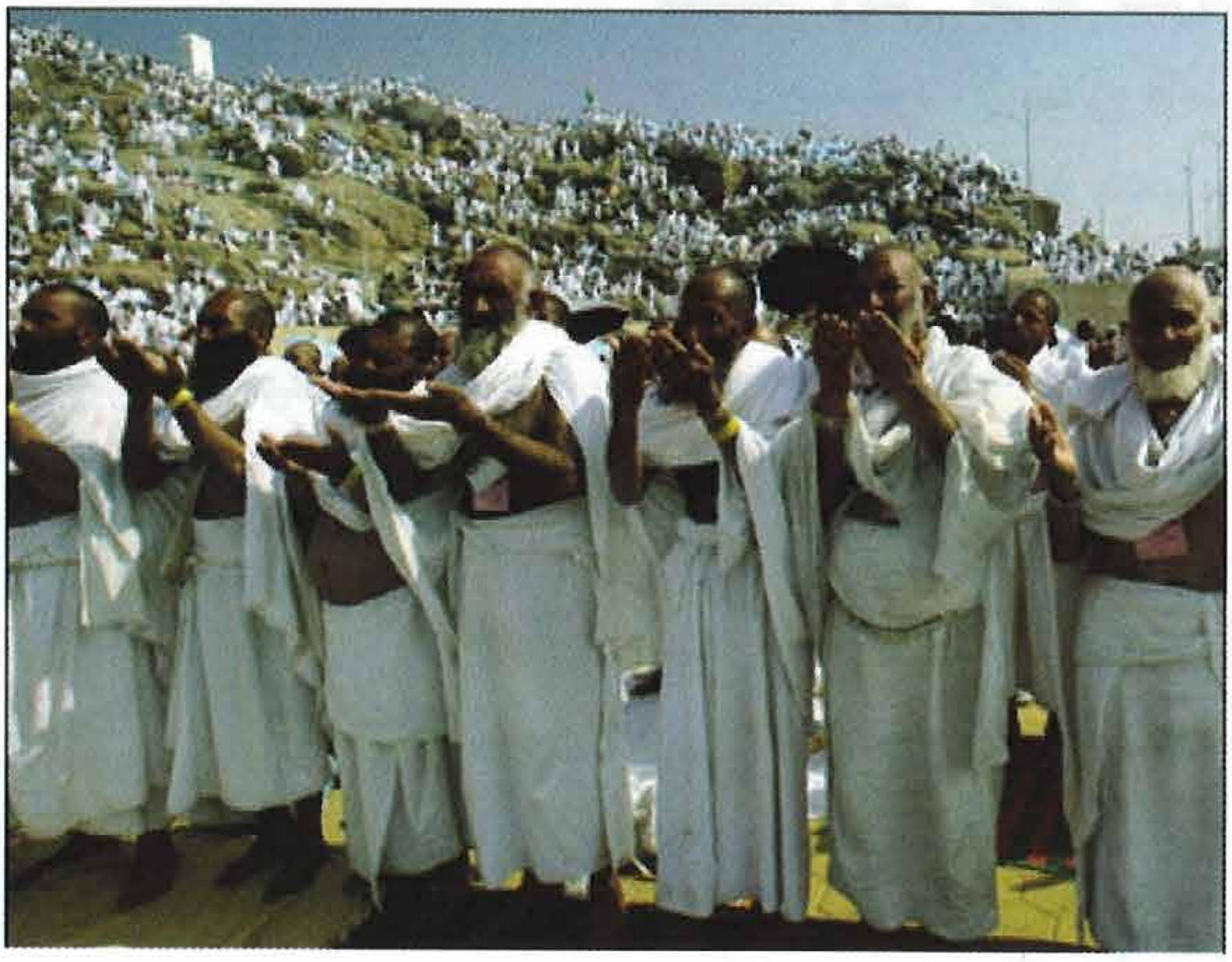

• الإمام الصادق:

هذا بيتٌ استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثّهم على تعظيمه وزيارته

• تجتمع العناصر العبادية في الحج لتشكّل طاقةً روحية وزخماً معنوياً يدفع بالحاج لتسمو روحه وتترفع عن الملذات الزائلة ويقاوم أهواءه ورغباته الملحّة

للإنسان أن يعيش حالة العبودية بمعنى الطاعة التامة لأوامره ونواهيه، انطلاقاً من إيمانه بأن خالقه الرحمن الرحيم الحكيم الغني لا يريد له ـ من خلال تشريعاته ـ إلا ما يعود عليه بالمصلحة الأكيدة، ولذا فإنه يُقبل عليها بارتياح، ولا تساوره الشكوك والحيرة فيما يتخذ من قرارات في هذا الخصوص، فقلبه مطمئن لما وراء تلك التشريعات.

وفي الاستجابة للنداء الإلهي (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) (الحج:٢٧) ترسيخ لهذه الحقيقة الإيمانية، وترجمة عملية للعبودية الخالصة لله عزوجل. روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (هذا بيتٌ استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثّهم على تعظيمه وزيارته، وقد جعل محلّه محل الأنبياء وقبلةً للمصلين له، فهو شعبة من رضوانه وطريق



تؤدي إلى غفرانه...).

وهذا لا يعني خلو العبادات في الشريعة الإسلامية من معان وأهداف، فلقد نص القرآن الكريم على جملة منها كما في قوله تعالى (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ) (الحج:٢٨) إلى قوله تعالى (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * لَن يَنَالَ اللَّهَ

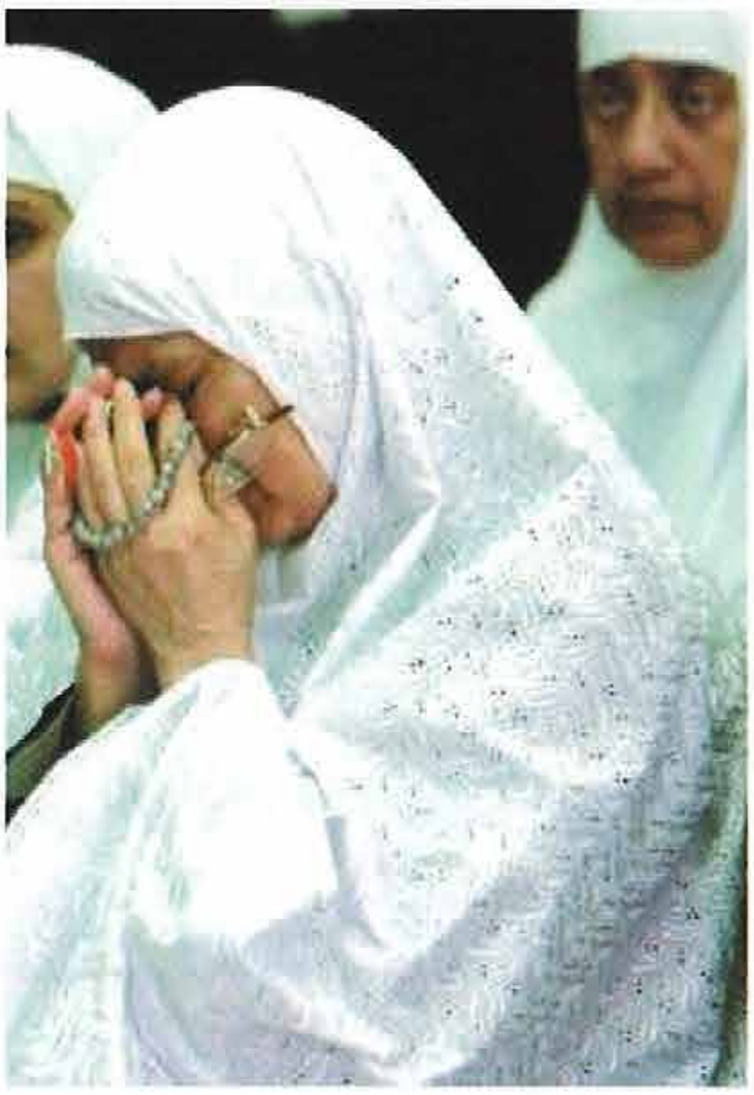

• فلسفة التشريع في بعض التفاصيل قد لا تكون واضحة، والائتمار بها يتبع حقيقة العبودية للمشرع سبحانه

• الإمام الرضا: إنما أمِروا بالحج لعلة الوفادة إلى الله... وحظر النفس عن اللذات، شاخصاً في الحر والبرد، تائبا على ذلك دائماً

لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) (الحج:٣٤-٣٥)، إلا أن فلسفة التشريع في بعض التفاصيل قد لا تكون واضحة، والائتمار بها يتبع حقيقة العبودية للمشرع سبحانه وتعالى.

البعد الروحي:

يعيش الحاج أجواء العبادة من طواف وصلاة وسعي وتلاوة للقرآن ودعاء لله سبحانه، عند بيته المحرم وفي عرفات والمشعر الحرام ومنى، ويُقبل على التوبة لا سيما في عرفات حيث يزدحم الناس وترتفع الأصوات بمختلف اللغات، فتجتمع هذه العناصر لتشكّل طاقةً روحية وزخماً معنوياً يدفع بالحاج لتسمو روحه وتترفع عن الملذات الزائلة و يقاوم أهواءه ورغباته الملحّة، ومن ثم يعيش التقوى - ولو اضطراراً - لتعطيه زاداً هو خير زاد (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ) (البقرة:١٩٧).

وقد تحدّث الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن هذا الجانب الروحي من معطيات الحج بقوله: (إنما أمِروا بالحج لعلة الوفادة إلى الله عزوجل... وحظر النفس عن اللذات، شاخصاً في الحر والبرد، تائباً على ذلك دائماً، مع الخضوع والاستكانة والتذلل...).

أبعاد الحج ـ ٢

٦ ذوالحجة ١٤٢٨ هـ / ١٥ ديسمبر ٢٠٠٧



تطرقنا في العدد السابق للحديث حول بعض الأبعاد المرجو تحققها من خلال الحج، وها نحن نكمل الحديث حولها وفق العناوين التالية:

البعد العلمي:

الحج مدرسة لمن تأمّل في المناسك وعاش الوعي والتدبر فيما يأتي به من عبادات، والله سبحانه وتعالى يفتح قلوب الصادقين في نياتهم لينهلوا من هداه، حتى إذا عادوا إلى ديارهم نقلوا تلك العلوم إلى مجتمعاتهم، فتعمّ الفائدة. وقد بيّن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام هذا البُعد المهم في الحج حيث قال في حديث بيان علة تشريع الحج: (مع ما فيه من التفقه ونقل أخبار الائمة عليهم السلام إلى كل صقع وناحية، كما قال الله عزوجل: [فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ]).

• أكد الإمام الرضا على أن من منافع الحج: التفقه ونقل أخبار الائمة إلى كل صقع وناحية

وتنقل لنا كتب الحديث صوراً عديدة لحوارات جرت بين أحد الأئمة وأصحابه، أو بينه وبين بعض العلماء من الفرق الإسلامية الأخرى، أو بينه وبين بعض الزنادقة الذين كانوا يأتون الحج مع الناس لإثارة الشبهات

• قال الإمام الصادق للزنديق: فالعجب لك!! لم تبلغ المشرق ولم تبلغ المغرب ولم تنزل تحت الأرض ولم تصعد إلى السماء ولم تجد ما هناك فتعرف ما خلفهن وأنت جاحد ما فيهن، وهل يجحد العاقل ما لا يعرف؟

• وقال: ليس لمن لا يعلم حجةٌ على من يعلم، ولا حجةَ للجاهل على العالم

وزعزعة ثقة الناس بدينهم، ومن بينها النص التالي الذي يرويه هشام بن الحكم، قال: (كان زنديق بمصر يبلغه عن أبي عبد الله ـ أي الإمام جعفر الصادق ـ عِلم، فخرج إلى المدينة ليناظره فلم يصادفه بها، وقيل هو بمكة فخرج على مكة، ونحن مع أبي عبد الله عليه السلام آنذاك، فانتهى إليه وهو في الطواف، فدنا منه وسلم. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما اسمك؟ قال: عبد الملك. قال : فما كنيتك؟ قال : أبو عبد الله. قال : فمن ذا الملك الذي أنت عبده، أمن ملـــوك الأرض أم من ملوك السماء. وأخبرني عن ابنك أعبدُ إله السماء أم عبدُ إله الأرض؟ فسكت. فقال أبوعبد الله: قل، فسكت. فقال له عليه السلام: إذا فرغت من الطواف فأتنا.

فلما فرغ أبو عبد الله عليه السلام من الطـــواف أتاه الزنديق، فقعـــد بين يديه ـ ونحن مجتمعون عنده ـ فقال أبو عبد الله عليه السلام: أتعلم أن للأرض تحتاً وفوقاً؟ فقال : نعم. قال: دخلت تحتها؟ فقال: لا. قال: فهل تدري ما تحتها؟ قال: لا أدري إلاّ أني أظن أن ليس تحتها شيء. فقال: فالظن عجز ما لم تستيقن. ثم قال له: صعدت إلى السماء؟ قال: لا. قال: أفتدري ما فيها؟ قال: لا. قال: فأتيت المشرق والمغرب فنظرت ما خلفهما؟ قال: لا. قال: فالعجب لك لم تبلغ المشرق ولم تبلغ المغرب ولم تنزل تحت الأرض ولم تصعد إلى السماء ولم تجد ما هناك فتعرف ما خلفهـــن وأنت جاحد ما فيهن، وهل يجحد العاقل ما لا يعرف؟! فقال الزنديق: ما كلمني بهذا غيرك. فقال أبو عبد الله عليه السلام: فأنت من ذلك في شك، فلعل هو ولعل ليس هو. قال: ولعل ذلك. فقال أبو عبد الله عليه السلام: أيها الرجل ليس لمن لا يعلم حجةٌ على من يعلم،

• الوحدة والتآخي والتآلف في شريعة الإسلام حالة أصيلة، تتجلى في صلاة الجماعة، والحث على قضاء حوائج المؤمنين، والتفاعل مع آلامهم وآمالهم

• في الحج يتعمق مفهوم الوحدة من خلال توجه الجميع باختلاف انتماءاتهم العرقية والقومية واللغوية إلى مركز واحد

ولا حجةَ للجاهل على العالم، يا أخا أهل مصر تفهَّم عني، أما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان ولا يستبقان يذهبان ويرجعان، قد اضطرّا، ليس لهما مكان إلاّ مكانهما، فإن كانا يقدران على أن يذهبا فلِمَ يرجعان؟ وإن كانا غير مضطرين فلِمَ لا يصير الليل نهاراً والنهار ليلاً؟ والله يا أخا أهل مصر إن الذي تذهبون إليه وتظنون من الدهر، فإن كان هو يذهبهم فلِمَ يردهم، وإن كان يردهم فلِمَ يذهب بهم، أما ترى السماء مرفوعة والأرض موضوعة لا تسقطها على الأرض ولا تنحدر الأرض فوق ما تحتها، أمسكَها ـ والله ـ خالقها ومديرها. قال: فآمن الزنديق على يدي أبي عبد الله عليه السلام، فقال لهشام: خذه الليلة وعلّمه).

البعد الاجتماعي:

الوحدة والتآخي والتآلف في شريعة الإسلام حالة أصيلة، تتجلى في صلاة الجماعة، والحث على قضاء حوائج المؤمنين، والتفاعل مع آلامهم وآمالهم، كما تتجلى في الدعاء لهم بظهر الغيب، وفي الزكاة والصدقات وغيرها.

وفي الحج تتجلى هذه الصور ويتعمق مفهوم الوحدة من خلال توجه الجميع باختلاف انتماءاتهم العرقية والقومية واللغوية إلى مركز واحد، وتكون حركتهم الواحدة في تماثل مناسك الحج خير دليل على بطلان كل الحواجز الزائفة، كما تحرِّك المشاعر نحو قضايا الأمة وتستدعي التفكّر في حالها الذي لا يسرّ، وفي تشرذمها الذي لا يرجع بالنفع إلا لأعدائها.

ومن صور التفاعل مع الحالات الخاصة لأفراد الأمة ما رواه إبراهيم بن هاشم حيث قال: (رأيت عبدالله بن جندب بالموقف فلم أرَ موقفاً كان أحسن من موقفه، ما زال مادّاً يده إلى السماء ودموعه

تسيـــل على خـــديه حتى بلغ الأرض، فلما انصرف الناس قلت له: يا أباحمد، ما رأيت موقفاً قط أحسن من موقفك!! قال: والله ما دعوت فيه إلا لإخـــوانى، وذلك أن أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام أخبرنى أنه مَن دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش: ولك مائة ألف ضعف مثله، فكرهت أن أدع مائة ألف ضعف مضمونة، لواحدة لا أدرى تُستجاب أم لا).

• الإمام موسى الكاظم: مَن دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش: ولك مائة ألف ضعف مثله

البعد الاقتصادي:

كان التعامـــل الاقتصادي محظوراً في موســم الحج في الجاهلية، وكانوا يعتقـــدون ببطـــلان الحـــج إن اقترن بالنشاط الاقتصادي، مما كان يؤدي إلى انتفاع أهل مكة فقط باعتبارهم أهل الدار، فجاء الإسلام وقضى على هذه الأفكار المغلقة، واعتبر أن الاقتصاد والحركة التجارية من سبل تقوية بنية المجتمع الإسلامي، ومن هنا ندرك تكرار ذكـــر المنـــافع المالية العائدة من موسم الحج في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف، كقوله تعالى: (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ) (الحج:٢٧-٢٨) وكما جاء في بيان الإمام الرضا عليه السلام لفلسفة الحج حيث قال: (إنما أمروا بالحج لعلة الوفادة إلى الله عزوجل... مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع لجميع من في شرق الأرض وغربها، ومن في البر والبحر ممن لم يحج، من بين تاجر وجالب وبائع ومشتري وكاســـب ومسكين ومكار وفقير، وقضاء حوائج أهل الأطراف في المواضع الممكن لهم الاجتماع فيه...).

• كان التعامل الاقتصادي محظوراً في موسم الحج في الجاهلية، فجاء الإسلام وقضى على تلك الأفكار المغلقة

لغزُ حيّر الألباب

١٣ ذوالحجة ١٤٢٨ هـ / ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٧

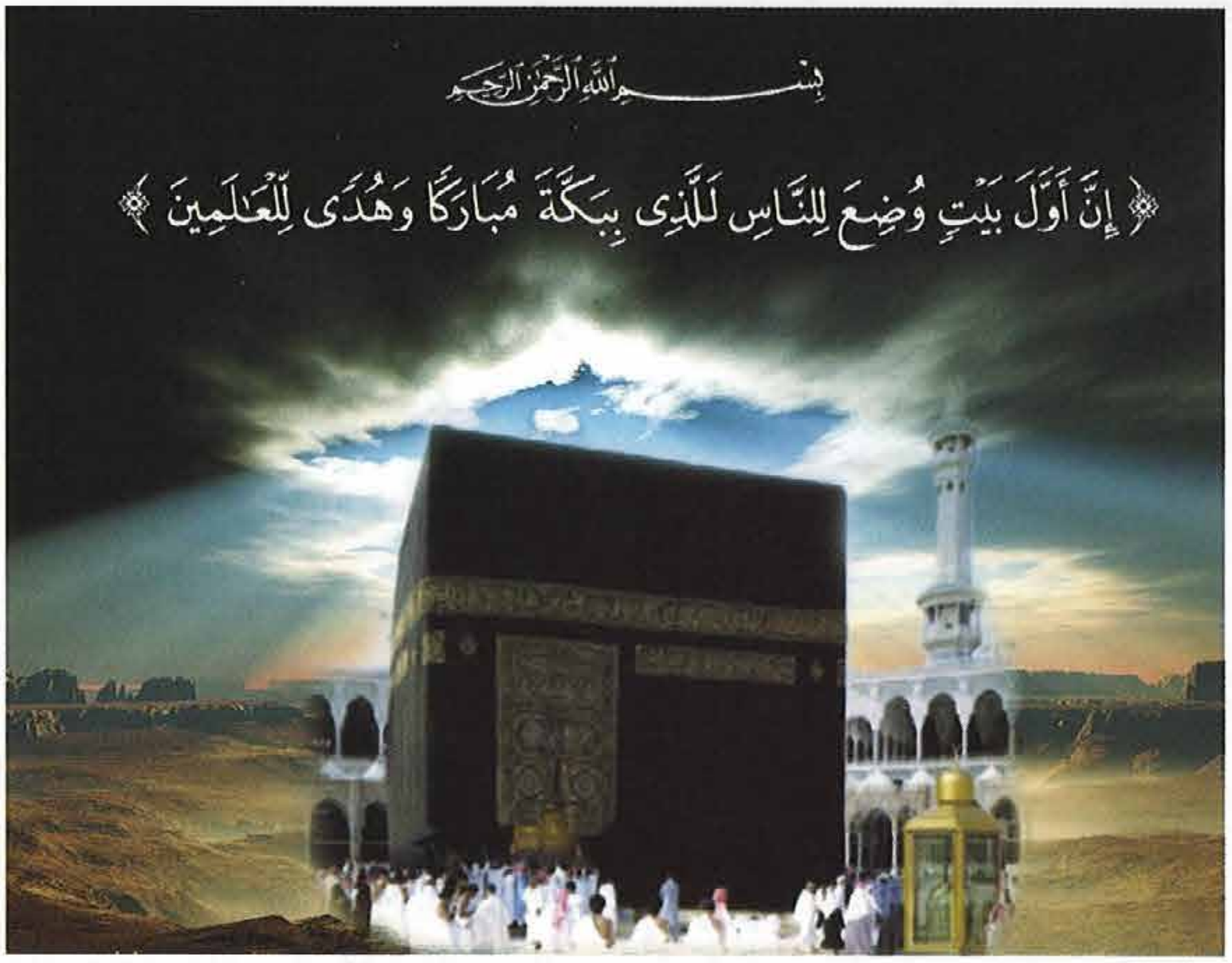

لغز حيّر الألباب.. حجارة خشنة سوداء مصفوفة في نسق غاية في البساطة.. في هيئة شبه مكعبة.. لم تتساو أضلاعها في أبعادها المختلفة.. ولم ترتسم عليها علائم الزخـــرفة التي اعتاد الإنسان عبر التاريخ أن يزيّن بها المبـــاني التي أحبها وتعلّق قلبـــه بها.. أو تلك التي تحمل عنواناً مقدّساً.. أو أراد لها أن تعكس جانباً من حضارته ليُكتب لها الخلود..

• قال أحدهم وهو يقف قبالة الكعبة لأول مرة: لا شئ مما ترى يجعلك تعجب أو تهتز!!

وهكذا ارتسمت علامات التعجب في كلمات بعض من تمعّـــن لأول مرة في هذا البيت العتيـــق.. قال أحدهم وهو يقف قبالة الكعبة لأول مرة: (لا شئ مما ترى يجعلك تعجب أو تهـــتز.. هنا لا يقف أحد.. وليس هناك شئ تتأمله.. لا ترى سوى غرفة مكعبة فارغة.. هل هذا كل ما هنالك؟ هل هذا مركز إيمانك وحبك وحيـــاتك وموتك؟ وتتوالى الوساوس في ذهنك: أين أنا؟ ماذا هنا؟ إن الذي تراه هو النقيض لما في خيالك! ربما كنت تتصورها لوحة في فن المعمار مليئة بالزخارف.. ربما كنت تتخيلها كأحد الأضرحة التي زرتها من قبل لأحد المشاهير.. ربما.. و ربما.. ولا محل لهذا كله في الواقع الذي تشاهده أمامك!).

• لماذا سخّر ربُّ البيت العتيق للنبي سليمان الإنسَ والجنَّ والطير والوحش والريح لتكون في خدمته وطوع أمره، وجعل بيته الحرام بهذه البساطة؟

• هل عجزت يد القدرة الإلهية التي خلقت السماوات والأرض وما فيهما أن تجعل هذا البيت العتيق في قمة الفخامة التي عرفها الإنسان؟

وقال آخر وهو في قمة الاستكبار: (إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطـــوب والمـدر، وتهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر؟ من فكّر في هذا وقدّر، علِم أنه فعل غير حكيم ولا ذي نظر!).

هل عجـــزت يد القدرة الإلهية التي خلقت السماوات والأرض وما فيهما أن تجعل هذا البيت العتيق في قمة الفخامة التي عرفها الإنسان، بل دليلاً من دلائل الإعجاز السماوي لتخضع لها الرقاب وتذل لها نفوس المستكبرين؟

لماذا سخّـــر ربُّ البيت العتيق لسليمان (النبي/الملك) عليه السلام الإنسَ والجنَّ والطير والوحش والريح لتكون في خدمته وطوع أمره، حتى أسس تلك المشاريع الضخمة والفخمة على ما حكاه القرآن الكريم؟ (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (سبأ:١٠-١٣)، وقال عز اسمه في شأن ملكة سبأ (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (النمل:٤٤).

ولماذا لم يسخّر ذلك كله لخليله إبراهيم عليه السلام وهو يؤســـس البيت العتيق

• شاءت الإرادة الإلهية أن يكون إيمان العبد منطلقاً لا من وحي المادة، بل من قوة البرهان ومن أعماق الوجدان

• أمير المؤمنين: ألا ترون أن اللّه سبحانه اختبر الأوّلين من لدن آدم صلوات اللّه عليه إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع. فجعلها بيته الحرام؟

بمعيّة ابنه إسماعيل عليه السلام (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة:١٢٧)؟

إنها الإرادة الإلهية التي شاءت أن يكون إيمان العبد به منطلقاً لا من وحي المادة، بل من قوة البرهان ومن أعماق الوجدان، إيمانٌ ينبع من صفاء الروح وتجرّد القلب.

وإن كان الأنبياء عليهم السلام قد لجؤوا للاستعانة بالمعاجز التي تمثّل تغييراً في القوانين الطبيعية التي أِلفها الإنسان، ليدفعوا الناس نحو الإيمان بالله سبحانه وبرسالاته، إلا أن تلك المعاجز لم تمثّل سوى الإنطلاقة لمن لا يدركون حقائق الأشياء إلا من خلال المادة، ولا ترتقي أرواحهم وعقولهم إلا بذلك، وأما ترسيخ الإيمان وتغلغله في الوجدان فموكول إلى تأثير الصلاة والصيام وسائر العبادات وتوجيهات الأنبياء وتعاليم الوحي المقدس.

ومن هنا نفهم كلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث قال: (ألا ترون أن الله سبحانه اختبر الأوّلين من لدن آدم صلوات الله عليه إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع. فجعلها بيته الحرام الذي

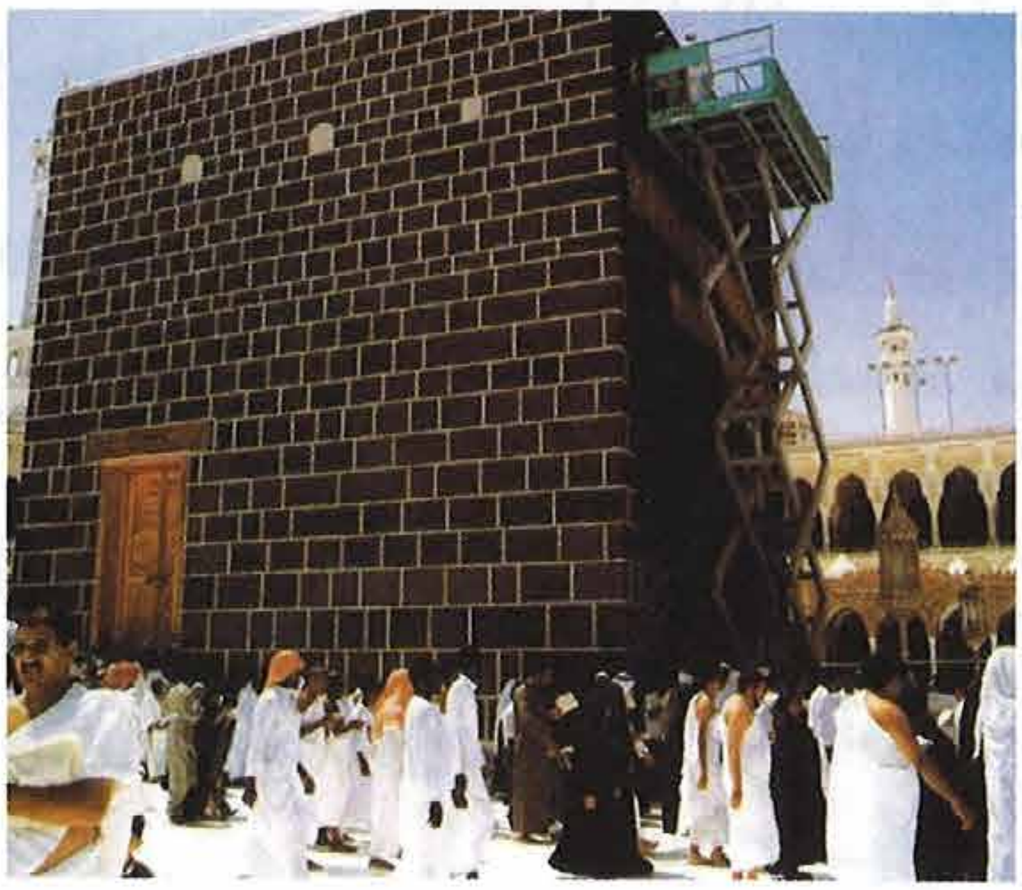

• أمير المؤمنين:
لو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام ومشاعره العظام بين جنات وأنهار، وسهل وقرار، جَمّ الأشجار، داني الثمار، ملتفّ البنا، متّصل القرى... لكان قد صغر قَدر الجزاء على حسب ضعف البلاء.

• أمير المؤمنين:
ولو كان الأساس المحمول عليها، والأحجار المرفوع بها بين زمردة خضراء، وياقوتة حمراء، ونور وضياء، لخفّف ذلك مسارعة الشك في الصدور

جعله للناس قياماً. ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض حجراً، وأقل نتائق الأرض مدراً، وأضيق بطون الأودية قِطراً. بين جبال خشنة، ورمال دمِثة، وعيون وشِلة، وقرى منقطعة. لا يزكو بها خُف، ولا حافر ولا ظلف. ثم أمر آدم وولده أن يثنوا أعطافهم نحوه، فصار مثابةً لمنتجع أسفارهم، وغايةً لملقى رحالهم. تهوي إليه ثمار الأفئدة من مفاوز قفار سحيقة ومهاوي فجاج عميقة، وجزائر بحار منقطعة، حتى يهزّوا مناكبهم ذللاً يهلّون لله حوله، ويرملون على أقدامهم شعثاً غبراً له. قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم، وشوّهوا بإعفاء الشعور محاسن خلقهم، ابتلاء عظيماً وامتحاناً شديداً واختباراً مبيناً وتمحيصاً بليغاً، جعله الله سبباً لرحمته، ووصلة إلى جنَّته. ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام ومشاعره العظام بين جنات وأنهار، وسهل وقرار، جَمِّ الأشجار، داني الثمار، ملتفّ البنا، متّصل القرى، بين برة سمراء، وروضة خضراء، وأرياف مُحدقة، وعِراص مُغدقة، ورياض ناضرة، وطرق عامرة، لكان قد صغر قَدر الجزاء على حسب ضعف البلاء. ولو كان الأساس المحمول عليها، والأحجار المرفوع بها بين زمردة خضراء، وياقوتة حمراء، ونور وضياء، لخفّف ذلك مسارعة الشك في الصدور، ولوضع مجاهدة إبليس عن القلوب، ولنفى معتلج الريب من الناس، ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد، ويتّعبدهم بأنواع المجاهد، ويبتليهم بضروب المكاره إخراجاً للتكبر من قلوبهم، وإسكاناً للتذلل في نفوسهم. وليجعل ذلك أبواباً فُتَّحاً إلى فضله، وأسباباً ذللاً لعفوه).. إنها حكمة الله التي شاءت أن تقدّر الأمور لما فيه صالح الإنسان.

ماذا جرى عند الغدير

٢٠ ذوالحجة ١٤٢٨ هـ / ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٧



• هذه مقاربة بجمع لبعض النصوص المبعثرة في كتب التفسير والحديث والتاريخ، والمتعلقة بحادثة الغدير

هذه مقاربة لمجريات أحداث يوم الثامن عشر من ذي الحجة من العام العاشر الهجري، حيث انتهى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من أداء مناسك الحج، وقفل هو والمسلمون عوداً إلى الديار، ثم اتخذ قراره بالتوقف بالقرب من الجحفة عند مكان يُعرف باسم (خُم) وبه غدير ماء، وأمر المسلمين بالتجمع في الظهيرة ليُعلن لهم أمراً مهماً..

وهذه المقاربة عبارة عن عملية جمع لبعض النصوص المبعثرة في كتب التفسير والحديث والتاريخ، والمتعلقة بهذه الحادثة، قام بها المرحوم العلامة السيد مرتضى العسكري، وبدورنا ننقل جزءً مما سطّره في في الجزء الأول من كتابه معالم المدرستين، وذكر مصادرها بالتفصيل:

(لما صدر [خرج] رسول الله من حجة الوداع، نزلت عليه في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة آية «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ». فنزل غدير خم من الجحفة وكان يتشعب منها طريق المدينة ومصر والشام، ووقف هناك حتى لحقه من بعده وردَّ من كان تقدم، ونهى أصحابه عن سمرات [جمع سمرة، وهي نوع من الشجر] متفرقات

• قال رسول اللّه: إني فرَط وإني سائلكم عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما

• أوصى رسول اللّه بالأخذ بكتاب اللّه وأهل بيته، وأكد أنهما لن يتفرقا حتى يردا عليه الحوض

• أخذ رسول اللّه بيد الإمام علي فقال: اللّه مولاي وأنا مولاكم، فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه

بالبطحاء أن ينزلوا تحتهن، ثم بعث إليهن فقم [كنس] ما تحتهن من الشوك ونادى بالصلاة جامعة، وعمد إليهن، وظلل بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فصلى الظهر بهجير [نصف النهار عند اشتداد الحر]، ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ وقال ما شاء الله أن يقول، ثم قال: إني أوشك أن أدعَى فأجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنك بلّغت ونصحت فجزاك الله خيراً.

قال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق؟

قالوا: بلى نشهد ذلك.

قال: اللهم اشهد... ثم قال: ألا تسمعون؟

قالوا: نعم.

قال: يا أيها الناس، إني فرَط [سابقكم أي إلى الموت]، وأنتم واردون عليّ الحوض، وإن عرضه ما بين بُصرى إلى صنعاء، فيه عدد النجوم قدحان [أكواب] من فضة، وإني سائلكم عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما. فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: كتاب الله، طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي، وقد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، سألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فهم أعلم منكم... ثم قال: ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: ألستم تعلمون أو تشهدون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

ثم أخذ بيد علي بن

• قال رسول الله: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي والولاية لعلي

• دعا رسول الله عليا يوم غدير خم فعممه وارخى عذبة العمامة من خلفه

أبي طالب بضبعيـــه فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض إبطيهما، ثم قال: أيها الناس، الله مولاي وأنا مولاكم، فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهـــم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصـــر من نصره واخذل من خذله، وأحب من أحبه وابغـــض ومن أبغضه... ثم قال: اللهم اشهد. ثم لم يتفرقا ـ رســـول الله وعلي ـ حتى نزلت هذه الآية «اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الأِسْلامَ دِيناً».

فقال رســـول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكـــبر على إكمـــال الدين وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي والولاية لعلي.

وكانت لرسول الله عمامة وتسمى السحاب كساها علياً، وكانت سوداء اللون، وكان الرسول يلبسها في أيام خاصة مثل يوم فتح مكة، ورووا في كيفية تتويج الامام بها يوم الغدير كما يلي: عن عبد الأعلى بن عدي البهراني قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليا يوم غدير خم فعممه وارخى عذبة العمامة [طرفها] من خلفه.

من مصادر النصوص السابقة: مجمع الزوائد للهيثمي، تاريخ ابن كثير، مسند أحمد بن حنبل، سنن ابن ماجة، الدر المنثور للسيوطي، شواهد التنزيل للحسكاني، المستدرك على الصحيحـــين للحاكم النيسابوري.

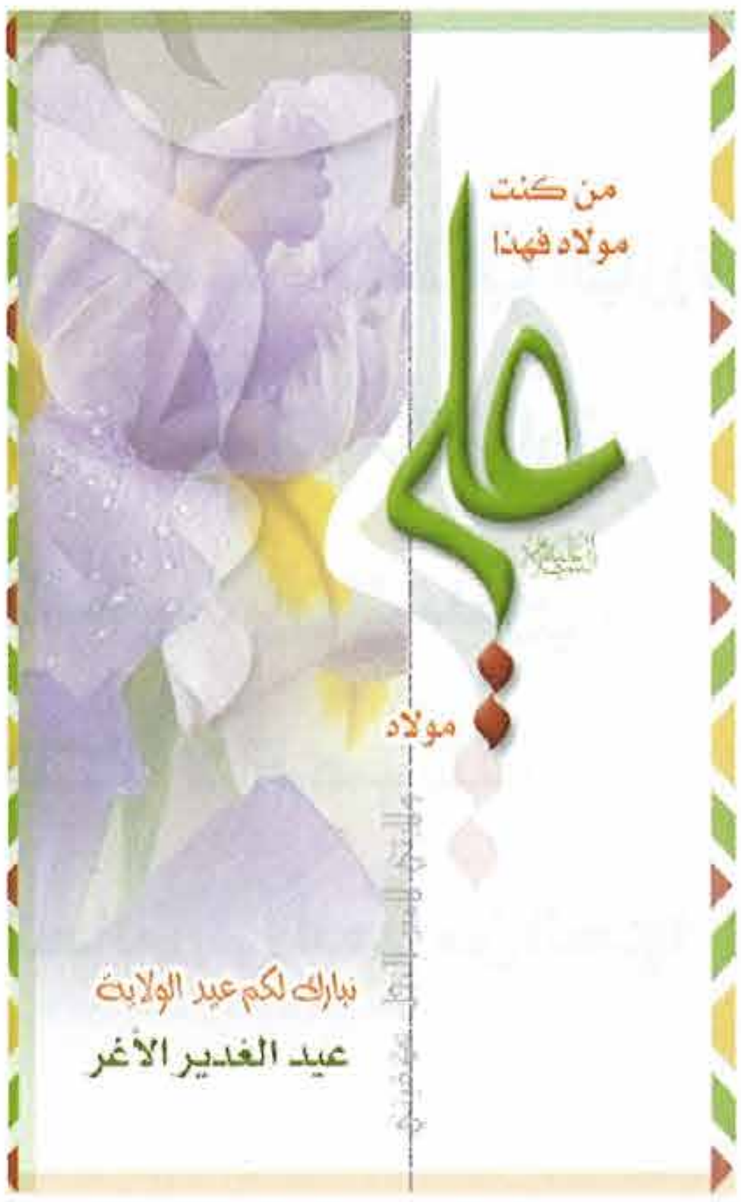

الخطاب المفقود في الحج

٢٧ ذوالحجة ١٤٢٨ هـ / ٥ يناير ٢٠٠٨



تحدثت في أعداد سابقة عن معطيات الحج وأهدافه وأبعاده، ومن بينها البعد الاجتماعي والطبيعة الاجتماعية للحج، ولربما نحتاج إلى صرف المليارات من الدنانير لنجمع كل هذا العدد من الناس بتنوعاتهم، ولنوفر كل الإمكانات السكنية والغذائية والنقلية وغيرها، ولربما نحتاج إلى جهود ضخمة من أجل إقناعهم للحضور في اجتماع وللالتقاء حول هدف معين. إلا أن الحج إلى بيت الله الحرام يحقق ذلك دون أن ننفق شيئاً، بل إن الحجاج بأنفسهم وبأعدادهم المليونية يأتون طواعية، ويتحملون كل شئ من أجل الوصول إلى الأرض الحرام.

ولا يخفى على ذي بصيرة أن من ضمن القضايا البارزة في الحج: إذابة الفوارق المذهبية بين المسلمين، فكلهم يرتدون ذات الزي، وكلهم يطوفون حول بيت واحد، وبطريقة واحدة، وكلهم يقفون بعرفات في نفس اليوم، ويصلّون خلف إمام واحد، في مسجد واحد... إلا أن السؤال الملحّ والذي يبرز في كل عام بعد انتهاء الموسم: لماذا لا تذهب تلك الحالة إلى أبعد من الصورة الجميلة التي تعكسها في الموسم فقط؟ وبعبارة أخرى: ما هي عوائق نفوذ وتغلغل حالة الذوبان إلى أعماق

• من ضمن القضايا البارزة في الحج: إذابة الفوارق المذهبية بين المسلمين، فلماذا لا تذهب تلك الحالة إلى أبعد من الحج؟

نفوس المسلمين ليحملوها إذا عادوا إلى أوطانهم؟

العوائق:

• من عوائق التقريب الصور السلبية التي يحملها أتباع كل مذهب عن المذهب الآخر

يمكن أن نلخّص العوائق في النقاط التالية:

١ ـ الصورة السلبية التي يحملها أتباع كل مذهب عن الآخر المختلف، فصورة المسلمين الشيعة في ذهن كثير من إخوانهم من أهل السنة أنهم: مغالون ـ قبوريّون ـ يعبدون الحجارة ـ يؤلّهون أهل البيت ـ يقولون بتحريف القرآن.. إلخ.

وفي المقابل لو دخلنا في عقول كثير من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام لوجدنا أنهم يحملون صوراً سلبية عن إخوانهم من أهل السنة، فهم بنظرهم: نواصب ـ يجسّمون الذات الإلهية ـ لا يحملون أية مشاعر إيجابية تجاه الشيعة ـ إذا قال أحد علمائهم شيئاً عن الشيعة فإنهم جميعاً يتبنّون ذات الرأي... إلخ.

وجود هذه الصورة النمطية عند كل طرف عن الآخر سيرسّخ حالة التنافر ويعززها متى ما حصل أي نوع من الاصطدام أو سوء التفاهم مما قد يشهده الحاج بسبب خلاف فقهي أو ممارسة غريبة عند الطرف الآخر.

• من العوائق: الإصرار على تهميش الآخر عن المشاركة في المؤتمرات والمشاريع الإسلامية

٢ ـ الإصرار أحياناً على تهميش الآخر عن المشاركة في المؤتمرات والمشاريع الإسلامية، مما يخلق حواجز نفسية وعوائق مستقبلية تحث الطرف الآخر على سلوك ذات المسلك.

٣ ـ ظواهر التضييق والإقصاء بحق الأقليات المذهبية من قبل الأغلبية الحاكمة، سنية كانت أم شيعية، من قبيل الحق في التعبد علناً وإقامة المساجد والمحاكم وفق الفقه الخاص بكل مذهب، والعمل الإعلامي الحر...إلخ.

٤ ـ عدم الحكمة في طريقة التعامل مع أجواء الحرية التي تتاح أحياناً للأقليات المذهبية، فتتهوّر في ممارسة بعض

• ومنها: عدم الحكمة في طريقة التعامل مع أجواء الحرية التي تتاح أحياناً للأقليات المذهبية

• الخطابات التحريضية من قبل بعض المشايخ في موسم الحج لها أثر سلبي واضح على جهود التقريب

• ومن ذلك التحسس من بعض الفروقات الفقهية البسيطة الموجودة بين المذاهب الإسلامية، في الصلاة أو في قراءة نص زيارة النبي الأكرم

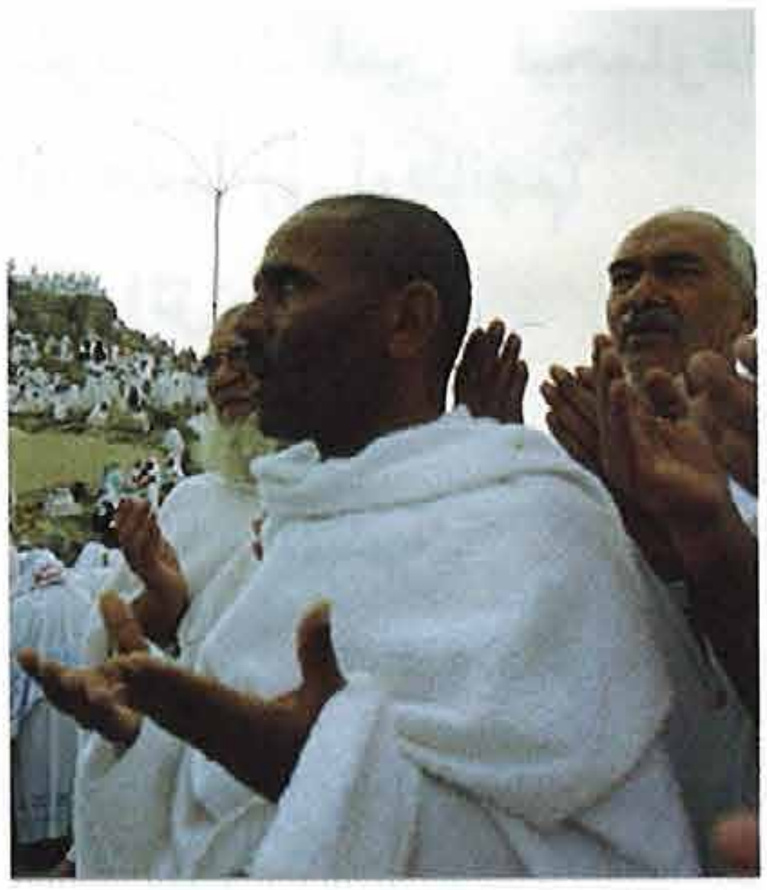

شعائرها علناً دون التدرج في ذلك، وبلا مراعاة للذوق العام، مما يثير الأجواء ضدها. وقد شهدت بغداد على عهد الدولة البويهية مثل هذه الحالة، فأدت إلى مقتل الآلاف وحرق أحياء بأكملها في فتنة مذهبية عنيفة.

٥ ـ الخطابات التحريضية من قبل بعض المشايخ في موسم الحج، بينما نحن نحتاج إلى (أسلمة الخطاب) إن صح التعبير، بمعنى أن يكون الخطاب يتجه نحو جمع المسلمين لا إيقاع الفرقة بينهم.

٦ ـ التحسس من بعض الفروقات الفقهية البسيطة الموجودة بين المذاهب الإسلامية، في الصلاة أو في قراءة نص زيارة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أو أحد من أهل بيته عليهم السلام، وما إلى ذلك.

٧ ـ عدم وضوح المعايير التي من خلالها يتم تحديد بداية شهر ذي الحجة، وبالتالي يوم الوقوف بعرفات، مما يسبب ارتباكاً لدى الحجاج، ويثير تساؤلات عديدة لاسيما بلحاظ وجود بعض الفتاوى الفقهية التي لا تصحح الحج إن لم يتم الوقوف بعرفة في اليوم المحدد وفق المعايير العلمية الدقيقة، وتطالب الحاج بإعادة حجه في السنة القادمة، وقد أصدر عدد من العلماء والفلكيين في المملكة العربية السعودية وخارجها بيانات وتصريحات حول هذا الموضوع.

السبيل للخروج من هذا الوضع:

الخروج من هذا الوضع السلبي يستدعي اجتماع

• الخروج من هذا الوضع السلبي يستدعي اجتماع علماء الفريقين قبيل أو أثناء موسم الحج وفي خصوص مكة المكرمة لتدارس الاختلافات الفقهية

علماء الفريقين قبيل أو أثناء موسم الحج وفي خصوص مكة المكرمة، من أجل دراسة هذه الاختلافات من الناحية الفقهية وتخفيف حدتها، والبحث عن مخارج فقهية تساعد على تقليل مظاهر الاختلاف، وإيجاد حالة من الاستئناس بالرأي الآخر لا الاستيحاش منه، وتوجيه المشايخ وأئمة المساجد والمبلّغين للخطابات الوحدوية وطرح القضايا الملحّة التي تواجهها الأمة، ومخاطبة عموم الحجاج وتوعيتهم إلى ضرورة استيعاب بعضهم البعض مع اختلاف انتماءاتهم المذهبية، وإعذار كل منهم للآخر فيما اختلفوا فيه، والتركيز على نقاط الالتقاء ـ وهي فعلا كثيرة ـ وما إلى ذلك من قضايا تمس الواقع وتضع الحلول، على أمل أن يعيش الحاج الوحدة في أعماق وجدانه، حتى إذا رجع إلى دياره عاد محمّلاً برسالة الوحدة بين أبناء الأمة التي يُرثى حالها.

• على المشايخ توجيه الخطابات الوحدوية وطرح القضايا الملحّة التي تواجهها الأمة، ومخاطبة عموم الحجاج وتوعيتهم حول نقاط الالتقاء



في ذكرى عاشوراء الحسين.. رسالة إلى إخواننا من أهل السنة

٣ محرم ١٤٢٩ هـ / ١٢ يناير ٢٠٠٨

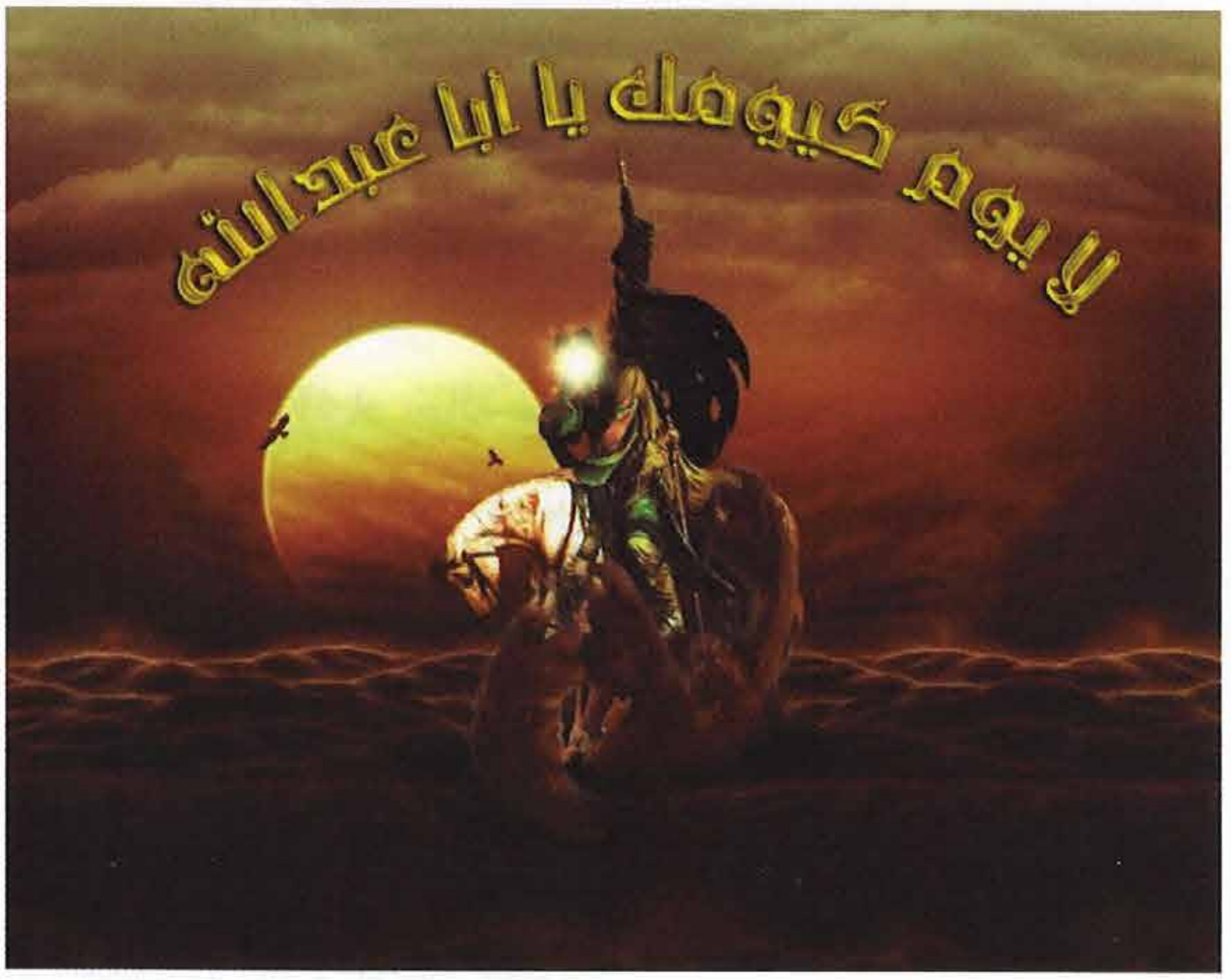

تلخصت أهم شعارات ثورة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام في العناوين التالية:

- إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر.
- هيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجورٌ طابت وطهرت، وأنوفٌ حميَّة، ونفوسٌ أبيّة من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام.
- إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم.

ولا يخفى على القارئ أن هذه الشعارات الصادقة في منطلقاتها وفي تجسّدها العملي في أحداث كربلاء وما أعقبتها، إنما تحمل عناوين عامة يقبل بها كل إنسان ذي فطرة سليمة وعقل مدبرّ ونفسٍ منصفة، لأن الإصلاح والمعروف والحرية وإباء الضيم والتضحية والإيثار والفداء والإخلاص والعزة والكرامة كلها عناوين هتفت بها الإنسانية طوال التاريخ البشري، وأريقت الدماء من أجل الحفاظ عليها، وإن اختلفت الرؤى وتعددت

• من شعارات الإمام الحسين: إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي

• الشعارات الصادقة للثورة الحسينية تحمل عناوين عامة، فهل يمكن لمن كرُمَت عنده الإنسانية أن يقبل بالظلم أو يرضى لنفسه الذل أو يشجّع على الفساد

• قيم الثورة الحسينية توحّدنا في الإسلام، فلماذا يكون إحياء ذكراها ذكرى فرقة وعامل تحريض ومعول هدم؟

الأديان وتغيّرت الظروف.

وهل يمكن لمن كرُمَت عنده إنسانيته وإنسانية الآخرين أن يقبل بالظلم أو يرضى لنفسه الذل أو يشجّع على الفساد؟

وهل يمكن لمن عزّ عنده الإسلام أن يرضى بضياعه أو هدم أركانه أو إضعاف شأنه أو أن يجعل المنكر فيه معروفاً والمعروف منكراً؟

إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام لم تخرج عن نطاق تلك العناوين والقيم التي تجمعنا في الإنسانية وتوحّدنا في الإسلام، فلماذا يكون إحياء ذكرى استشهاد الحسين وصحبه ذكرى فرقة وعامل تحريض ومعول هدم؟

وإذا كان المسلمون من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام يحيون هذه الذكرى بصورة مجالس عزاء بدءً من الأول من شهر محرم الحرام، فإنما يدفعهم إلى ذلك تمسكهم بالولاء لآل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحبّهم للعترة الطاهرة التي قال عنها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم (عن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي) صحيح مسلم.

ولا أريد هنا المزايدة على أحد في حبنا لآل البيت، إلا أنني أتسلل عن السبب الذي من أجله يمتعض بعض إخواننا من أهل السنة ـ مع التأكيد على كلمة (بعض) ـ عند إقامة تلك المجالس.

• ما يدور في بعض مجالس العزاء يتجاوز الحد ويشرخ جسد الأمة الواحدة، وبعض الغيارى يسعون دائماً لحفظ التوازن العام لتلك المجالس

• نتطلع إلى ذلك اليوم الذي يجتمع فيه العلماء والمثقفون والأدباء من أبناء الأمة الإسلامية في ذكرى ثورة الحسين ليتدارسوا العناوين الكبرى وقيمها الخالدة

ولا أفشي سراً حيت أقول أن ما يدور في بعض مجالس العزاء يتجاوز الحد ويمثل إسفيناً يشرخ جسد الأمة الواحدة، وأن بعض الغيارى على وحدة الأمة الإسلامية يسعون دائماً لحفظ التوازن العام لتلك المجالس، إلا أن ما نتمناه على إخواننا من أهل السنة أن تتسع صدورهم لإخوانهم الشيعة وأن يعملوا معاً لإصلاح كل ما فسد من أمر الأمة، فتلك هي رسالة الثورة الحسينية.

إنني أتطلع وبكل صدق إلى ذلك اليوم الذي يجتمع فيه العلماء والمفكرون والمثقفون والأدباء والفنانون من أبناء الأمة الإسلامية في ذكرى ثورة الإمام الحسين ليتدارسوا العناوين الكبرى والقيم الخالدة التي تحفظ للإنسانية كرامتها وللأمة عزتها وللمسلمين وحدتهم، لأن الحسين لم ينهض من أجل طائفة وليس حكراً على فئة، بل هو حسينُ محمدٍ كما قال هو صلى الله عليه وآله وسلم (حسينٌ مني وأنا من حسين)... وما بُعث محمد إلا رحمةً للعالمين.

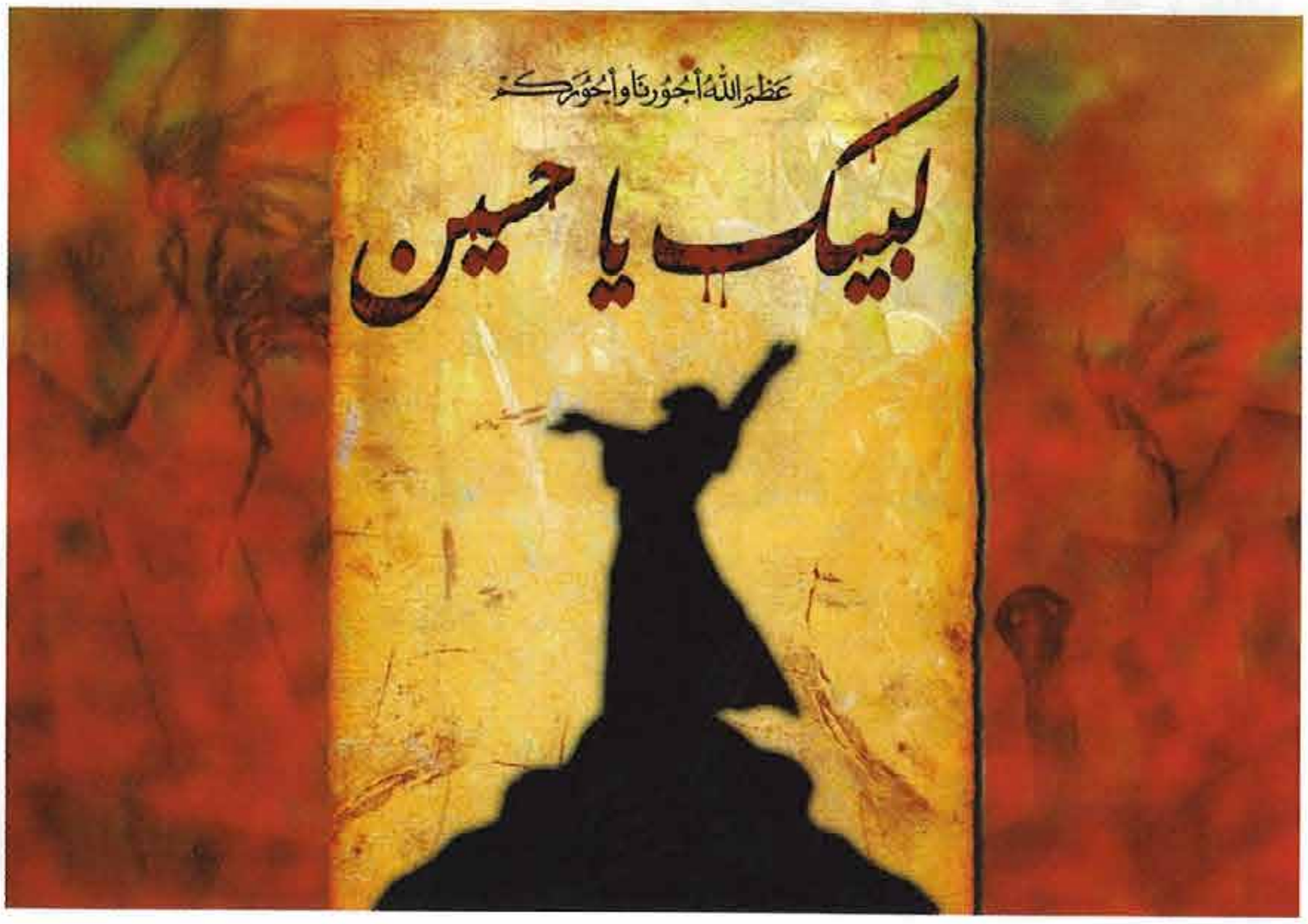

هذا الكتاب...

يمثِّل هذا الكتاب ٥٢ مقالة نُشرت في صفحة منتقى الجمان في جريدة الوطن الكويتية، ابتداءً من الأول من محرم من عام ١٤٢٨ هـ الموافق ٢٠ يناير ٢٠٠٧، وكان منطلق إعداد هذه الصفحة هو الإحساس بمسئولية الكلمة التي يجب أن توحِّد لا أن تفرِّق، وأن تسعى لتقريب وجهات النظر ما أمكن، وأن تعمل على نشر الوعي والثقافة الدينية، وأن تعكس الصورة الحضارية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، انطلاقاً من قول الله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وكلمة الإمام علي الرضا عليه السلام حيث قال لعبدالسلام بن صالح الهروي: (رحم الله عبداً أحيا أمرنا. فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلِّمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا).

المؤلف